جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

الاتجاه التأملي في القصيدة الأردنية من عام 1921-2006م

إعداد الطالب

علي محمد الذيابات

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد المجالي

رسالة مقدمه إلى عمادة الدراسات العليا

استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه

في الأدب والنقد قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2008م

بسم الله الرحمن الرحيم

MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب علي محمد الذيابات الموسومة بـــ:

الاتجاه التأملي في القصيدة الأردنية منذ عام 1921-2006

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة **الدكتوراه في اللغة العربية** .

القسم: اللغة العربية.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. محمد أحمد المجالي		2008/12/30	مشرفاً ورئيسا
أ.د. محمد علي الشوابكة		2008/12/30	عضواً
د. طارق عبدالقادر المجالي		2008/12/30	عضواً
د. محمد احمد القضاة		2008/12/30	عضواً

عميد الدراسات العليا

أ.د. نضال صالح الحوامدة

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهداء

إلى روح والدي وشقيقيّ في أكرم جوار

إلى رمز الحنان والحب أمي

إلى شقيقي وشقيقاتي وأبنائهم

إلى التي تجعل الحياة أهون ما تكون وأجمل ما تكون

إلى التي تغمرني بحبها وتملأ عليّ دنياي حباً وأملا

زوجتي وحبيبتي مها

إلى أحبائي تميم وبتول وهمسة ولمى

علي محمد الذيابات

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وبعد، فإني أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمد المجالي الذي تفضل بالإشراف على هذا العمل، وتعهده برعايته، حتى استوى على هذه الصورة فلم يبخل عليّ بعلمه ومعرفته وتوجيهاته، فكان لي خير معين وذلل لي الصعاب فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة من أساتذتنا الأجلاء الذين سوف يكون لملاحظاتهم القيّمة الأثر البالغ في تحسين صورة هذا العمل، الأستاذ الدكتور محمد الشوابكة، والدكتور طارق المجالي، والدكتور محمد القضاة.

وأتقدم بجزيل الشكر إلى جميع أساتذتي في هذه الجامعة الحبيبة، التي نهلنا منها المعرفة والعلم.

علي محمد الذيابات

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
الإهداء	أ
الشكر والتقدير	ب
فهرس المحتويات	ج
الملخص باللغة العربية	د
الملخص باللغة الانجليزية	هـ
المقدمة	1
التمهيد	4
الفصل الأول: التأمل في الطبيعة	21
الفصل الثاني: التأمل في الحياة والموت والإنسان	40
1.2 فكرة الموت	52
2.2 التأمل في الإنسان	71
الفصل الثالث: اللغة	93
1.3 المعجم الشعري	97
2.3 الانزياح	111
الفصل الرابع: الصورة الفنية	123
الفصل الخامس: الموسيقى والإيقاع	135
الخاتمة	168
المراجع	170

الملخص

الاتجاه التأملي في القصيدة الأردنية من عام1921-2006م

علي محمد الذيابات

جامعة مؤتة، 2008

هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الاتجاه التأملي في القصيدة الأردنية من عام 1921-2006م؛وذلك من خلال دراسة بعض أعمال الشعراء الأردنيين الذين برز هذا الاتجاه في قصائدهم.حيث تنوع لديهم التأمل الذي يعتمد على التجربة النفسية الخالصة،من تأمل لمظاهر الطبيعة ومقارنتها بالإنسان؛ لأنهم كانوا يرون فيها العالم المثالي لتحقيق الحياة الفضلى، وتأمل للحياة والموت.

كما تأمل الشعراء خلق الإنسان وقارنوا حياته بمظاهر الطبيعة، واستنكروا على الإنسان طغيان الشر على نفسه، مما أدى إلى الظلم والفقر والقهر، والقتل والخراب وطالبوا الإنسان بالعودة إلى فطرته المجبولة على الخير، من أجل السعادة للبشرية جمعاء .

وقد اتسم معجم الشعراء اللغوي بجزالة الألفاظ،وغزارة المعاني وعمق الصور الفنية،كما وظفوا الموسيقى والإيقاع لإيصال أحاسيسهم وأفكارهم للمتلقين واستخدموا الكثير من الأساليب اللغوية التي تخدم أفكارهم وتأملاتهم، مثل الانزياح والتكرار اللذين أسهما في تقوية الموسيقى الداخلية للقصائد، وتأكيد المعاني التي كان الشعراء يسعون لإيصالها إلى المتلقي.

Abstract

The Contemplative Direction in the Jordanian Poem Since1921-2006

ALI MO'HED THEABAT

Mu'tah University, 2008

This study aims at spotting the light, on contemplation approach in the Jordanian poem since 1921-2006.This could be accomplished through investigating some of the literary works made by Jordanian poets at which this approach was exemplified in their poems .There is a wide variety of Contemplation which depends on abstract spiritual experience of contemplating the nature and correlating it with human being since they see through it best universe to achieve the best life contemplating life and death where the poets points of view are completely different . Some of them are afraid of death and try to avoid it. Some of them approach it since they find it the best way to get rid of all this risks and a best way to the comfortable life. Poets have contemplated human beings creation and compare it with the nature. They refuse to accept evils overwhelming on human spirit, which in turn cause injustice, defeating, poor, killing, and destruction.

They also asked human to go back to his spontaneous nature to achieve happiness to the humanity. The lexical dictionary of those poets is full of expressive phrase, meaningful words and deep literary pictures; they also use music and rhythm to convey their feelings and ideas to the audience. They also use many of the linguistic techniques, which serve their ideas and contemplation such as deviation and repetition, which both contribute in enforcing the inner music of poems and enforcing meanings, which they all want to convey to the audience.

المقدمة

يعد الاتجاه التأملي من الاتجاهات البارزة في الشعر الأردني, لكونه يعتمد على التجربة النفسية الخالصة، ويقوم على التفكير في طبيعة الكون والإنسان, والتاريخ والمستقبل, ومصير البشرية, وحيرة الإنساني في هذه الحياة.

وقد برز هذه الاتجاه بشكل جلي عند الكثير من الشعراء الأردنيين, الذين واكبوا حركة التجديد, والتطور في الشعر العربي, فساهموا في هذه الحركة بشكل كبير, إذ جددوا في الشكل والمضمون، فتناولوا العديد من القضايا الإنسانية, والوطنية والقومية.

وقد سار الشعر الأردني جنبا إلى جنب مع الشر العربي في الأقطار العربية المجاورة, وتطور تطورا ملحوظا في الشكل والمضمون, حيث جدد الشعراء الأردنيون في هذين الجانبين, فأصبحنا نقرأ قصائد من الشعر الحر وقصائد النثر فضلا عن القصائد العمودية, أما في المضمون فقد تنوعت الموضوعات بين اجتماعيه, وسياسية, ووطنية وقومية .

وقد تناول الشعراء الأردنيون الاتجاه التأملي(الذي يمس جوانب مختلفة من الحياة) بكثرة في دواوينهم ومنهم: عرار, وعبد المنعم الرفاعي, وحسني فريز, وعيسى الناعوري، وحيدر محمود, وعبد الرحيم عمر ومحمود فضيل التل وخالد محادين, وعصام العمد، ونبيلة الخطيب, وغيرهم.

وعلى الرغم من بروز هذا الاتجاه إلا أنه لم يحظ بأية دراسة ترصده, وتكشفه في الشعر الأردني, وفي هذه الدراسة سيتم إن شاء الله, رصد هذه الظاهرة وتسليط الضوء عليها؛ لان مثل هذه القضايا تحتاج إلى المزيد من الدرس, والبحث؛ لترى النور ولتبين دور الشعراء الأردنيين في حركة التجديد في الشعر العربي المعاصر لا سيما وأن دورهم لا يقل أهمية عن الشعراء في باقي الوطن العربي.ولم أجد من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع, سوى بحث علي الشرع بعنوان (النزعة التأملية في الشعر الأردني وإشكالية التلقي) منشور في كتاب(الشعر في الأردن, أوراق ملتقيات عمان الإبداعية 2002), إذ تناول طبيعة هذه النزعة التأملية,

وطرائق الشعر في تخريجها, والإشكالية التي يواجهها المتلقي وهو يحاول فهم هـذا الشعر.

وقد جاء هذا البحث في تمهيد وستة فصول وخاتمة، تعرضت في التمهيد إلـى التأمل في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي إلى العصر الحديث.

وتناول الفصل الأول من التأمل في الطبيعة,حيث درست موقف الشعراء مـن الطبيعة, ونظرتهم إليها, إذ لجأ إليها الشعراء كثيرا؛ لبث شـكواهم ووجـدوا فيهـا ضالتهم المنشودة, وكثيرا ما كانوا يقارنون بينها وبين حياتهم الواقعية,فهم يبحثـون عن عالم مثالي, وهذا العالم لم يجدوه إلا في الطبيعة.

وتناول الفصل الثاني التأمل في الحياة, ونظرة الشعراء إلى الحياة, ومـا هـي الحياة التي ينشدونها, وكذلك نظرتهم للموت التي اختلفت من شاعر لآخر,فمنهم مـن كان يخاف الموت, ويحاول الهرب منه,ومنهم من كان يجده المخلص لهم من أعبـاء الحياة, ومنهم من استسلم للموت كونه مصيرا لابد منه .

وتناول أيضاً التأمل في الإنسان, إذ رجع الشعراء إلى أصل الإنسان وأشاروا إليه, وظهرت عندهم النزعة الإنسانية, والبحث عن الإنسان الذي يترفع عن كل مـا هو أرضي, ووجدوا الصراع ما بين النفس الإنسانية والعقل, ومنهم من كان ينظـر للإنسان نظرة احتقار وازدراء,ومنهم من ينظر إليه نظرة إجلال وإكبـار بالإضـافة إلى فكرة الدعوة إلى المحبة والأخوة بين البشر .

أما في الفصل الثالث فقد تمت دراسة اللغة, باعتبارها أداة التعبير ومن خـلال ذلك تم رصد المعجم الشعري لدى الشعراء, والألفاظ التي استخدمها هؤلاء الشعراء حيث استخدموا ألفاظا مستمده من الطبيعة, وألفاظا ذات دلالات إنسانية, وألفاظا تدل على الحياة والموت. وتم بحث ظاهرة الانزياح التركيبي (التقديم والتأخير والحذف) حيث تم دراسة هذه الظاهرة ودلالاتها في عدد من النماذج الشعرية.

وفي الفصل الرابع تناولت الصورة الفنية, من حيث المفهوم والدور الفني الـذي تقوم به هذه الصورة في كشف, وتوضيح العمل الأدبي, وتحليل المفاهيم من وجهـة نظر نفسية, والصور الاستعارية, واستخدام الشعراء لمفهومي التشخيص والتجسيد.

وأما في الفصل الخامس فقد تناولت الإيقاع والموسيقى, ومفهوم الإيقاع الداخلي والخارجي والإشكال التي نظم عليها شعراء الأردن قصائدهم, ودور ذلك في القدرة على توصيل أفكارهم، كما تناولت التكرار من حيث الدلالة, والدور الذي يؤديه في توضيح النص للقارئ, وأنواع التكرار التي ظهرت في الشعر الأردني, مثل التكرار الاستهلالي, وتكرار الكلمة, وتكرار الحرف, ودور كل نوع في بناء القصيدة.

وأما الخاتمة فقد لخصت فيها النتائج التي توصلت إليها، اتبعتها بثبت خاص بالمصادر والمراجع التي أفدت منها في هذه الدراسة.

وبعد فهذه محاولة، تسعى إلى إبراز الاتجاه التأملي في الشعر الأردني في حدود إمكانياتي، وبفضل ما أتيح لي من مراجع أنارت لي الطريق، ويسرت لي مشكلات هذا البحث. فإن وفقت فهذا هو المبتغى، وإن لم أوف البحث حقه من الدراسة، فحسبي إنني لم أدخر جهدا في النهوض به إلى هذا المستوى.

التمهيد

شهد الأردن بعد تأسيس الإمارة عام 1921م حركة أدبية واسعة، حيث التقى على أرض الأردن عدد من الشخصيات الأدبية، مثل فؤاد الخطيب وعبد المحسن الكاظمي، ومحمد علي الحوماني، وخير الدين الزركلي، وعمر أبو ريشه وغيرهم من الشعراء والكتاب، الذين كانت تجمعهم رؤاهم القومية المستمدة من ذكرى الثورة العربية، والدعوة إلى الوحدة العربية، إذ طغى على الشعر الطابع القومي والوطني، وقد كان للشعراء العرب دور كبير في تطور الشعر الأردني حيث تتلمذ على أيديهم عدد كبير من الشعراء مثل: حسني فريز وعبد المنعم الرفاعي وحسني زيد الكيلاني وغيرهم[1].

كما كان للملك المؤسس عبد الله بن الحسين دور كبير في إحياء الشعر حيث كان بلاطه منتدى ثقافيا يلتقي فيه الشعراء وينشدون أشعارهم ويتبادلون الأفكار، إضافة إلى أن الملك كان شاعرا وراوية للشعر، وقد أتيح لعدد من الشباب في الأردن الدراسة في المعاهد والجامعات السورية واللبنانية مما أتاح لهم فرصة الاطلاع على تجارب الآخرين واهتماماتهم الأدبية ومنهم: عرار، ومحمد صبحي أبو غنيمة، وحسني فريز وعبد المنعم الرفاعي وغيرهم [2].

وقد امتاز الشعر في هذه المرحلة بأنه كان مقلدا للشعر العربي القديم، مرتبطا بالمناسبات، وتناول الأغراض العامة من غزل ومدح ورثاء، إلا أن بعض ملامح التجديد قد ظهرت عند بعض الشعراء، من مثل حسني فريز، وحسني زيد الكيلاني و عرار، وعيسى الناعوري، كما كان لظهور بعض الصحف والمجلات كمجلة الحكمة، وصحيفة الشرق العربي وصحيفة الجزيرة دور كبير في نشر الكثير من قصائد الشعراء العرب والمقيمين، مما زاد في تطور الحركة الشعرية ونمائها في هذه المرحلة[3].

---

[1]- عطيات، محمد وآخرون : الشعر في الأردن وموقعه من حركة الشعر العربي، أوراق ملتقى عمان الثقافي الخامس 1996م، منشورات وزارة الثقافة 2002م ، ص 16

[2] - نفسه، ص 20

[3] - نفسه، ص 21-22

وبعد نكبة عام 1948م دخل الشعر في الأردن مرحلة جديدة، حيث تعمق الالتزام الوطني والاجتماعي والسياسي في الشعر، وظهر لونان من الشعر هما: شعر تقليدي في الشكل والمحتوى، وشعر تقليدي في الشكل مجدد في المحتوى ولون من الشعر الحر(شعر التفعيلة)[1]، حيث بدا تأثر شعراء الأردن بالشعراء العرب وبالمدارس الأدبية التي ظهرت في الوطن العربي، كمدرسة الديوان و أبولو والمهجر واضحا، فقد تأثر عرار بمدرسة الديوان والمهجر وبالشعر الرومانسي، ويعلن عيسى الناعوري صراحة أنه سئم الطريقة التقليدية في الشعر ففي ديوانه الثاني (يا أخي الإنسان) يذهب مذهب المهجريين في اختيار الكلمة البسيطة المألوفة والصورة الشفافة والمضامين التي تتفق مع النزعة الإنسانية في الأدب المهجري، كما أن اختيار حسني فريز عبارة (هياكل الحب) لتكون عنوانا لديوانه جاء تأثرا بجبران حيث تتكرر هذه العبارة في كتاباته، كما أنه يشكل جزءا من قصيدة مشهورة لأبي القاسم الشابي (صلوات في هيكل الحب)[2].والذي أسهم في ذلك هو ظهور الصحف التي هاجرت من فلسطين بعد النكبة وظهور صحف أخرى مستقلة احتضنت الشعر، كما شهدت هذه الفترة ميلاد ثلاث مجلات أدبية هي: " القلم الجديد" للناعوري وقد صدرت عام 1952م، ومجلة " الأفق الجديد " وصدرت عام 1961م، ومجلة " أفكار " وصدرت عام 1966م.

ثم توالت بعد ذلك إصدارات الدواوين الشعرية، إذ تطور الشعر الأردني وأصبح يواكب الأحداث السياسية ويقوم بدوره الوطني لشحذ الهمم والدفاع عن الوطن، وعن قضاياه المصيرية، حيث تجاوب الشعر الأردني تجاوبا عميقا مع قضايا المجتمع والظروف الوطنية والقومية والإنسانية، وتطور تطورا فنيا واسعا، كما أن الظروف السياسية دفعت الشعراء إلى الالتزام برسالة الشعر الأخلاقية والاجتماعية والإنسانية، بعاطفة صادقة وإحساس عميق.

---

[1] – عطيات، وآخرون: الشعر في الأردن وموقعه من حركة الشعر العربي ص 26

[2] – الشعر الحديث في الأردن ونقده (أوراق الملتقى الثقافي الأول – المفرق) جامعة آل البيت، 1997م، ص ص 23-25

ومن الموضوعات التي ظهرت في الشعر الأردني الموضوعات الاجتماعية والإنسانية، حيث قام الشعر برسالته الأخلاقية من توجيه ونصح وإرشاد، بعاطفة صادقة وإحساس عميق[1].

وفضلا عن الموضوعات المتقدمة، والمعالجات التي طرحها شعراء الأردن بما فيها من تقليد وتجديد، فإننا نجد عندهم شعرا وجدانيا وتأمليا ووصفيا، حيث كان بعض الشعراء يفزعون إلى أنفسهم ويبثون لواعج وجدانهم، بل إن بعض الشعراء كرّسوا جلّ شعرهم للجانب الوجداني، مصورين أشواقهم وحبهم وهيامهم، واصفين أطوار نفوسهم، باثين لواعجهم وحنينهم وذكرياتهم، وكل ذلك من خلال قوالب أدبية وصور شعرية ومعان مبتكرة [2].

وقد دفعت الحروب والمعاناة التي عاشها العرب الشعراء إلى الانطواء على ذواتهم والانسحاب من الواقع ليحيوا نمطا متقلبا بين اليأس والأمل، فاستحسنوا العودة إلى الطفولة، والتماس العزاء في الطبيعة منشدين أناشيد التأوه والشكوى من الزمان والمناداة بالموت، تخلصا من شقاء العيش، فكثرت التعابير التالية: صدى العذاب، والشفاه المطبقة، والذكريات والأحلام الضائعة، والأشواق التائهة والكبرياء المحطمة، وذكر الخمر. كما أن الشعراء انشغلوا بقضايا عامة أكثر من انشغالهم بقضايا خاصة[3].

لقد تأثر الشعر الأردني بتيارات التجديد في الأدب المهجري، ومدرستي الديوان وأبولو، وتطور تطورا موازيا لنظيره في الأدب العربي لنشوء جيل جديد كتب ألوانا شعرية متقاربة المضمون بخصوصية الحياة الأردنية، وظهر شعر البدايات الرمزية والرومانسية بمظاهر مختلفة من الشعر الوجداني التأملي والوطني الذاتي الخاص[4].

---

[1] – قطامي، سمير: الحركة الأدبية في شرق الأردن منذ قيام الإمارة حتى سنة 1948م، وزارة الثقافة و الشباب،عمان، ط1، 1981، ص 102-103 .

[2] – المرجع نفسه ص 104.

[3] – المرجع نفسه: ص 451.

[4] – عطيات: الشعر في الأردن وموقعه من حركة الشعر العربي، ص 453.

وقد كانت القضية الفلسطينية هي محور الشعر ومحركه في شتى المجالات، حيث كانت موضوعات القصائد المتنوعة العاطفية والاجتماعية والفكرية وغيرها ترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بالقضية الفلسطينية[1]. ومن الناحية الفنية فقد دخل الشعر مرحلة الريادة والتجديد، والسير نحو الحداثة الشعرية حيث ارتادت القصيدة آفاق الترميز والتجريب، والانزياح والغموض وتوظيف الأسطورة وغيرها من التشكيلات الفنية والمستويات التعبيرية[2].

التأمل لغة واصطلاحا :

التأمل في اللغة كما جاء في لسان العرب لابن منظور(التثبت، وتأملت الشيء أي نظرت إليه مستثبتا له، وتأمل الرجل تثبت في الأمر والنظر)[3]، والتأمل بهذا يحمل معنى التأكد من ذات الشيء المنظور إليه، أو الوقوف على حقيقة أمر من الأمور التي يفكر فيها الإنسان .

أما التأمل اصطلاحا فهو: (استغراق الذهن في موضوع تفكيره إلى حد يجعله يغفل عن الأشياء الأخرى بل عن أحوال نفسه، وعند بعض صوفية القرون الوسطى: درجة سامية من درجات المعرفة)[4] .

فالتأمل من هنا التفكير في موضوع بعينه أو ظاهرة بعينها إلى درجة الانشغال عن النفس أو الأشياء المحيطة قصد الوصول إلى الحقيقة. والتأمل صفة إنسانية نجدها عند النبي والفيلسوف كما نجدها عند الشاعر. وإذا كان تأمل الفيلسوف يختلف عن تأمل الشاعر من حيث الطريقة والوسيلة فإن هناك سمة مشتركة بينهما تتمثل في عدم وقوفهما عند ظواهر الأشياء ومحاولة الغوص إلى ما وراءها بحثا عن الحقيقة. كما أن للنبي تأملاته المختلفة عن تأملات غيره من حيث الوسيلة إذ إن له

---

[1] – الزعبي، أحمد: أسلوبيات القصيدة المعاصرة (دراسة في حركة الشعر في الاردن وفلسطين من 1950–2000م)، دار الشروق، عمان ط1، 2007م ص 30

[2] – المرجع نفسه: ص 35

[3]– ابن منظور: لسان العرب ، ج13،14، مطبعة بولاق ،ط1،ص28

[4]– وهبة، مجدي، المهندس، كامل: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان 1979، ص 50 .

قوة روحية لا يؤتيها الشاعر ولا الفيلسوف. وهو بدوره يتأمل نفسه وما حوله بقلب مشرق وروح متطلعة بحثا عن الحقيقة.

الشعر التأملي

الشعر التأملي هو نوع من الشعر الذي يقوم على التفكير في طبيعة الكون والإنسان والتاريخ والمستقبل، ومصير البشرية وحيرة الإنسان ومأساته. وهذا الشعر يقترب من الفلسفة ولكنه لا يتبنى أساليبها ومناهجها المنطقية، وإنما يقوم على التأمل الشخصي والرأي الذاتي من خلال التخيل والصور الفنية والتعبير الجميل.

وقد عرف العرب قديما هذا النوع من الشعر تحت اسم شعر الحكمة وكذلك الشعر الصوفي الذي أصبح مصدر وحي الشعر الحديث[1] .

لقد ارتبط التأمل بالشعر على اعتبار أنه أول الفنون الأدبية ظهورا، فقد كان الشاعر يحمل قصيدته أفكاره ونظراته إلى الحياة والكون، ولكنها كانت متفاوتة بين شاعر وآخر فمنها ما كان ساذجا بسيطا ومنها ما كان عميقا، وهذا يتأتى من طبيعة تجارب الشعراء، كما أن للبيئة والثقافة الفضل في توجيه التأمل وجهة معينة. إذ كان للبيئة العربية القاسية تأثير واضح في عقلية الإنسان العربي و نفسيته، مما جعله مضطربا حزينا بسبب ترحاله من مكان لآخر بحثا عن الكلأ والماء وهذا الترحال يسبب المشقة للجسد والنفس معا، وهذا ما جعل تأمل الشاعر الجاهلي بسيطا لبساطته، حزينا لحزنه، قلقا لقلقه.

وقد بين أحمد أمين سمة هذه الكآبة عند الجاهلي حين ذهب إلى أن "كلمات السرور واللهو واللعب والمزاج أقل من كلمات البؤس والحزن والويل، ألم ترهم تفننوا في الداهية فصاروا يخترعون لها من الأسماء ما أتعب اللغويين ؟ ... ذلك لأن طبيعة البيئة تستدعي ذلك فهي بيئة شقاء وفقر لا بيئة رخاء ونعيم"[2] .

---

[1] -الناعوري، عيسى: أدب المهجر، دار المعارف مصر ط 3، 1977،.ص 88، وانظر، المقدسي، أنيس:الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث،دار العلم للملايين، بيروت،ط7 1982م، ص103.

[2] – أمين، أحمد: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت ط 10 ،1969، ص 48

أما في المجال الثقافي فلم يكن للجاهليين مذهب فلسفي كما هو الحال عند اليونان والهنود، وذلك بسبب حياتهم البدوية، ومع هذا كانت لهم تأملات في الحياة والموت نتيجة لملاحظاتهم العابرة وتجارتهم في الحياة، ولكنها كانت تفتقر إلى التعليل لأنهم لم يحسنوا ربط الأشياء بمسبباتها ربطا منطقيا وذلك لكثرة ما انتشر عندهم من خرافات وأساطير.[1]

ولكن الملاحظ أن هذه التأملات تأتي في ثنايا قصائد المدح والرثاء والفخر والغزل وغيرها من الأغراض، وهي تلخص تجربة معينة بشكل موجز كما هو الحال عند زهير ولبيد وطرفه بن العبد، فقد جاءت تأملات زهير في الحياة و الموت وليدة تجربة ثمانين عاما كما نلاحظ في معلقته الميمية[2]:

سئمت تكاليف الحياة و من يعش ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

إن عمق الإحساس بالزمن النفسي الذي يتمثل بوعي الحياة المفعمة بتجارب غنيّة ومتعددة استغرق الشاعر في تأملها وتحمل مسؤولياتها منذ وعيه الأول ؛حيث يتحمل المسؤولية صغيرا، جعله يرى أن هذه الحياة أطول مما ينبغي.

و كذلك لبيد الذي استقى نظرته للإنسان ومصيره من وحي تجربته البدوية، ويعتمد التأمل هنا على الاستغراق في المفردات الماديّة المرئية المحسوسة، لينطلق منها إلى تشكيل مفهوم قوامه الفناء الحتمي، والموت الذي لا انفلات منه، والشاعر يحاول تقريب مفهوم الموت للذهن من خلال بيان ضآلته أمام الطبيعة، ويظهر ذلك في قوله[3]:

بلينا و ما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الجبال بعدنا و المصانع

وما المرء إلا كالشهاب و ضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

---

[1] – أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، ص 39

[2] – ابن أبي سلمى، زهير: ديوان زهير، تحقيق كرم البستاني، دار صادر دار بيروت، بيروت 1960، ص 87.

[3] – ابن ربيعة، لبيد: ديوان لبيد، دار صادر، بيروت،1966، ص ص 88-89

و ينطبق ذلك على طرفة بن العبد الذي انطلق من تجربته الشابة إذ يطلب الموت ويتشوق إليه؛ لأنه لا مفرّ منه ولا سيما من خلال الحرب يقول[1]:

ألا أيهذا اللائمي أحضر الوغى و أن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

فإن كنت لا تسطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي

على أننا لا نستطيع أن ننفي تأثر هؤلاء الشعراء بثقافات الأمم الأخرى وأديانها فقد كان العرب على صلة بحضارات الأمم الأخرى، ودليل ذلك ما أتاحته إمارتا الغساسنة في الشام، والمناذرة في العراق من امتزاج الثقافة العربية بثقافات الفرس و الروم. وما كانت تتيحه الأسواق العربية في المواسم من اجتماع بين التجار العرب والعجم فيتم التبادل التجاري كما يتم تعرف العربي إلى العجمي فيعرف عاداته وتقاليده وديانته وعلومه[2].

ويحاول الشاعر الجاهلي أحيانا أن يقارن بين الإنسان وبين الطبيعة، فيجده فانيا ويجدها خالدة، وهذا يجعله يشعر بقمة المأساة التي تفصل بينه وبينها، ويزداد الفارق اتساعا كلما ازداد الشاعر تأملا. ويبين أدونيس هذه الحال فيقول: " وحين يتضح للإنسان انفصاله عن الأشياء حوله، يتضح له نقصه وبالتالي تعطشه لكمال لا يتحقق إلا في الخارج. يشعر وهو يشارك الأشياء وجودها أنه يعيش مؤقتا. يتعذب عذاب من لا يقدر إلا أن يخضع في النهاية "[3].

وعلى الرغم من أن الشاعر الجاهلي قد ربط بين الإنسان والطبيعة إلا أننا لا نجد له تأملا في الطبيعة إلا في الأقل النادر. وما وقوف الشاعر الجاهلي على الأطلال إلا نوع من التأمل الحقيقي، الذي يستغرق فكره ومشاعره، وتدفعه إلى تجاوز الظاهر إلى الباطن، والمحسوس إلى المجرد. وهذا الوقوف نافذة يطل منها الشاعر على معاني الوجود والعدم، وعلى ذلك الصراع الوجودي بين الحياة والموت.

---

[1] -ابن العبد، طرفة: ديوان طرفة، دار صادر، دار بيروت، بيروت 1961 ص 32

[2] - الجبوري، يحيى: الشعر الجاهلي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط3، 1982م ، ص 92

[3]- أدونيس، أحمد علي سعيد: مقدمة في الشعر العربي، دار العودة، بيروت، ط1979،3، ص 14

وإذا كان الشاعر الجاهلي قد وقف عند الحياة والموت والإنسان فإنه قلما تطرق إلى النفس الإنسانية ليبين خيرها وشرها ولم يتطرق إلى مصيرها لأنه لم يكن يؤمن بالنفس أولم يكن يفرق بينها وبين الجسد؛ ولأنه كان مأخوذا بأحداث خارجية تتمثل في الجفاف والحروب وعدم الاستقرار، واستمر هذا التأمل المادي إلى أن جاء الإسلام[1].

وعندما جاء الإسلام أدرك الإنسان العربي أن هناك إلها واحدا وحياة أخرى بعد الموت. وقد أعد الله للصالحين الجنة وللكافرين النار؛ ولذلك بدأ الشاعر يفكر فيما بعد الموت من عقاب وثواب جعلاه يدعو إلى الزهد في الحياة الدنيا والاستعداد للحياة الآخرة.

وهكذا نشأ شعر الزهد الذي يذكر بالموت ويدعو إلى التزود بالصالحات، واختفى شعر التأمل الفردي الذي وجدناه في الجاهلية على أنه كان من المتوقع أن يظهر شعر التأمل في عصر صدر الإسلام بشكل جلي نظرا لما في القرآن الكريم من دعوة إلى النظر فيما خلق الله[2].

قال تعالى " **أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها و زيناها و ما لها من فروج** "[3]، وقال تعالى "**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير** "[4]

وقد يعود اختفاء شعر التأمل في صدر الإسلام إلى انشغال الشعراء بالقرآن الكريم والإقبال على تلاوة آياته وتفهمها وعدم الاستقرار نتيجة الفتوحات الإسلامية.

وفي العصر العباسي امتزجت الثقافة العربية بالثقافات الأخرى من فارسية ويونانية وهندية. وانتشرت العلوم والفلسفات المختلفة، مما نقل العقل العربي من البساطة والعفوية إلى الدقة في النظر إلى الأشياء. لقد استفاد العقل العربي من منطق

---

[1] – علاق، فاتح: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية، رسالة ماجستير غيرمنشورة، جامعة حلب ،1987، ص 8-9

[2] – علاق: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية، ص 10

[3] – سورة (ق) آية رقم 6

[4] – سورة العنكبوت آية رقم 20

اليونان ومن حكمة الفرس ومن تأملات الهنود. بالإضافة إلى الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي الذي يعد من العوامل الهامة في تطور التأمل في العصر العباسي.

ولعل من أشهر المتأملين في هذا العصر ابن الرومي، والمتنبي وأبا العلاء المعري. فابن الرومي عكف على المنطق والفلسفة اللذين وجد فيهما غذاء رفيعا يمكّنه من إجالة الفكر فيما حوله من قضايا الحياة والموت، والمتنبي قد ضرب في الآفاق حتى أصبح التنقل عنده أصلا والاستقرار فرعا، ولا شك أن لرحلاته هذه أثرا طيبا في إثراء تجربته، و إغناء طبعه إضافة إلى ما كسبه من ثقافة غزيرة نتيجة اطلاعه على الفلسفات والعقائد الدينية المختلفة[1].

والمعري اطلع على مختلف الفلسفات والديانات وساعده الانعزال في بيته على التأمل في الحياة والكون. فكان لكل واحد منهم عالمه الخاص به الغني بأفكاره و تأملاته. فابن الرومي الذي فقد زوجته و أولاده الثلاثة بالإضافة إلى أمه و أخيه و أبيه، وبقي يجرع الغصات وحيدا و كأنه أراد أن يعوض هذه الخسارة التي ألمت به بإقبال مفرط على متع الحياة يختلف عن أبي العلاء المعري الذي انصرف عن الحياة لمّا أدبرت عنه ،وابن الرومي يتفق في هذا الإقبال على الحياة مع المتنبي الذي قاده حبها إلى تحدي الصعاب و الانتصار على المتاعب[2]. و قد وصل حب الحياة عند ابن الرومي إلى درجة العبادة مما دفع العقاد إلى تصوير هذا الحب بقوله " فيخيل إليك أنه شارب قبض على الكأس يود أن يجرعها مرة واحدة من فرط التعطش والخوف عليها لولا أنه يستعذبها يستطيبها فيرشف منها رشفة بعد رشفة ويعود إليها ينظر ما فرغ منها، وما بقي فيها، ويضن ويشتاق ويشعر بمرارة الفقد لفرط شعوره بحلاوة المتعة. فما نقصت من تلك الكأس – الحياة – قطرة إلا أحس بطيبها وأحس بألم فقدها، وعرف مقدارها"[3]

---

[1] – علاق: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية ص 11

[2] – المرجع نفسه: ص 11

[3] –العقاد، عباس محمود: ابن الرومي حياته وشعره، دار الكتاب العربي، بيروت، ط7،1968، ص 283

وقد ولد ذلك الحب الشديد الخوف الشديد من زوال الحياة ومتعتها ،والمتأمل في ديوان ابن الرومي يلحظ ذلك التخوف الذي سيطر عليه حتى جعله شقيا في حياته لا يستطيب عيشا:

إذا طاب لي عيش تنغصت طيبـــه بصدق يقيني أن سيذهب كالحلـــم

و من كان في عيش يراعي زواله فذلك في بؤس و إن كان في نعم[1]

ومع ذلك عاش حياة خالدة و شبابا متصلا، ولكن هذا الأمر مـــستحيل التحقيـــق ويعود ليؤكد هذا الأمر وأن الموت هو العدو اللدود بالنسبة إليه؛ لأنه يحرمه التـــنعم بملذات الحياة التي يحرص على دوامها، و خوفه من الموت هو الذي أسقمه و جلب إليه الشيخوخة المبكرة، فإذا بشعره يشيب و إذا بصحته تـــضعف و إذا بـــه يفنـــى تدريجيا ولا عزاء له:

كيف العزاء وما في العيش مغتبط و لا اغتبـــاط لأقـــوام يموتـــونـــا[2]

أما المتنبي فقد دفعه حب الحياة إلى طلب المجد تحت رايـــة الـــسيف و القلـــم، ومواجهة خطوب الحياة بالشجاعة، وهو يدعو إلى أن يستغل الإنسان هـــذه الحيـــاة ليترك أعمالا عظيمة تبقى شاهده على حياته بعد مماته، و هو لا يخشى المـــصاعب التي تواجهه لأنها تكشف ضعف العزيمة وقوتها ولولاها لأصبح الناس كلهـــم فـــي درجه واحدة:

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر و الإقدام قتال[3]

وتختلف نظرة المتنبي وابن الرومي للحياة عن نظرة أبي العلاء المعري الـــذي زهد فيها وانصرف عنها ونظر إليها نظرة متشائمة وتمنى الموت ولكن الشيء الذي تطرق إليه المعري ولم يتطرق إليه المتنبي هو بداية الحياة في هذا الكون وهو مـــا

---

[1] – ابن الرومي: ديوان ابن الرومي ج 1، اختيار وتصنيف كامل كيلانـــي، مطبعـــة التوفيـــق الأدبية ص 27

[2] – ابن الرومي: الديوان (ج 1) ص 11

[3] – المتنبي، أبو الطيب: ديوان المتنبي، دار الصياد، بيروت ص 490

نبه إليه عبد الوهاب عزام حين قال في المتنبي:" لم يتعرض شاعرنا إلى فلسفة العالم ومبدئه ومنتهاه كأبي العلاء المعري "[1]

لقد ذهب المعري إلى أن الحياة مقدرة على الإنسان منذ الأزل، أوجد الإنسان في هذه الحياة قهرا وسيغادرها قهرا مرة أخرى، بل إن كل صغيرة و كبيرة في حياة المرء قدرت عليه .

ما باختياري ميلادي و لا هرمي و لا حياتي فهل لي بعد تخيير[2]

و لعل هذا الإحساس بالجبرية لدى المعري جاء نتيجة لتجربته في هذه الحياة بالدرجة الأولى، إذ فقد بصره غير مختار ولم يتجاوز الرابعة من عمره.

وقد كان أبو العلاء المعري يناقض نفسه ويتردد في آرائه إذ ليس بوسعه الجزم في أمور مغيبة عنه، سلاحه فيها العقل الشاك ولهذا أدرك المعري أن كل ما يستطيع أن يفعله هو الشك؛ لأن الاطمئنان إلى حقيقة معينه صعب:

أما اليقين فلا يقين وإنما أقصى اجتهادي أن أظن وأحدسا[3]

ولم يقتصر تأمل الشعراء على الحياة بل تعدوها إلى الإنسان وسبر أغوار النفس البشرية، وقد ساعدهم في ذلك الفلسفة واستقرار الحياة الاجتماعية. وقد انطلق المتنبي من فهمه لنفسه فهم نفوس الآخرين، ولذلك فإن تأملاته النفسية كانت تنطبق عليه في الدرجة الأولى:

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام[4]

كما أنه بين أن النفس مجبولة على الشر والحسد وظلم الآخرين ولذلك ثار على الإنسان المطبوع على الخداع و النفاق في نظره:

إذا ما الناس جربهم لبيب فإني قد أكلتهم وذاقا

فلم أر ودهم إلا خداعا و لم أر دينهم إلا نفاقا[5]

---

[1] – عزام، عبد الوهاب: ذكرى أبي الطيب، مطبعة الجزيرة، بغداد 1936 ص 317

[2]– المعري، أبو العلاء: لزوم ما لا يلزم . (ج 1)، تصحيح و تفسير أمين عبد العزيز، مطبعة الجمالية بمصر، ص 259

[3] – المعري: لزوم ما لا يلزم (ج 2) ص 28

[4] – المتنبي: الديوان ص 261

[5] – المرجع نفسه : ص 292

ويلتقي أبو العلاء المعري مع المتنبي في هذه النظرة إلى النفس البشرية حيث يرى أن الشر غريزة في الإنسان وأن هناك صراعا بين الطبع والعقل فالطبع يدفع إلى الشر والعقل يدعو إلى الخير، ولكن النفس أمارة بالسوء مؤثره للغريزة فتغلب الطبع على العقل وانتشر الشر[1] .

ولكي يضع المعري حدا للشر الذي يعم الأرض دعا إلى إيقاف التزاوج لينقرض الجنس البشري وتنتهي شروره، وهكذا نادى الشاعر بالموت كنهاية لمتاعب الحياة وخلاص من الدنس الدنيوي.

والأرض ليس بمرجو طهارتها إلا إذا زال من آفاقها الإنس[2]

ولذلك نجده يرحب بالموت ويتمناه، وهو الذي يرى أنه لا قيمة لأي شيء في هذه الحياة.

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد

وشبيه صوت النعي إذا قيس بصوت البشير في كل ناد[3]

ومع كل هذا فإن المعري قد عجز عن معرفة مصير النفس الإنسانية. وظل يساوره الشك ولم يخرج بنتيجة يستريح إليها:

أما الجسوم فللتراب مآلها و عييت بالأرواح أنّى تسلك[4]

وإذا كان العقل البشري عجز عن معرفة الحقيقة التي يبحث عنها في تأمله فإن هناك من اتخذ القلب وسيلة إلى الاقتراب من الحياة وكشف أسرارها " إذ العقل لا يكفي لأنه يقدم – إذا قدم – إجابة مبرهنة لكنها تخلو من متعة التأمل والالتذاذ الكافي لبلوغ الطمأنينة المنشودة. أما سلطان القلب فإنه لا يقدم كذلك إجابات منطقية جاهزة يمكن الاطمئنان إلى صحتها المطلق، ولكنه يكتفي بإرادة الكشف المتجدد والتأويل

---

[1] – المعري: لزوم ما لا يلزم ج 2، ص 316

[2] – المعري: لزوم ما لا يلزم (ج2) ص 20

[3] – المعري: سقط الزند ، دار الصياد ، دار بيروت ، بيروت 1963 ص 7

[4] – المعري: لزوم ما لا يلزم (ج2) ص 131

والمعايشة الروحانية "[1]، وهذا ما نجده لدى الشعراء الصوفيين الذين لم يشكوا ولم يترددوا، وإنما عرفوا طريقهم واستمروا فيه حتى أدركوا سر الحياة الذي هو الله. وتنبع المعرفة الصوفية من الحب، ذلك الحب الذي يجعل المتصوف يفنى في الذات الإلهية حتى يصير جزءا منها أو يصير هو هي، هذا الحب الإلهي الذي جعله ينظر إلى كل شيء بعين الإجلال والتعظيم، وخير من يمثل الحب الإلهي ابن الفارض والحب عند ابن الفارض كان حسيا في بدايته قبل أن يرقى إلى صورته المجردة والمطلقة. ولم يصل إلى هذه النهاية إلا بعد انتصار على شهوة الجسد، لأن " الهيام بالجمال الإلهي لا يقع إلا بعد الهيام بالجمال الحسي ... والمحبون في الأودية الحسية لا يتجهون إلى العوالم الروحية، إلا بعد أن تدلهم الدنيا على أن الجمال الإنساني كالظل يتحول ويزول "[2] .

لم يمنع الحب الإلهي ابن الفارض من الهيام بالمخلوقات الجميلة ؛لأنها انعكاس لجمال الله الذي يراه خلف المظاهر، فالله عند الصوفي " ليس كما يتصوره العامة بعيدا عن البشر لا يتمكنون من الاتصال به مهما كابدوا من المشقّات بل هو متصل بالكون اتصالا وثيقا "[3]، فابن الفارض يرى جمال الله في كل مخلوق وهو إذ يهيم بالجمال الحسي إنما يهيم بهذا الجمال الإلهي الذي تنعكس صورته على كل شيء .

قال لي: حسن كل شيء تجلى بي تملى، فقلت قصدي وراكا
لي حبيب أراك فيه معنّى غر غيري، وفيه معنى أراكا[4]

كما أن الحب الصوفي مرتبط بالموت، الذي هو بداية الحياة الحقيقية التي يتمناها، و اللحظة السعيدة التي تصهره في وحدة الوجود. ومن هنا استسلم ابن الفارض للموت وهو مغتبط بهذه النهاية .

---

[1] – عيسى، راشد: الخطاب الصوفي في الشعر المعاصر، وزارة الثقافة ،عمان، 2006 ص 13

[2] – مبارك، زكي: التصوف الإسلامي (ج 1) مطبعة الرسالة ، مصر ط 1،1938 ص 292

[3] – غريب، ميشال: عمر بن الفارض، مطابع زحله، الفتاه الحديثة 1965، ص 51

[4] – ابن الفارض، عمر: الديوان، دار الصياد، دار بيروت، بيروت، 1957 ص 160

تتيح المنايا إذ تبيح لي المنى و ذاك رخيص منيتي بمنيتي[1]

ومما تقدم يمكننا القول إن التأمل قد شمل الكثير من قضايا الحياة الإنسانية في العصر الإسلامي وتطور تطورا ملحوظا في العصر العباسي، ولكنه لم يرق إلى أن يشكل ظاهرة في هذا المجال، ولكن ما يمكن أن يشكل ظاهرة في هذا الباب هو الشعر الصوفي الذي شكل ما يشبه مدرسة لها أفكارها وطريقة تعبيرها .

أما في العصر الحديث فقد ارتد التأمل إلى الإنسان الذي أثبت قدرته في السيطرة على الطبيعة، بعد الثورة الصناعية في القرن السادس عشر بأوروبا، والذي فرض نفسه في مجالات الفكر الأخرى، من هنا "اكتشف الناس أن قدرات الإنسان لا حد لها، وأنه إذا أطلق له العنان حقق العجب، عند ذلك هبطوا بفكرة الإله إلى الأرض وأحلّوا فكرة الإنسان محله، وأصبح الإنسان مركز الكون ومحور الحياة "[2]؛ إذ اتجه الأدب إلى الإنسان يتأمل جوانبه المختلفة متعمقا في فهم نفسيته وعلاقته بالمجتمع وعلاقته بالكون أجمع .

وقد انتقلت هذه الفلسفة من الغرب إلى الشرق في عصر النهضة إذ أخذ العرب يترجمون إلى لغتهم آداب الغرب وفلسفته ونظرياته، حيث تغيرت نظرة الشاعر الحديث إلى الحياة إذ وجد فيها الجمال الذي يبهجه ويسعده والتجدد الذي يحفزه على التطور المستمر .

وقد ساعد على انتشار النزعة التأملية في الشعر العربي الحديث ، مفهوم النقاد للشعر ووظيفته، فالعقاد كناقد مثلا قد دعا إلى شعر التأمل؛ لأنه يرى فيه الشعر الحقيقي الخالد . يقول العقاد في مقدمة ديوانه "بعد الأعاصير": "الحقيقة التي ينبغي أن نحضرها في أذهاننا هي أن الأدب الرفيع لم يخل قط من عنصر التفكير، وأن الشاهد على ذلك أدب الفحول بين الشعراء العالميين، ومنهم أمثال شكسبير وجيننـي والخيام وأبو الطيب "[3] .

---

[1] – ابن الفارض: الديوان ص 35

[2] – إسماعيل، عز الدين : الفن والإنسان، دار القلم ، بيروت ط 1، 1974، ص 82

[3] – العقاد : مقدمة "بعد الأعاصير"دار المعارف،القاهرة 1950،ص ص 12،13

وقد حاول تطبيق ما نادى به فكتب شعرا في التأمل إلى جانب عبد الرحمن شكري وعبد القادر المازني. وكانت الدعوة إلى التأمل على أشدها عند شعراء المهجر من أمثال ميخائيل نعيمه، وجبران، وإيليا أبو ماضي، ونسيب عريضة، ورشيد أيوب وغيرهم، ممن جعلوا التأمل محورا لأدبهم حيث استطاعوا أن يقتربوا من الطبيعة التي يفضون إليها بمشاعرهم وأحاسيسهم فإذا هي روح تبادلهم الحديث والنجوى، وإذا هم يحاورنها و يستخلصون من ذلك تأملات في قضايا الموت والحياة. كما تأملوا النفس الإنسانية؛ لأنهم يرون فيها محور الحياة فكل ما هو بالخارج امتداد لها، وما الأشياء إلا جزء من هذه النفس. فإذا تأمل الشاعر هذه الأشياء تأمل ذاته فيها، وإذا تأمل ذاته رأى الأشياء فيها .[1]

فقد كانت النزعة التأملية لدى شعراء المهجر حصيلة عوامل متشابكة، من تجاربهم في الحياة ومطالعتهم للثقافة الغربية والعربية، وقراءتهم للكتاب المقدس، وما يتصل به من الفلسفات الشرقية، ومن ملاحظاتهم في الحياة، فكل هذه العوامل متشابكة شكلت المنحى الفكري لشعراء المهجر، والذي على أساسه قامت نزعتهم التأملية.[2] ونشير في هذا المجال إلى قصيدة إيليا أبو ماضي "الطلاسم" التي تمثل قمة الشعر التأملي الفلسفي، الذي يستند إلى رؤية للحياة وتصور حقيقة وجود الإنسان، وعدم جدوى تساؤلاته التي ينهيها بـ "لست أدري"، فالذي يقرأ تلك القصيدة يجد الشاعر يستهلها بالتساؤل الحائر عن مصدره، وعن سر وجوده في الحياة، وكيف وجد ولماذا يموت، أهو قديم أم حديث وأهو مسيّر أم مخيّر، ما هو الفكر، وكيف تدب الأماني في القلب وإلى أين تذهب الأحلام، يقول أبو ماضي [3]:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت
وسأبقى ماشيا إن شئت هذا أم أبيت

---

[1] – علاق: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية ص 66

[2] – علاق: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية ص 60

[3] – أبو ماضي، إيليا : الديوان، دار العودة، بيروت، ص 191

كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقي ؟

لست أدري

فالشعر التأملي عند شعراء المهجر يخاطب الفكر والعاطفة معا، فهو يثير أفكارا وتساؤلات كما يثير مشاعر متنوعة بتنوع تلك الأفكار والتساؤلات، ومن خلال نظرة عابرة إلى بعض دواوينهم تكشف لنا نوعية الموضوعات المطروقة في شعرهم، فديوان " همس الجفون " لميخائيل نعيمة يدور حول نفسه ويظهر ميله إلى الزهد والصوفية، وقد جاء ديوانه همسا بينه وبين نفسه يتناول ما يضطرب فيها من نوازع الخير والشر، وذلك الصراع بين العقل والقلب، والجسد والروح وقد اشتملت هذه التأملات الشعرية على أفكار فلسفية. وإذا انتقلنا إلى أشعار جبران خليل جبران نجده كذلك روحانيا عازفا عن الماديات يغلب عليه الطابع الصوفي وخير مثال على ذلك قصيدته الطويلة " المواكب " التي لخص فيها تجاربه وفلسفته في الحياة، حيث تناول شعره النفس وعلاقتها بالطبيعة والمجتمع، وما اتصل بها من مشاعر مختلفة كالحب والكره، والعدل والظلم والحياة والموت،يقول جبران في قصيدة " المواكب"[1]:

الخير في الناس مصنوع إذا جبروا والشر في الناس لا يفنى وإن قبروا

وأكثر الناس آلات تحركها أصابع الدهر يوما ثم تنكسر

فلا تقولن هذا عالم علم ولا تقولن ذاك السيد الوقر

ويتجه جبران للغاب ليجد فيه مبتغاه وهو العالم المثالي الذي تنتفي فيه كل الثنائيات،وتذوب فيه كل المتناقضات، فلا راع ولا رعية ولا سيد ولا مسود، يقول[2]:

ليس في الغابات راع لا ولا فيها القطيع

فالشتا يمشي ولكن لا يجاريه الربيع

خلق الناس عبيدا للذي يأبى الخضوع

فإذا ما هب يوما سائرا سار الجميع

إن حياة الناس تقوم على الثنائية: الخير والشر، الحب والكره، العدل والظلم، الفرح والحزن ولكن جبران يريد حياة مثالية، وهي حياة الغاب التي تكمن فيها

---

[1] – جبران، جبران خليل: المواكب، مؤسسة نوفل، بيروت، ط2 ،1985 ، ص 23

[2] – المرجع نفسه، ص 23

السعادة الحقيقية. ويستمر الشاعر في تأملاته حيث يقارن بين حياة الغاب التي ينشدها، وحياته التي يعيشها، فيتحدث عن الموت والفناء والحياة التي يراها كالحلم ويتأمل في الإنسان ويبين حالة الصراع التي يعيشها وهو يركض بحثا عن السعادة.

ونجد هذه التأملات عند نسيب عريضة صاحب ديوان " الأرواح الحائرة " إذ جاء معظم شعره تأملا في النفس والصراع القائم بين العقل والقلب، والروح والجسد، ورحلته النفسية بحثا عن الحقيقة كما في قصيدته المشهورة " على طريق إرم "، وقد غلب عليه الميل إلى الزهد والصوفية [1].

وأمّا في الشعر الأردني فقد برز الاتجاه التأملي جليا عند بعض الشعراء الذين تأثروا بالمدارس الأدبية المختلفة، مثل عرار، وعيسى الناعوري، وحسني فريز، ومحمود فضيل التل، وخالد محادين، وحيدر محمود، وعبد الرحيم عمر، ومحمود الشلبي وعبد المنعم الرفاعي، وتيسير السبول وغيرهم. فقد وجدوا في الطبيعة مجالا رحبا للتعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم، كما تأملوا النفس الإنسانية وخلق الإنسان وتأملوا في الحياة والموت، وكثيرا ما كانوا يربطون بين ذلك ومظاهر الطبيعة المختلفة.

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا مدى الخطوات التي قطعها التأمل في الشعر العربي بصورة عامة. فقد تطور من حكم متناثرة في ثنايا القصائد إلى قصائد مستقلة في التأمل. وتغيرت النظرة الجزئية إلى الأشياء إلى نظرة أكثر شمولية .

وانتقل اهتمام الشعر التأملي من الجماعة كما هي الحال في الجاهلية، إلى القوة الإلهية عند الصوفية، ثم إلى الإنسان في الشعر الحديث. هكذا كان يختلف التأمل من عصر إلى آخر، تبعا للحياة الاجتماعية، والثقافية والسياسية .

---

[1] - علاق: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية ، ص ص 72- 74

الفصل الأول

التأمل في الطبيعة

مدخل

الشعر التأملي مرتبط بمشكلة تحقيق الذات، والبحث عن الخلود، ومنذ تساءل الفلاسفة والمصلحون عن سر الحياة كان الخلود ضآلة الإنسان المتأمل، الذي نحت في الصخر كلمات لتبقى، ورأى في الشعر بقاء وخلودا، فالشعر يحمل شيئا من القيم والرؤيا المباركة بين الأرض والسماء، ويشحن بالقلق وإرهاف الحس، والقدرة على اجتياز المتاهات بحثا عن اليقين[1].

اختلفت رؤية الشعراء الأردنيين إلى الطبيعة الأردنية، فمنهم من وصف سمات الأردن الخارجية بألفاظ وتشابيه واستعارات، وبعضهم بحث في الطبيعة الصامتة، والسمات الخاصة من أشجار الزيتون والسنديان إلى حياة القرية والريف والتعلق بالوطن، ووصف الربيع والصيف، إلى التغني بالمكان والمدن الأردنية، والوديان والغور ووصف الثلج[2].

فقد مجد الشعراء الطبيعة ومظاهرها المختلفة وامتلأ شعرهم بالحنين والألم والنفور من حياة المدينة، حيث وجد الشعراء في الطبيعة العالم المثالي الذي يحلمون به، ويأملون أن يتحقق في مجتمعاتهم، وهذا ناتج عن تأثرهم بالمد الرومانسي وبمدرسة الخيام ونظرات الصوفيين وشعر المهجريين [3].

كما اتجه الشعراء الأردنيون إلى القيم الإنسانية وإلى الإنسان، فظهرت في الشعر الأردني بعض القيم الإنسانية، مثل قيمة الحرية في الوطن، ونبذ الظلم ورفض الزيف، وسطحية النظر إلى الأشياء، والتعاطف مع النكبات الإنسانية مع

---

[1] – عطيات، محمد: الحركة الشعرية في الأردن تطورها ومضامينها(1921–1967) ، لجنة تاريخ الأردن، عمان ،ط1، 1999م ، ص 454

[2] – المرجع نفسه: ص 116

[3] – المرجع نفسه: ص 408

الشعوب الأخرى ضد الكوارث والحروب الظالمة للشعوب، والتسامح الديني ووحدة الأديان [1].

إن بذور الحس الإنساني وحب الحكمة، ومحاولة البحث للوصول إلى المعرفة اليقينية قد شغلت بعض الشعراء الأردنيين، ومالوا إلى تقصي الحقيقة والخير والسعادة، من كل اتجاه إنساني في شعرهم [2].

كما انطلق شعراء الأردن من خلال الرثاء إلى قصائد تأملية في الحياة والموت، لينتقلوا إلى مشكلة تؤرق البشر عامة وتقض مضاجعهم وهي الموت، فنظروا للموت نظرة فلسفية تأملية، وبينوا موقف الإنسان من الموت والحياة، فتساءلوا عن سر الموت، وما هي الطرق لمواجهته ؟ [3]. كما تأملوا الحياة من زوايا مختلفة فمنهم من كان يقبل عليها، ويرغب فيها، ومنهم من نظر إليها نظرة احتقار ورأى أنها زائلة .

التأمل في الطبيعة

كان الشاعر العربي القديم يتأمل في الطبيعة تأملا حسيا في أغلب الأحيان، وكان نتيجة ذلك أن نقل إلينا الطبيعة كما هي كأنه مصور فوتغرافي. لقد اكتفى بشكلها الخارجي دون أن يتغلغل في أعماقها أو يضفي عليها من مشاعره وأفكاره، والسبب في ذلك أنه كان يعتمد حواسه في تأمله للطبيعة لذلك لم يتجاوز الظاهر إلى الباطن. ومن شأن الحواس أن لا تدرك الطبيعة في وحدتها وشمولها إنما تدرك أجزاء منها، ومن هنا أصبحت الطبيعة في الشعر العربي القديم مناظر ومشاهد مبعثره لكل منها استقلاله الخاص[4].

وكان للشعراء الرومانتيكيين في الشعر العربي الحديث في هذا المجال جولات واسعة، فقد عاشوا في الطبيعة وجعلوها الملاذ الأول ووحي الضمير، بل خلقوا منها ذواتا حية وكائنات يناجونها فتواسيهم وتخلص لهم الود والوصال، ومن هنا شغلت

---

[1] – عطيات: الحركة الشعرية في الأردن تطورها ومضامينها(1921–1967)، ص 413

[2] – المرجع نفسه: ص 421

[3] – المرجع نفسه: ص408

[4]– داود، أنس: الطبيعة في شعر المهجر، القاهرة ، د.ت، ص 11.

الطبيعة نصيبا أكبر في شعرهم وجعلت لهم هذا الكيان المتميز في حركة التجديد في الشعر المعاصر خلال قرن كامل عرف من المذاهب والرؤى والمنازع وألوان التطور ما لم يشهده عصر من عصور الشعر العربي من قبل. وكان للطبيعة على هذه النخبة المنتقاة من الشعراء فضل عظيم[1].

وكان الشاعر الرومانتيكي غريبا في عصره، فكان منهم العصبي سريع التأثر، وكان منهم صاحب العقل المتزن الورع، ولم يكن الرومانتيكي ذلك الإنسان المرح المتفائل؛ لأنه كان يعيش فريسة ألم حاد بسبب الهوة بينه وبين المجتمع. هذا المجتمع الذي لا يفرد فيه نبل الأحاسيس وصدق المشاعر؛ لذلك عزم الرومانتيكي على استبدال وطنه بوطن آخر يجد فيه الأمن والهدوء، وينعم بين هياكله بالمتعة اللامتناهية. وهم ينشدون الخلود بين أحضان الطبيعة؛ لأن النفس الكبيرة كما يقول شاتو بريان: " تحوي من الآلام أكثر من النفس الصغيرة وإذا كانت السعادة بعيدة المنال فإن النفس الرومانتيكية طموحة جدا، تجد اللذة حتى في آلامها لاسيما إذا عانقت هذه النفس الطبيعة الخالدة فوجدت فيها الأنس والمتعة والنشوة التي يعبر عنها بالدموع، والإحساس الصادق"[2] .

وهذا ما نجده في الشعر العربي الحديث حيث اكتسب تأمل الطبيعة بعدا جديدا هو البعد الروحي،ونحن نجد هذه الميزة تتجلى أكثر ما تتجلى في الشعر المهجري بصورة خاصة، وهذا يعود إلى أن الشاعر بدأ يقترب من الطبيعة ويسعى إلى الامتزاج بها وهؤلاء الشعراء يعالجون قضايا كونية من خلال الطبيعة، فهي المجال الذي ينطلقون منه إلى ما يشغل خواطرهم من مشاكل وما يعتلج في داخلهم من مشاعر وأفكار.

---

[1] -عوين، أحمد : الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ، ط 1، 2001 . ص 5

[2] – غربي، فاطمة الزهراء: الإنسان والطبيعة في شعرية ابن خفاجة و الرومانسيين الفرنسيين (دراسة مقارنة) دار المتنبي ، اربد، ط 1 2002 ص 92-93

لقد كانت الطبيعة تمثل المدرسة التي تتلمذ عليها شعراء الأردن، وأخذوا عنها الجمال والحب والفضيلة، وقد استطاعت الطبيعة أن تغير نظرتهم إلى الحياة، كما دفعتهم إلى إعادة النظر في القيم الاجتماعية .

لقد أثر شعراء المهجر في كثير من شعراء الوطن العربي ومن ضمنهم الشعراء الأردنيون ويظهر هذا التأثير جليا واضحا عند كثير من شعراء الأردن نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر عيسى الناعوري، وحسني فريز، وعرار؛ إذ نجد النزعة الرومانسية والتأملية جلية في أشعارهم، فالناعوري مثلا ألف العديد من الكتب عن مدرسة المهجر منها:" أدب المهجر"، و"إيليا أبو ماضي رسول الشعر العربي الحديث"، و" إلياس فرحات شاعر العروبة في المهجر"، وهذا إن دل على شي فإنما يدل على صلة الشاعر العميقة وتأثره بشعراء المهجر.

فالشاعر الذي يتوحد مع الطبيعة ويجعلها تشاركه همومه وآلامه، نجده أيضا يتألم لما يراه من قسوة الإنسان على الطبيعة، فهذا عيسى الناعوري يتقطع قلبه حزنا وألما حين يرى منظر زهرة ذابلة لا تجد من يعتني بها ويرعاها، أو حيوانا مقتولا أو حشرة تدوسها الأقدام، يقول في قصيدته (أود أن أرى)[1]:

يحزن قلبي أن أرى برعم زهر يذبل

أو حيوانا يقتل

أو حشرة تدوسها الأقدام

لكنما يبهجني أن تضحك الزهور

وتنثر العبير

وتزهو الحياة بالشباب

إن هذه المشاعر الجياشة قلما نجدها عند الإنسان العادي؛لأنه لا ينظر إلى الأشياء بإحساس عميق أو شعور بالتوحد مع الطبيعة كما هو الحال عند الشاعر أو الفنان، ونجد الشاعر أيضا يشارك الزهور بهجتها وسرورها، فهو يبتهج لبهجتها وهو يراها تنثر عبيرها وتزهو بالحياة .

---

[1] – الناعوري: أخي الإنسان ص 24

ويرى عيسى الناعوري في قصيدة بعنوان (قريتي في الربيع) أن الربيع هو بهجة الحياة وهو الذي يشيع فيها الحب ويستثير فيها الخيال، كما أن الشاعر يتألق في رسم صورة رائعة لفصل الربيع الذي تبتهج بقدومه النفوس، فهو يزيل الهم والحزن من نفوس البشر يقول [1]:

مبدع الحسن والربيع !حنانا !
لا تدع للربيع يوما زوالا !
إنه بهجة الحياة يشيع الحب
فيها، ويستثير الخيالا
إنه بسمة على كل ثغرٍ
تجعل الخلق بالجمال ثمالى
كل نفس تنوء بالحزن والهم
يزيل الربيع عنها الكلالا
في بهاء الربيع يبصرك الناس
جميعا، فيعبدون الكمالا

إنه يدعو إلى المحبة الخالصة اقتداء بالطبيعة؛ لأنها أساس للتضامن الاجتماعي والحياة الفضلى، فهو يرى فصل الربيع فصلا جديدا من الزمان تتجدد معه الحياة .

ونجد أنفاس الطبيعة الرقيقة الناعمة تفوح في قصائد الشاعر عبد المنعم الرفاعي ففي قصيدة بعنوان " الزهرة الذابلة "، يتأمل الشاعر الطبيعة ويجعل الزهرة الذابلة تمثيلا لحال الأمة العربية التي تقع تحت نير الاحتلال، يقول [2]:

قد طلع الصبح فأين الشذى وفيك حلم يرجو الصباح
ورونق الحسن خبا سحره وأسدل الليل عليه الوشاح

---

[1] – الناعوري : أخي الإنسان ص ص 35-36

[2] – الرفاعي، عبد المنعم: شعر عبد المنعم الرفاعي، جمع وتحقيق إبراهيم الكوفحي، الشركة الجديدة للطباعة والتجليد، عمان،ط 1، 2003، ص 49

وأُذبل الورد علـــى عـــــوده ومال مفتـــر وأغفى أقـــــاح
وقد جفاك النور يا زهـــرتـــي وعاقرت جنبيك هوج الريـــاح
وجئت لا ألمـــح فيـــك السنـــا ولا أغني فيك رجع الصُّـــداح
ولا أرى طيفـــك بيـــن الرؤى في ذروة المجد وأفق الطمـــاح
مواكب الزهر مشت في الربى وزهرتي في حوضها المستباح
لا النور في أرجائهـــا طافـــح ولا الغدير الثر عذبٌ قـــــراح
أسقيتها من أدمعـــي فانتشـــت وهز عطفيها الندى و المِـــراح
حتى إذا جُنَّ عليهـــا النـــــوى أغفت على تلك الليالي المـــلاح
تذَّكـــر المجـــد فلا تلتقـــــــي إلا بأحكـــام القضـــاء المتـــاح
فأنثني أمســـح مـــن دمعهـــــا وأغتدي ألثم منهـــا الجـــــراح
يا دار هل بعد الكرى يقظـــة تلقي على ساحك غضَّ الصباح؟!

فالشاعر في هذه القصيدة يناجي الزهرة، ويسأل عن حالها؛ لأنه لـــم يعـــد يـــشم رائحتها الزكية،ولم يعد يرى سحرها؛ لأن الليل قد سرق هذا السحر وتلك الرائحـــة، ولعل الشاعر يقصد بالليل الاستعمار الذي كان مسيطرا على البلاد العربية، وأفقدها حريتها وسلب منها مجدها العريق هذا الاستعمار الذي تـــسبب بـــالخراب والـــدمار للأمة، فقدوم الليل جعل الزهرة عرضة للموت والاندثار وأصبحت في مهب الريح، ولم تعد كباقي الزهور متفتحة، وهذا شبيه بحال الأمة العربية حيث إن جميع الأمـــم تقدمت في حين بقيت على حالها، بعد أن كانت في الماضي تتربع على عرش المجد في شتى المجالات، ويبقى الشاعر يكفكف دموع الزهرة ويداوي جراحهـــا، ولكنـــه يختم قصيدته بسؤال إلى متى ستبقى الأمة على هذه الحال المحزنة ؟.

ومن مظاهر التأمل في الطبيعة التأمل في فصل الربيع الذي يمثل رمزا للخصب والنماء، وبعث الفرح والسرور في نفوس البشر، ففي قصيدة للملـــك عبـــد الله بـــن الحسين يتأمل الربيع، ويعبر عن مشاعر الفرح والسرور بقدومه، يقول [1]:

---

[1] – ابن الحسين، الملك عبد الله: خواطر النسيم، جمع وتحقيق خلف إبـــراهيم النوافلـــة، وزارة الثقافة، عمان ط1 ،2007 ص ص83-84

وأيام الربيع هي ربيـــــع فلا وجل لدي ولا صـــــراع
وإذا النيروز أقبل قلت :أهلا لمـــا يشرى بـــه وبما يبـــاع
هدايا عيده عُرفت قديمـــــا لنور الشمس ضحوته شعـــاع
به النسرين يضحك في نداه بموجات النسيم لـــه ارتفـــاع
تغنى طائـــر في كل غصن وكم يحلو لدى الطير السمـــاع
لعندلة بـــه ترجيع صـــوت لقلب العاشقين به انصـــــداع
فهذا الفصـــل كل فصـــــل فلا ميـــن لـــدي ولا نـــــزاع

إن فصل الربيع يشكل عيدا تحتفل به الكائنات جميعا، لما فيه من فرح وســـرور وطمأنينة للنفس، فالناس يحتفلون بقدومه والطيور تغرد والشمس تنشر نورها ساطعا دافئا. ويعود الشاعر عيسى الناعوري فيتأمل عودة الربيع في قصيدة أخرى بعنوان (عودة الربيع) حيث تتجدد معه الحياة، وتنمو الكائنات وتزهر به الرياحين، و تغـــرد فيه الطيور، وتسعد معه النفوس، فهو ابتسام وابتهاج وعيد جديد للحياة، يقول[1]:

عاد الربيع الحلو يضحك للربى ويرش في الدنيا شذا أزهـــاره
فأعاد للطير الصداح وصب في سمع الأزاهر وشوشات هزاره
والدوح ألبسه الشباب فأينعـــت أغصانه، وافتر عن نـــــــواره
وإلى الفَراش أعاد حلو رفيفـــه فشكت خدود الزهر لاستهتاره

وعلى الرغم من البهجة والسرور بمقدم الربيع، إلا أن هذا الربيع يؤرق الشاعر ويظهر عنده الحزن والأسى على حال أمته العربية، فهو يتمنى أن يعود لها ربيعهـــا كما عاد الربيع للطبيعة فبث فيها الحياة والفرح والسرور يقول[2] :

فمتى يعود ربيع قومي للحمـــى في المونق النشوان من أياره ؟
والسامر المهجور يحتضن الألى أقصتهم الأيـــام من سمـــاره

وقد اتخذ الشاعر الأردني من الطبيعة خليلا وصاحبا يناجيـــه ويبثـــه أشـــواقه وحنينه، آلامه وآماله، فحسني فريز في قصيدته (السنديانة العجوز) نجده يتوحد مـــع

---

[1] – الناعوري : أناشيدي ص 47

[2] – المرجع نفسه.

هذه السنديانة ويجلس إليها ويبثها آلامه وأحزانه، فهو يعيش وحيدا كما هي حال هذه الشجرة التي كانت وارفة الظلال، ولكنها الآن وحيدة لا أنيس لها يقول[1] :

في سكون الدجى سكنت إليها عندما أجلب الزمـــان عليـــا
هي في وحشة التوحد مثلـــي غير أني قضيت عمري شجيا

فهذه الشجرة قد توالت عليها العصور، وكتمت الكثير من الأسرار، وتلاقى عنـــدها الأحبة، يبثونها شكواهم ونجواهم .

تركت عند ردنها كـــل ســـر كان عن أعين الأنام خفيـــا
كم فتاة أرق من وجنة الفجر وأحلى من باسم الورد ريـــا
تشتهي أن ترى حبيب مناها أو ترى طيفه الخفيف الرضيـا
وفتى ناضر الشباب أتاهـــا ليري الغانيات غصنا نديـــــا
يحمل الشوق والتباريح ممن خلَفـــتـــه معـــذبـــا منسيـــا

وهذه الشجرة (السنديانة) ذات قلب كبير، فهي لا تبخل بحبها وعطفها على أحد ولا تحتضن المحبين فقط، بل إنها أيضا تصبح ملاذا لكل طريد سواء أكان عاشقا أم شجاعا أم أديبا أم عبقريا، وهذا ما ينشده الشاعر من هذه الحيـــاة، وهـــي المحبـــة والعطف والمساواة بين الجميع، وهو يريد أن يؤكـــد المحبـــة الخالـــصة والعطـــاء الصرف لدى الطبيعة؛ لأنها تسبغ على الأحياء من نعمائها بغيـــر حـــساب دون أن تنتظر جزاء أو شكورا .

وطريد في ليلة تنفث الموت وتزجى الأنواء فيها الدويـــا
خبأته في قلبها عن أعاديـــه وأبدت لـــه حنانـــا سخيـــا
إنه كان عاشقا أو شجاعـــــا أو أديبـــا موفقـــا عبقريـــا[2]

وينتقل الشاعر ليسأل السنديانة عن حالها وهو من خلال ذلك إنما يريد أن يصل إلى الحقيقة المؤرقة لكل كائن حي، وهي أن مصيره الزوال مهما طال به العمر، وقـــد وضع الشاعر الطبيعة مرآة أمام الإنسان ليقارن بينه وبينها، وكأنه يريد من ذلك أن يفطن الإنسان إلى نفسه فيغير فيها، ويقترب من القيم المثالية للطبيعة .

---

[1] – فريز: الأعمال الكاملة ص 77

[2] – المرجع نفسه، ص 77

قلت يا دوحة المنى أنبئيني عبث الدهر قاسيا ورخيا
أين جاراتك الحسان وأين المؤنس الذي يسر النجيا
كيف غالت يد المنون لدات كن أنسا وكن نورا بهيا[1]

لقد جعل حسني فريز السنديانة زاهدة في الحياة تعطي ولا تأخذ، وآية يتأملها ويتخذها مثالا في حياته، وهو يريد أن يشير إلى الخير الموجود في نفسه من خلال إشارته إلى عطاء السنديانة الذي لا ينقطع .

قالت اسمع فليس في العيش زهر لم يفتح أكمامه في يديا
قصتي في الحياة ليست عجابا إنما حكمتي تروق الذكيا
كنت كالنحلة الدؤوب تراها تكنز الشهد وهي تملي الرويا
كنت أشدو و أملأ السهل ظلا و حنانا فيهرعون إليا
ويروون أضلعي بدموع أو لحون تجدد العزم فيا[2]

ويلجأ حسني فريز إلى التعبير عن فكرة إنسانية من خلال الطبيعة، فهو في قصيدته " السنديانة العجوز" إنما يقارن بين صورتين: الصورة الأولى تمثل الإنسان الخير المعطاء القنوع والذي تمثله السنديانة العجوز، أما الصورة الثانية فهي ترمز إلى الإنسان الأناني الذي تقتله أنانيته في النهاية. فالإنسان الذي لا يرضى بما قسمه الله له ولا يحمد الله على نعمه، وليس عنده إيثار للآخرين ولا يحمل الحب في قلبه سيكون مصيره الزوال وهذه الصورة تمثلها جارة السنديانة العجوز.

بينما جارتي بغض صباها تشتكي بؤسها العصيب الغويا
ثم تنسى في بؤسها نعمة العيش فتحكي الخلال شكلا وزيّا
فيجيء الحطاب يعمل فيها فأسه الفاتك الشديد الفتيا [3]

وقد أتخذ الشعراء من تأملاتهم في الطبيعة ملاذا لهم، ليعبروا عن غربتهم وحنينهم إلى الأوطان وإلى الأهل، فالشاعر حيدر محمود يقف متأملا نهر الأردن ويناجيه ويبث حنينه وأشواقه من خلاله، فنهر الأردن له مكانة خاصة في قلوب

---

[1] – فريز : الأعمال الكاملة ص 77

[2] – المرجع نفسه.

[3] – المرجع نفسه.

الشعراء؛ لأنه يجري في البلاد التي بعث الله فيهـا أكثـر الأنبيـاء وهـي الأردن وفلسطين؛ ولذلك فقد أطلق الشاعر على هذا النهر " نهر الأنبيـاء " وهـو عنـوان قصيدته التي يتأمل فيها النهر، يقول [1]:

ينساب .. واسم الله حادي ركبه
يا طيب منبعه وطيب مصبه
نهر ..يموت الدهر ..وهو مخلد
لا ينثني عن سيره في دربه
فيه جلال الأنبياء .. وبوحه
الأزلي ..آيات لقدرة ربه
يسقي الثرى الصادي فيستعلي على
كل الجنان ..بسحره و بخصبه
لكأنه ..لمّا يوشوش ماؤُهُ
حباتِهِ..صبٌّ يبوح بحبه ..

فالشاعر يقف متأملا نهر الأردن الذي يتميز بقدسية خاصة ونجده يضفي عليـه صفة الخلود، حيث إنه هبة من الله للطبيعة وماؤه يحول الأرض العطشى إلى جنان خصبه، ويصور الشاعر نهر الأردن عندما يروي ذرات التراب بالعاشق المتيم الذي يلتقي بمحبوبته، ويسجل النهر تاريخ أمجاد العرب وبطولاتهم فهـو رمـز للوحـدة العربية، يقول [2] :

يا نهر .. يا دفاق بالأمجاد
يا رمز وحدة أمتي وبلادي
لن تُستذلّ وفي العروق بقية

---

[1] – محمود، حيدر: الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، أمانة عمان الكبرى، عمان، ط1، 2001م، ص ص 185 – 186

[2] – المرجع نفسه، ص 189

من عزة الآباء والأجداد

تفديك يا نهر الخلود دماؤنا

وسواعد الأبناء .. والأحفاد

وها هو عيسى الناعوري في قصيدة بعنوان(على ضفة الأردن) يناجي نهر الأردن ليعبر عن حبه لوطنه، وتعلق قلبه وروحه فيه، ويوجه إليه أسئلة حول إمكانية عودته لوطنه؛ لأن هذه العودة تبل روحه المتعطشة لرؤية وطنه الذي يتحرق شوقا للعودة إليه، وتكفكف آلامه الدامية يقول[1] :

أيا نهر روحي عليك تحوم ... مع الطير في غربتي الباكية

عشقت ضفافك منذ الصبا ... وأحببت أمواهك الجارية

أيا نهر هل عودة للغريب ... إلى عش آماله الهانية ؟

أيا نهر هل عودة للغريب ... تبلّ صدى روحه الظامية ؟

أيا نهر هل عودة للغريب ... تكفكف آلامه الداميه

أيا نهر كم من سؤال ... تردّده روحي الشاكية

لقد قدر الله لي غربة ... صليت بنيرانها اللاظية

تطول ولكن على طولها ... يكون عذابي وآلاميه

فالشاعر يبث مشاعر الحنين للوطن من خلال مناجاته لنهر الأردن الذي يمثل رمزا للوطن الحبيب الذي يحن إليه الشاعر. وها هو أيضا في قصيدة أخرى بعنوان (مع الحمام) يشعر بالشوق والحنين إلى أهله ووطنه، وهذا الحنين يشعره بالحزن والكآبة، ولكنه عندما يقف بين الحمام فإنه يستعيد الابتسامة ويشعر بالفرح والسرور، يقول[2]:

وهنا ببولونيا الجميلة ... أستعيد الابتسام

بين الحمام. وما أحب ... إلي أسراب الحمام

رمز السلام على يدي ... توحي لروحي بالسلام

---

[1] – الناعوري: همسات الشلال ص 10_ 11

[2] – الناعوري: أخي الانسان ص 52

إنه يبدأ بعد ذلك الشعور بالأنس والمحبة المتبادلة بين الشاعر والحمام، وهي لا تشعر بالخوف منه؛ لأنه لا يضمر لها أيّ شرّ، بل أخذت تتودد له بصوتها العذب، وترحب به، يقول[1]:

أنست إلي كما أنست لها، وطاب لها المقام
وتزاحمت أخواتها وتوددت لي بالبغام
فكأنما كانت ترحب بي وتهديني السلام

ولكنّ هذا الأمر زاد أحساس شاعرنا بالشوق والحنين إلى أهله وأطفاله ووطنه، إذ يطلب منها أن تعيره أجنحتها؛ ليعود إلى وطنه وأهله ويبقى بينهم، يقول[2] :

مرآك يا رمز البراءة زاد في شوقي اشتدادا
جعل الحنين لقلبي النائي عن الأحباب زادا
فأنا أحب كما تحبين التآلف و الودادا
وأود أن ألقى أحبائي وإخواني البعادا
هاتي أعيريني الجناح لكي يبلغني المرادا
فأطير نحو أحبتي ألقاهمو وأرى البلادا
ويعود سربي مثل سربك لا افتراق ولا ابتعادا

ومن أهم القيم التي كان يتوق إليها الشعراء هي الصدق والإخلاص، والابتعاد عن الزيف والرياء، والتخلص من المجتمع المادي الذي يقوّم الإنسان فيه بما يملكه من مال وعقار لا بما يملكه من أخلاق وقيم .

يقول محمود فضيل التل في قصيدة بعنوان (جداول الصحراء) [3]:

جميلة
بديعة
أيتها الصحراء
ريّانة بسراب حلمك

---

[1] – الناعوري : أخي الانسان ص 53

[2] – المرجع نفسه: ص 53 ـــ 54

[3]- التل، محمود فضيل : آخر الكلمات ص 66 – 67

حيـــــــــــة

فيّـــــــــــاضة

حتى بدون ماء

ألقاك في صور الألى

في غاية الصفاء والنقاء

أيتها الصحراء !!

يا ليتني أزرع في رمالك

وأنتمي لغرائب الأشتال في وديانك

كغرائب الأفكار في حرارة الصحراء

وأراك رغم ما بنا

غنية بالحب والخيال والأسماء.

وهذا عرار أيضا يربط بين حنينه للوطن والطبيعة، التي يرى فيها الحضن الأمومي متمثلا في الأرض الأم الكبرى للخليقة، وبكل ما يحمله هذا المكان الطبيعي من مفردات الماء، والشجر والنبات والأزهار والثمار بوصفها ألعاب الطفل الأولى، ومع نفور واضح من المكان الذكوري، متمثلا في المدينـــة وعلاقاتهـــا التناحريـــة، السياسية الاجتماعية والاقتصادية على حد قول أحمد المصلح [1].

يقول عرار في قصيدة بعنوان (بين الخرابيش)[2]:

يا بنت وادي الشتا هشت خمائلـــه لعارض هلّ من وسميّ مـــبدار

(وثغرة الزعتري) افترّ مبسمـــــها عن لون خدك إذ تغزوه أنظاري

وسهل إربد قد جاشت غواربـــــــه بكلّ أخّاذ من عشـــب ونـــــوّار

إن الشماليخ في حصن(الصريح) لقد حالت إلى عسل يا بنت فاشتاري

---

[1]-الشعر في الأردن وموقعه من حركة الشعر العربي: أوراق ملتقى عمان الثقافي الخامس ص 79

[2] – التل مصطفى وهبي: عشيات وادي اليابس، جمع و تحقيق زياد الزعبي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط2 ، 1998م، ص 265

فعشق عرار للأرض والطبيعة الأردنية باق إلى الأبد، إنه يربط الوطن بالطبيعة كما يربط الوطن بالمحبوبة ويتغنى بطبيعته، يقول في قصيدة بعنوان(يا ميّ)[1]:

يا ميّ (جلعاد) الأشم كعهده ما زال يربض جاثما بمـــكانه
و(الغور) ما انفكت غدائر نبته وزهوره تحنو على غدرانـــــه
وسماء إربد ما يزال سحابـــها يسقي سهول (الحصن) من هتانه
يا ميّ ما برحت حمائم سدرنا تشدو مصفقة على أغصـــــانه
فتعهدي قلبي بحبك واسمـــعي ما شئت من شدوي ومن ألحانـــه

فالحنين والشوق إلى الوطن يبثه لنا الشاعر من خلال التأمل والتـذكر لهـذه الطبيعة، وهنا نجد أن الطبيعة عند عرار ترمز إلى الملكـوت الروحـي والاتـزان النفسي كما هو حال الغاب عند جبران خليل جبـران، فعـرار وجـد فـي الأرض والطبيعة المكان الأمومي الذي عوّضه عن عاطفة الأمومة كما أشرنا سابقا.

ويمكننا أن نلمس من خلال هذا التأمل والتساؤل ظاهرة القلق الوجـودي عنـد الشاعر، فهو طالما عانى من هذه الحياة التي تنتهي بالموت والزوال والتساؤل؛لذلك يقابل التل بين الحبيبة والطبيعة، بما فيها من جمال وتكوين جـاعلا مـن مظـاهر الطبيعة مدخلا لتوضيح نفسه للحبيبة، مراعاة للآداب الاجتماعية والأسلوب اللائـق في حديثه إليها فمحمود التل اتصف بالمحافظة والابتعاد عن الغزل الفاحش، يقـول محمود التل [2]:

أحب فيك حلو المنبت مثل زهر الأقحوان
أحبك مثل نور الشمس مثل شقائق النعمان
أحبك مثل شوق الورد للأنسام مثل ضلالة الطوفان
أحبك مثل كل الزهر في ربيع العمر في عمر الزمان
أحبك حبي للطبيعة صافيا

ولم يقتصر تأمل شعراء الأردن للطبيعة على الأشجار والأنهار والجبـال، بـل تأملوا ما فيها من مظاهر كونية كغروب الشمس، وسقوط الأمطـار والثلـوج ومـا

---

[1] – التل مصطفى وهبي: عشيات وادي اليابس، ص 435

[2] – التل محمود فضيل : أغنيات الصمت والاغتراب، ص 69

توحيه هذه المظاهر في نفوسهم وتحركه لديهم من مشاعر، فهذا عيسى النـــاعوري في قصيدة بعنوان (ظواهر الغروب) يتأمل غروب الشمس يقول [1]:

ذلك القرص الذي يبدو كشعلة

تتلظـــــــــــــى

شق في الغيم على الآفاق رمسه

ومضى يهبط فيه

يتدلى في سكون وهدوء

خلف ماء البحر في الأفق البعيد

ويثير هذا الغروب في نفس الشاعر الأسى والحزن، لأنه لم يعد هناك ضياء وقد جاء الظلام ليغلف الأرض، ويدفعه هذا الشعور إلى ربطه بحياة الإنسان الذي يمـــر في مراحل متعددة من حياته، ومن ثم ينتهي به المطاف إلى الزوال، وكذلك الحيـــاة الدنيا تسير لحظة لحظة إلى أن تنتهي يقول[2] :

هكذا تمضي الحياة

لحظة في أثر لحظة

في سكون وانطفاء

ثم لا شيء سوى الصمت العميق

والظلام المدلهم

والسكون الساحب الذيل

على وجه الحياة

وها نحن نرى الثلج المتساقط على الأرض، الذي يغطي خيام اللاجئـــين بلونـــه الأبيض الناصع يبعث الأمل في نفس الشاعر، بأن النصر على الأعـــداء قريـــب، يقول عيسى الناعوري في قصيدة بعنوان(خيمة اللاجئ) [3]:

الثلج هذا الأبيض الناعم

---

[1] – الناعوري: أناشيد أخرى ، ص 15

[2] – المرجع نفسه، ص 17

[3] – الناعوري: أناشيدي ص 53

مثل قلوب اللاجئين الصغار

الثلج هذا أمل باسم

يوحي إلينا بالأماني الكبار

يوحي بيوم المجد والانتصار

وكذلك يبعث الثلج الفرح والسرور في نفس الإنسان عندما يراه ببياضه الناصع، الذي يدل على الصفاء والنقاء.

وقد جعل بعض الشعراء مظاهر الطبيعة تتوحد معهم وتشعر بما يشعرون بـــه، فالشاعرة عائشة الخواجا تجسد لنا الشمس في قصيدة بعنوان(شـــجن)، وتجعلهـــا تبكي لحال البشر، تقول[1] :

هل رأيت الشمس تبكي باحتداد ترسل الغيمات قطرا للعبـــاد ؟

بللت أحزانها صخر الدهـــــور واستوت طلا على كل البـــلاد

شفها الوجد علينا في الغـــروب حين همنا وسط غابات الجماد

لامست أهدابنا عند الأصيـــــل في حنان صار بحرا بامتـــداد

حين غصت مهجتانا بالعـــذاب أمطرت زخات دمع باشتـــــداد

فقد تحول المطر إلى دموع للشمس، وهذه الدموع هي رحمـــة للنـــاس بعـــد أن تحولت دنياهم إلى جماد، فالماء هو مصدر الحياة للكائنات جميعا، والشمس تـــشعر مع الناس وتعرف حاجاتهم ولذلك فهي تتعاطف مع البشر .

ولم يقتصر شعراء الأردن في تناولهم لهذا الموضوع على التأمل بالطبيعة فقط، بل تجاوزوها إلى البيئة الصناعية، وكأنهم بذلك أرادوا أن يبينـــوا شـــقاء الإنـــسان ومعاناة الفقير، والضعيف، واستبداد الأقوياء، وظلمهم وتسلطهم على غيرهم ،فهـــذا حسني فريز في قصيدة بعنوان (آثار جرش)، وعلى الرغم من إعجابه بتلك الآثار الرائعة إلا أنها أثارت في نفسه الأسى والحزن على حال الفقراء والـــضعفاء الـــذين بنوها بدمائهم وعرقهم يقول[2] :

---

[1] – الرازم عائشة الخواجا : الأعمال الشعرية الكاملة، دار الخواجا للدراسات والنشر، عمـــان، ط1 ،1998م ، ص 87

[2]– فريز : الأعمال الكاملة ص 78

هذه آيــة الزمـــــان تـــــبدّى فتأمل في الآيــة الــغـــــرّاء
قف بها وقفة الجزوع عليـــــها هي أحرى بالدمعة الحمـــراء
لا تسل من بنى ولا كيف أعلى ؟ إن تكن شامـــتا بأهل الفنــاء
لا تسلني إن كان خوفو بنـــاها أو بناها اسكـــندر بـدمـــاء
ليس خوفو وقيصر غير رمـــز لســـيــاط مريــعة نكـــراء
ألهبت كالحريق جلد المساكيـــن وهدت من عزمهم والمضـــاء
وأراقت دموعهم ودماهـــــم وأذابت أنينهم في الفضـــــاء
جثة فوق جثة عند أخـــــرى تتلوى من جور ذاك القضـــاء
هكذا كانت البنايات تعـــــلى من أنين ولوعة وبـــــكاء

فهذه المدن العظيمة العريقة هي دليل على شقاء الإنــسان الــضعيف واســتبداد القوي، ولكنه متيقن بأن العبيد سوف ينتصرون على الظلمة والظلم، وعلى الطغــاة المستبدين يقول[1]:

ذلك الهيكل الذي صارع الدهر وأودى بعاديات الفنـــــــاء
شاهدا صامتا يشـــــير إلى الظلم وعسف الملوك والوزراء
ما أراد البقـــــاء إلا ليبـدي ألما صارخا إلى الفقـــــراء
فيصيحون أين مرحمة الناس ؟ وأين الرحيم بالضعفـــــــاء
هؤلاء العبيد سوف يدكـــون عروش القيــاصــر العظمــاء
هؤلاء العبيد سوف يبيـــدون جيوش الطغــاة الأقــويـــاء
إن نمت نحن لم يمت كلّ عبــد من ظلام العبيد فجر الضيـــاء

ويتأمل الشاعر حسين رشيد خريس مدينة "البتراء الوردية " في قصيدة بعنوان " وقفة على البتراء "، فهذه المدينة الجميلة تجسد تاريخ العرب وحــضارتهم، وتــدفع الإنسان إلى الوقوف طويلا عندها يتأمل روائع نحتهم في الصخر وقد أحالوها مــن صخور صماء إلى مدينة مليئة بالحياة، يقول [2]:

---

[1] – فريز : الأعمال الكاملة، ص 79

[2] – خريس، حسين رشيد: الأعمال الشعرية الكاملة ج1، وزارة الثقافة، عمــان، ط1، 2007، ص 303

ماذا وقوفك بين البيد والمـــــــــاء وما سؤالك عن دان وعن ناء
أجئت تبحث عن ماضي الألى سلفوا من الأباة الميامين الأجـــلاء
أم عاودتك تباريح مـــــــــؤرقة أغرت فؤادك شوقا أي إغراء
وما عليك إذا ما رمت معـــــرفة كل الصحائف منقوش ببتـــراء
اقرأ بها مثلا اقرأ بها حكما تنبيك عن خالد الذكرى بأنبـــــــاء

إن الشاعر يدعونا إلى التأمل؛ لأخذ العبرة من هذه الآثار التي اســتطاع أهلهــا بإرادتهم وتصميمهم أن يصنعوا لهم ولأبنائهم مجدا عريقا، حتى وصلوا إلــى قمــة الحضارة بفنهم المعماري المدهش، وغدت البتراء أعجوبة من عجائب الدنيا ومقصد الزوار من جميع أنحاء العالم، يقول [1]:

فما تشاهد إلا منظـــــرا عجبـــا ولست تسمع إلا رجع أصداء
يا أمة ما رمت عن قصدها غرضا إلا أتتـــه بأحكـــــام و آراء
بني " النبيط " لقد كنتم لنـــــا سلفا أكرم بسالف أجداد و آبـــاء
رفعتـــــم لبني الأردن منزلـــــة عز النظير لها من غير أسماء
وكنتم سندا للعرب قاطبـــــــــة وكنتم القطب في شتى و أنحاء
وقد فتحتم لنا في الصخر سالكـــة إلى المعالي تباري كل جوزاء
فللسماء دروب في حظائـــركـــم وللأراضين تهويم بعليـــــاء
هذي المحاريب ما زالت بزينتـــها وزاهيات من الألوان عنـــاء
خزائن الملك تبدو في محاســنـــها وساحة الدير في زهو و لألاء
ومن مخـــازن غلات تقـــاطـــرها مسارب الماء تجري بين أثنـــاء
كأنما رسموا خـــط الخلـــود لـــهـــم على صحائف من أحجار بتراء
وما رأيت صخورا ناطقات بـــمـــا لم يستطعه مناطيق بعـــرباء
كأنما جـــاء لقمـــان يلقـــنـــــها سر الفصاحة في صدق وإيحاء
فكانـــت الحكمة الأولى بدارتنـــا مما روته البوادي بنت بيـــداء

[1] – خريس، الأعمال الشعرية الكاملة: ص 304-308

هكذا جنّد شعراء الأردن الطبيعة بما تحويه من بحار، وأنهار وأشجار وجبال وأزهار وغيرها لينشدوا الطهر والنقاء، والصفاء وليتخلّصوا من النفاق والزيف والخداع الذي كان سائدا في المجتمع.

وكانت الطبيعة لديهم مكانا تنتفي فيه كل المتناقضات وتذوب فيه التقاليد والعادات الاجتماعية وملجأ المحبة والحرّية والجمال. وهم يرون الطبيعة مثالا يحاولون تمثّله في نظرتهم إلى الحياة والكون. ومن خلال الطبيعة نظروا إلى الإنسان وعالجوا مشكلاته وبثّوا أفكارهم وفلسفاتهم في الحياة .

الفصل الثاني

التأمل في الحياة والموت والإنسان

التأمل في الحياة و الموت

الموت والحياة أمران يتعلقان بالإنسان من حيث وجوده في هذا الزمن،فالحياة هي البداية التي يأتي فيها الإنسان ليقضي سنين معدودة من عمر الزمن على هذه الأرض، والموت هو النهاية التي تعصف بهذه الحياة وتعيد الإنسان إلى رحم الأرض نافضا يديه من الدنيا، ليتحلل في ذراتها ويكمن في باطنها إلى حيث لا يعلم إلا الله .

فإذا كانت الحياة هي الفترة التي يحس فيها الإنسان وجوده، ويحاول تدعيم أقدامه على الأرض بدافع الأمل والشعور والحركة والإيمان، فإن الموت هو اليد القوية التي تنقضُّ على هذا الأمل، وتقطع عليه جسور العبور وخيوط الامتداد، لتسكنه حفرة اللحد العميقة وتحوله إلى رماد متناثر يضيع في أجزاء تلك الحفرة التي لا يسكنها إلا الفناء.

وإذا كانت مشكلات الحياة الإنسانية قد وجدت في الإنسان الاهتمام الذي تستحق والعناية الكافية من أجل حلها و وضع حد لنهايتها، فإن الموت قد ظل بالنسبة له هو المشكلة الكبرى والمأساة الخانقة، والسبب الرئيس في قلقه وحيرته وضياعه، فمجرد التفكير فيه، مجرد التصور للنهاية يجعل القلب يتراقص من الألم وكأن يدا قوية تلاعبه وتهزه، ويجعل الحياة الإنسانية وهما من الأوهام مجرد شيء تافه لا يستحق كل ذلك الاهتمام[1].إن التأمل في الحياة قديم قدم الإنسان ذاته، فمنذ أن فتح عينيه على هذا الكون وهو يتساءل عن حقيقة وجوده، وقد ظهرت مثل هذه التأملات في الشعر العربي القديم،ولكنه لم يكن ينظم فلسفة بل كان يلخص تجربة معينة، من خلال حكمة موجزة نجدها في ثنايا قصائد المدح والهجاء والرثاء وغير

---

[1] – قميحة، مفيد محمد : الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط 1، 1981م، ص 375-376

ذلك من الأغراض، وهكذا جاءت تأملات زهير في الحياة وليدة تجربة ثمانين عاما،كما نلاحظ ذلك في معلقته الميمية :

سئمت تكاليف الحياة و من يعش ثمانين حولا ــ لا أبا لك ــ يسأم[1]

وينطبق هذا على لبيد الذي استقى نظراته في الإنسان ومصيره من وحي تجربته البدوية، كما ينطبق على طرفة بن العبد، الذي انطلق من تجربته الشابة لينظر إلى الحياة نظرته المتفائلة.

ألا أيهذا اللائمي أحضر الوغى وإن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

فإن كنت لا تسطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي [2]

وقد بلغ هذا التأمل أوجه لدى شعراء المهجر، الذين حفلت دواوينهم بالتأمل في الحياة وقضاياها المختلفة، حتى أصبح ذلك خاصية تلازم شعرهم. وكأن عدم القدرة على التكيف مع الحياة دفعهم إلى التفكير في معنى الحياة كإثبات لوجودهم، يضاف إلى هذا نفس الرومانسي التي تتوق إلى معرفة الحقيقة وتجاوز ظواهر الأشياء إلى جوهرها، وقلقها الذي لا يطمئن إلى حقيقة بعينها، ويدفعها إلى رحلة مستمرة في سبيل التنقيب عن سر الحياة والكون .

ولعل ما زاد تساؤل شعراء الرابطة القلمية عن الحياة تطور العلم الحديث، وظهور كتاب داروين في أصل الأنواع وما أحدثه ذلك الكتاب من ضجة في العالم أجمع. وكان لداروين وغيره من دعاة التطور العلمي أثر في شعرنا العربي الحديث عموما .[3]

والحقيقة إن الشعراء الكلاسيكيين والرومانسيين، قد تأملوا وفكروا في الحياة وما ورائها ولكن كان هناك فرق واضح في طبيعة هذه التأملات ومضمونها بين الاثنين، حيث أكثر الشاعر الرومانسي من التأمل في مظاهر الحياة، كما انفرد في التفكير في المسائل الدينية كالخوض في الغيب والقدر، وسبب وجود الشر في العالم والنشأة الأخرى، بعد أن كان الشاعر الكلاسيكي يحذرها أشد الحذر، كما تميز تفكير الشاعر

---

[1]ــ ابن أبي سلمى: ديوان زهير (ص87)

[2]– ابن العبد: ديوان طرفة ص32

[3]– المقدسي، أنيس: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث (ص 304)

الرومانسي وتأمله بالجرأة والتحرر مما دفعة إلى الثورة والتمرد، وتجاوز حدود ما ورث من عقيدة، على عكس الكلاسيكي الذي كان يلتزم الحدود الدينية، ويقف عند نصوص الشرائع السماوية فشعر التأمل الرومانسي يختلف عن شعر التأمل الكلاسيكي من حيث الكم والكيف.[1]

وأول ما بدأ تساؤل شعراء الأردن بدأ بما قبل الحياة وهذا شيء طبيعي ؛لأن الإنسان ينطلق مما قبل ليعرف الآن وما بعده، وكما أن للإنسان ماضيا وحاضرا ومستقبلا في هذه الحياة كذلك يحاول أن يكون قبل وبعد، وعلى الرغم من أن الكتب الفلسفية والدينية قد تعرضت إلى موضوع ما قبل الحياة، غير أنه يبدو أن شعراء الأردن لم يجدوا في تلك الكتب ما يشبع توقهم إلى المعرفة، فآثروا البحث عن الحقيقة بأنفسهم شأن الفلاسفة والمفكرين ولكنهم لا يصلون إلى جواب مقنع، مما يزيدهم ألما وحزنا، ولهذا نجد في تأملهم مسحة من التشاؤم والسوداوية، فكانت الحياة والمصير مثار أسئلة كثيرة عند الشعراء "وللرومنتيكيين تجاه هذه المشاكل مسلكان: مسلك من يبدو هادئا ينشد الحقيقة عن طريق العاطفة ودراسة القوى الإنسانية ودلالتها الغيبية، ولكن هؤلاء يشعرون في نفس الوقت بفداحة المعضلة، ويقفون عليها جهودهم مخلصين رجاء الوصول إلى حلول يستريحون إليها لا عماد لهم في ذلك سوى أنفسهم ... والمسلك الآخر هو مسلك الساخطين على ما قدر لهم من قوى محدودة، لا تنهض بعبء ما يريدون الوصول إليه من نتائج، فيثورون على القدر ويعلنون عن ثورتهم بما ينفس عن ضيق صدورهم وسط هذه المعضلات"[2].وقد نمّى هذه التساؤلات حالة الضياع التي يعيشها الشعراء لفقدانهم الشعور بالحياة، مما جعلهم يبحثون عن معناها بالتساؤل " فالناس ــ في العادة ــ لا يشرعون في التساؤل عن معنى حياتهم ــ اللهم ــ إلا حين تكون حياتهم قد فقدت تلقائيتها الطبيعية، وبالتالي حينما يكونون قد فقدوا مبررات وجودهم، وأما حين تسير الحياة سيرها الطبيعي، وحين يمارس الإنسان نشاطه التلقائي العادي، فإنه قد لا

---

[1] – درويش، العربي حسن: الاتجاه الرومانسي في شعر أبي القاسم الشابي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991م، ص 51.

[2] – هلال ، محمد غنيمي : الرومانتيكية (ص154)

يعنّي نفسه بالتساؤل عن الحياة، لأنه يشعر عندئذ بأن مجرد الاستمرار على قيد البقاء ما يجعل من الحياة قيما سوية تحمل في حد ذاتها مبررات وجودها"[1].

ويبرز التساؤل عن حقيقة الحياة، نتيجة الاحتراق الداخلي الذي يحس به الشاعر، لعدم جدوى الحياة، يقول محمود فضيل التل [2]:

يغالب فكري سؤال قديم
و حارت به ثابتات العلوم
هل النفس تدري من الأمر شيئا
خلال الحياة و بعد الرسوم
و هل يرتجى علمها ذات يوم

وتستمر أسئلة الشاعر عن حقيقة الحياة ولكن دون الوصول إلى نتيجة، إذ يقول محمود فضيل التل في قصيدة بعنوان (حقيقة الحياة) [3] :

أأعيش يا دنيا لجوارك أم بظلم الناقمين
أأظل يا دنيا سقيما في هزال و أنين
يكفيني لومك يا نديم أماتني صبر السنين
وكفى أمان يا سعاد قضيت عمرك ترتجين
فكرهت يا دنيا حياتك يا رجاء الواهمين
قد طال وعدك وانتظاري وانقضى ما توعدين
أنت السراب لناظري ولا أرى فيك اليقين
أنا لست أدري كيف جئت فحبذا لو تسالين
يثنى علي إذا حمدتك ما مصيرك ما ترين ؟
قد عشت فيك مدى السنين ولم أكن غير السجين
فإذا يئستك قال صبرا وامتثل بالمؤمنين
لا لا أكلّ العمر أسعى أبحث السر الكمين

---

[1] – إبراهيم، زكريا : مشكلة الحياة، مكتبية مصر، القاهرة،ط1، 1971، ص 33
[2] – التل، محمود فضيل : نداء للغد الآتي، ص 128
[3]– التل، محمود فضيل : أغنيات الصمت والاغتراب، ص 11

أنا أقطع الأيام سخرية وأياما حزين
حسبي الموت رجائي يا حياة الناعمين
همهم أكل ..شراب ولباس وحنين
إنما همي أنت .. أسراب أم يقين ؟
ويعيش الفرد منا جاهلا مكر السنين
ويروم الخلد فيك توهمين وتخدعين
عجبا تراني مرة فرحا وأخرى لا ألين
ما عاد يشغلني وعيد أو حكايا اللائمين
حتى علاني سؤل نفسي .. هل أنا ماء وطين ؟
هكذا بدء الخليقة ثم من ماء مهين

فالشاعر هنا يتساءل عن حقيقة هذه الحياة، وهي بالنسبة إليه سراب خادع وليست حقيقة، وقد أمضى عمره يبحث عن السر الكمين في هذه الحياة، هو همه الوحيد ليس الأكل والشرب كبقية الناس! ويتنقل الشاعر إلى السؤال عن حقيقة الإنسان هل هو مخلوق من ماء وطين ؟ ثم من ماء مهين ؟ والتساؤل عن معنى الحياة هو إقرار وإيمان من الشاعر بقيمة الحياة، فهي تستحق منه كل هذا الإمعان للفكر [1]. ويرى الدكتور طلعت أبو العزم من خلال دراسته لقصائد الشعراء العرب المتأثرين بالنزعة الرومانسية، أن " القلق الوجودي " لديهم ما هو إلا حالة من التأمل والمعاناة، والجهد الفكري والشعوري يمتزج فيها فكر الشاعر المدرك لتناقضات الوجود بإحساسه بأن عمره قصير، وحينما يفكر الشاعر في حياته وحياة الإنسان على الأرض يروعه أنها شقاء ينتهي بالموت ويتساءل قلقا : كيف جئنا ومن أين ؟ إلى أين نمضي ؟ ماذا كنا قبل الوجود ؟ وماذا سنكون بعد الموت ؟ هل هناك بعث وحياة أخرى بعد الموت ؟ لكنه يدرك أن مصير الإنسان هو الموت فقد خلقنا لنحارب الموت ثم نشقى ونموت[2] .

---

[1]- انظر: الضمور، عماد : محمود فضيل التل، حياته وشعره، ص 141

[2] - أبو العزم، طلعت: الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني لدى الشاعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت ، ص 85-88

ويبدأ الشاعر محمود فضيل التل قصيدته(علامة استفهام) بتساؤل منطقي عن كل شيء في هذه الحياة، تتمثل بالخوف والقلق الوجودي من الموت يقول[1]:

من كل شيء في الحياة
لنا سؤال دائم
وعلامة استفهام
من كل شيء في الوجود
وما بهذا الكون
أو مما بنا
أو ما يقال
علامة استفهام

ونجد أن الشاعر عيسى الناعوري يحاول أن يهرب من القلق الوجودي الذي يلاحقه، مع أنه متيقن بأن مصير الوجود إلى الفناء، فهو يقضي عمره لاهيا حتى لا يشعر بمنغصات الحياة، وكأنه يحاول أن يواجه الموت من خلال الإقبال على الملذات، يقول في قصيدة بعنوان (حياة) [2] :

من صفاء السماء قد خلقت روحي، ومن صحو جوها وجداني
أنفق العمر لاهيا، فإذا الكون كما شئته جميل المغاني
تنتفي من سمائه السحب السود، وترتاع صولة الحدثان
لست أدري، ولست أرضى بأن أدري بأن الوجود شيء فاني
فالوجود العظيم مسرح أحلام وحب، وروضه للأماني

ونجد الشاعر عصام العمد يتساءل عن معنى الحياة محاولا أن يكشف سرها، ولكنه لم يجد أحدا يجيبه على تساؤلاته، ويقر بأن سر الحياة والخلق عند الله سبحانه وتعالى، ففي قصيدة بعنوان " معنى الحياة وسرُّها " يقول [3]:

---

[1] – التل، محمود فضيل: جدار الانتظار ، ص40
[2] – الناعوري: أناشيدي، ص 83
[3] – العمد، عصام صدقي: ديوان الوجدانيات، مجلد 2، عمان، ط 1، 1996م، ص 186

ساءلت عن معنـــى الحياة ولغزها عمَّا تخبئـــه من الأســـرار
وبحثت مجتهـــدا لأسأل كل مـــن عرك الحياة بحنكة الأخيار
لكنني لم ألـــقَ أي إجـــــــــابة تشفي غليل السائل المحتار
جهل بســـرِّ الكائنـــات وخلقـــها والسرُّ عنـــد مُقدِّر الأعمار
رب العباد ومـــن أراد لخلقـــــه هذي الحياة وزانها بالغـــار
هي هذه الدنيا نعيم بعضـــــــها لكن طعم شرابها بمـــــرار

ويتساءل حسني فريز في قصيدة بعنوان(تساؤلات) عن الحياة، وعن المـــصير الإنساني، وأن هذا المصير ليس بيد الإنسان، وأن الأمور الغيبية لا يمكن أن يدركها العلم، ويدعو إلى التأمل في الآثار الباقية من الأقوام الذين سبقونا، وأن نأخذ العبـــرة منهم، يقول[1]:

حياتك؟ ما حياتك؟ أنت غر حياة المجـــد أولـــى بالســـؤال
مصيرك لست سيده و ماذا يضيرك إن سكـــت عـــن المآل
ألم تر أنهم مجّدوا و عزّوا وخبّوا في الحقيقـــة و الخيال ؟
أمور لست تدركها بعـــــلم ولا عزم ولا لـــك من مجـــال
تأمل كل ما شاد القدامـــى و قل لي من بنى المجد الأوالي؟

ويبين حسني فريز في قصيده أخرى أن الإنسان لا يفيده الحـــزن والبكـــاء؛ لأن نهايته معروفة وهي الموت والزوال يقول[2] :

ليس يجدي البكاء في كل حال أنت رهـــن الضنى و رهن الزوال
ولعمري لقد حزنت طويـــلا و لقيت المنـــى بغيـــر احتفـــــال

كما ينظر عرار إلى الدنيا بأنها كالسراب الذي يظل الإنسان فـــي الـــصحراء، ويبقى يجري وراءه لكن دون فائدة، ولكن الإنسان القانع لا ينخدع ببريق هذه الـــدنيا يقول[3]:

---

[1] – فريز : الأعمال الكاملة ، ص 457
[2] – المرجع نفسه، ص 466
[3] – التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 303

أفؤاد! ما الدنيا ؟ سراب بقيعة وقح يقعقع في مفازة باقــع

إن تخدع الطماع لمعته فلـــن تقوى على عبث بذقن القانع

ويكرر عرار نفس المعنى نفسه في قصيدة أخرى حيث يقول[1] :

ظلمات من الشقاء حيــاتــي و سرابا رأيتها في ســراب

وخيالا مقنعا بخيــــــال كلما اشتقت للبكاء سرى بي

وعلى هاجري هدرت شبابي ثم كفنتـــه ببرد شبـــابي

وتتكرر مثل هذه النظرة للحياة عند الشاعر حيدر محمود، الذي يــشبّه الحيــاة بوميض البرق الذي يظهر بسرعة ثم يختفي فلا يستفيد منه أحد، كما أنــه يــشبهها بالسراب الذي يظهر في الصحراء ويخدع المسافرين فيها، وهكذا هي الحياة الــدنيا تخدع من يركض وراءها، يقول [2]:

دنيا

ما أنت سوى ومضة برق

تومض في الليل وتخبو

وسراب هذا الوهج الزاهي

والأفق الرحب

وشقي يا دنيا

من تحمله قدماه في الدرب

ولا يحمله القلب

ويستمر تساؤل الشعراء عن الحياة التي يحيونها، ما معناها ؟ما قيمة هذه الحياة وما جدواها ؟ وأين تكمن هذه الحياة ؟ هل تحيا فينا أم نحيا فيها ؟ ما سبب مجيــئهم لهذه الحياة التي يعانون فيها العذاب ؟ فهم كلما أمعنوا النظر في هذه الحيــاة ازدادوا إحساسا بآلامها. وهكذا ارتبط الشقاء عندهم بالتفكير في قضايا الحياة، ولهذا نجد في

---

[1] – التل، مصطفى وهبي: العشيات: ص 144

[2] – محمود، الأعمال الكاملة، ص 276

تأملاتهم مسحه من التشاؤم والسوداوية. يقول محمود فضيل التل في قصيدة بعنوان (حفرة من تراب)[1] :

لماذا أتينا هنا يا صديقي ؟ وجئنا بأقدامنا للعذاب !!
لماذا ظننا الحياة نعيما ؟ وأن لها ألف باب و باب !!
ولما تأملت فيها ملّيا رأيت الوجود بها للعقاب
ولو عدت ما اخترت فيها طريقا وإن كان في رجعة أو إياب
صرخت بأول يوم أتيت وأصرخ دوما و ما من جواب

فالشاعر هنا يتساءل عن سبب مجيئه للحياة وهي مليئة بالعذاب والشقاء، وهذه الحقيقة التي اكتشفها الشاعر بعد أن كان يظن أن وجوده فيها عقاب له، ولكنه يعلم أنه ليس مخيّرا في هذه الحياة ولو كان له الخيار لما اختار فيها طريقا. ومن ثم يأتي بدليل على أن هذه الحياة فيها من العذاب والشقاء ما يخيف الإنسان، ودليله على ذلك أن الإنسان يصرخ وقت الولادة رافضا هذه الحياة، ويستمر بهذا الصراخ في حياته ولكنه لا يجد أيّ جواب .

ويدعو حسني فريز الإنسان إلى عدم الاطمئنان إلى الدنيا، لأنها لا تبقى على حال واحدة فهي دائما متقلبة ومتبدلة، ويضيع كل ما يصنعه الإنسان فيها هباء دون فائدة، إلا إذا كان ما يعمله يراعي فيه مرضاة الله سبحانه وتعالى، يقول [2]:

ألا إنما الدنيا دواليك تنتهي دوائر منها ثم تأتي وتذهب
فلا يغترُّ بالعيش حرّ فإنه لا قصر مما يدعيه وأخيب
يضيع هباء كل ما أنت صانع إذا لم تكن فيه إلى الحق ترغب

ونجد هذه النظرة للحياة وللدنيا بأنها نعيم زائل عند الشاعر عصام العمد،ويظهر ذلك في قصيدته " عالم الأرواح "، يقول [3]:

هذه الدنيا نعيم زائل قد خلقنا في حماها في كبد
هذه الدنيا ولا بد لنا أن نعيش العمر في جدّ وكد

---

[1] – التل ، محمود فضيل : أنشودة المستحيل ، ص 143
[2]– فريز: الأعمال الكاملة ، ص 214
[3] – العمد: ديوان الوجدانيات، مجلد 2 ، ص 69

بل نجاريها نداري شرهـــا أن نكون العون فيهـا والسنـــــد
أن نخاف الله أن نرضى بما قسم المولى لنـا أو ما أعـــــد
نحن فيها غرباء رُحَّـــل كلنا يمضي غدا أو بعـــــد غـد
كلنا نمضي ولا ندري متـــى سوف نلقى الموت هل أحظى بِـرَد ؟
أين نلقاه ؟ متى ؟ كيف ؟ إذا شاءت الأقدار و الداعي استعـــد

فالشاعر في هذه الأبيات يطلب من الإنسان عدم الاطمئنان للدنيا؛ لأنها زائلـة والإنسان يقضي عمره في طلب الرزق، ولن يشعر الإنسان بالراحة إلا إذا رضـي بما قسمه الله له من الرزق، وأن يراعي مرضاة الله في حياته؛ لأن نهايته معروفـة وهي الموت. ويتكرر هذا المعنى عند الشاعر في قصيدة أخرى بعنـوان " الحيـاة الفانية "، يقول [1]:

حياة المـرء في الدنيا شقـاء يصارعها فيصرعه القضاء
فأول مـا يلاقيـــه بكـاء وآخر ما يداهمـــه الفناء
ويحشر بعد ذلـك للتقاضـي ويوم الحشر للمـرء ابتلاء
فيا من قد حباك الله عقـــلا به في الخلق كان لك ارتقاء
وجودك أنت في الدنيا اختبار فجاهد كي يكون لك الثنـاء

وكثيرا ما وقف شعراء الأردن في تـأملاتهم للحيـاة إزاء الـزّمن، وكـسائر الرومانسيين كانوا ينظرون إلى الزمن الحاضر نظـرة متـشائمة، فيرتـدون إلـى الماضي الذي اقترن عندهم بالحياة السعيدة، أو يهربون إلى المستقبل حيث يصنعون سعادتهم المرتقبة. فقد كان الزمن الماضي بالنسبة إليهم الفردوس المفقـود، الـذي أرادوا تعويضه في المستقبل؛ لذلك نجدهم يتحسرون على زمن الشباب ويتبرمـون بحاضرهم المؤلم. فالشباب بالنسبة إليهم يعني الحياة، أما الحاضر فيعنـي الـشقاء والتعاسة، وقد ارتبط الحاضر عندهم بالشيب والشيخوخة أحيانا، وعلى الرغم من أن هؤلاء الشعراء كانوا يحاولون تعزية أنفسهم بأن للشيب جماله مثلما للشباب جمالـه، فإنهم سرعان ما يضيقون ذرعا بالكبر ويقرّون بأن أول العمر أحسن من آخره .

---

[1] - العمد: ديوان الوجدانيات، مجلد 2 ، ص 71

لست في جسمي سقيما أجمل العمر الشباب[1]

ويقول عرار في قصيدة بعنوان (بعد الأربعين)[2] :

يا شيخ أين من الخريف ربيع ما للشباب وقد خلاك رجوع

يا شيخ بعد الأربعين بقاؤنا عبث ، فلهو لداتنا ممنوع

فالشاعر هنا يصور نهاية العمر بفصل الخريف، الذي تتساقط فيه الأوراق، وأول العمر بفصل الربيع الذي تنبت فيه الأزهار وتورق الأشجار، فالشباب لن يعود، وهو يعتبر أن بقاءه بعد سن الأربعين وتقدم العمر عبث لا فائدة منه؛ لأنه لا يستطيع أن يعيش حياة الشباب بما فيها من بهجة ومتع كثيرة. ويقول في قصيدة أخرى بعنوان(حسرة الشباب)[3] :

إن الشباب مضى لطيته فهلمّ نقفو خلسة إثره

فلعلّ من عثيار موكبه يستاف خيشومي ولو غبرة

وعساه يقطرنا بموكبه فانعم وعاين منعما صيرة

فالشاعر يقرّ بأن الشباب قد مضى وولّى، ويريد أن يقتفي أثره لعله يشم شيئا من غباره ويعوض ما فاته من أيام الشباب؛ لأنه يعرف مصيره إلى الزوال وهو ينتظر ذلك في أي لحظة. ويقول في قصيدة أخرى [4]:

مضى الشباب وليس الشيب مبتكرا فإنه حدث قد كان منتظرا

ويتفق معه في هذا المعنى الشاعر خالد محادين، حيث تبدو معاناة الشاعر مع الزمن، فعمره يتقدم دون أن يشعر بذلك، وليست لديه الرغبة بأن يودع مرحلة الشباب المليئة بالنشاط والحيوية، ويبدأ مرحلة جديدة فيها الهدوء، والسكينة، يقول في قصيدة بعنوان " الأربعين " [5]:

من أين جئت وخافقي تعب لا النار تسكنه ولا الخشب

وأصابعي أوتارها يبست هيهات في عينيك تصطخب

---

[1]- التل، محمود فضيل : أغنيات الصمت والاغتراب ص 80

[2]- التل، مصطفى : العشيات ص 289

[3] - المرجع نفسه، ص 275

[4] - المرجع نفسه، ص 248

[5] - محادين خالد : الأعمال الشعرية، مطابع الرأي، عمان، 1990، ص346-348

الأربعون وقارها وجـــــع والأربعون وقارها كـــذب
والأربعون رمادها شعـــــل والأربعون هدوؤها صخب

أمّا حسني فريز فهو لا ينظر إلى الزمن على أنه أخذ القوة والشباب فحسب، بل ينظر إليه أيضا على أنه منغّص للحياة لا يؤمن جانبه في السراء والضرّاء، وهو لا يستريح حتى إلى الجانب المشرق من الزمن؛ لأنه سرعان ما ينقلب على الإنـــسان ويسلب منه السعادة. وهكذا كان فريز يعيش في ذعر من الدهر يقول [1]:

لا يا بني الدهر (لا تبتئس) فالدهر قد كان عدو الصفـــاء
لا بدّ أن نأخذ من مـــــرّه كما أخذنا حلوه والهنـــــــاء
من أول الدهر لـــــه دوره وفي تمام الدور يأتي الفنـــاء

ويسجل عبد المنعم الرفاعي رحلته في الحياة، فـــي قـــصيدة طويلـــة بعنـــوان (المسافر) حيث يقف الشاعر متأملا حياته الماضية، وعهد الشباب الذي كان مليئـــا بالحياة والنشاط،ويتحسر على ذلك العهد الذي ذهب إلى غير رجعة، يقول [2]:

إيه يا طاوي الربى والبيـــــد هل لمسراك في الدجى من معيد
الطريق الطويل هدّم جنبـــيك وعدو الهـــوى وشدو القـــــصيد
سفر شاسع فإن مـــــــــداه رحلة الفكر في الفضاء البـــــعيد
كلما جزت في نواحيه شـــأوا كشف الشوق عن خيـــــال جديـــد
يا جنون الشباب حسبي جموحا لم يعد في جوانحي من مـــــــزيد
وقفة شدت الشجون عراهـــــا في ركوع من الـــهدى وسجـــــود
لا حفيف الغصون مال مع الريح ولا الطيـــــر حـــن للتـــغـــريـــــد
وامّحى غير بارق من سنـــــــاه زمـــنُ اللـــهو والهـــوى و الـــنشيد
غير رجع لذكريات رقـــــــــاق كشفـــار تـــــألـــقت فـــي الـــغُمود
هل يلام الهزار حلّق في الشـــدو عـــــلى كـــل ربـــوة وصـــعـــيـــد
أم يلام العبير يحـــلم في الليـــــل ويسري مع الـــصبـــاح الـــــجديـــد
يا هوى النفس حين يغمرني الشـــــوق إلى المـــلتقى البهيـــج الســـعـــــيد

---

[1] – فريز: الأعمال الكاملة ص 354 ـــ 355
[2] – الرفاعي: شعر عبد المنعم الرفاعي، ص ص 31-35

وهدى الفكر حين أبحث في الكـــون عـــن الله فـــي مـــقـــام الخـــلـــود
وبقائي إذا فنيـــت مع العـــمر وأودعـــت فـــي مهـــــاوي اللحـــــــود

إن قصيدة الشاعر تفيض بالمشاعر الجياشة، ومليئة بالذكريات، فالشاعر يـــرى أن الحياة قد أتعبته؛ لأنها سفر طويل مع الفكر، وهو دائم البحث والتساؤل عن هـــذه الحياة وكنهها، وفي هذه القصيدة تظهر الدورة الطبيعية للحياة والتي لابد من نهايتها، فيمضي الآباء ويأتي الأبناء وهكذا، وهذا الذي يجعل الـــشاعر يـــشعر بالطمأنينـــة والراحة من هذه الرحلة الشاقة، وهو يرى امتداده في ابنه (وبقائي إذا فنيـــت مـــع العمر) .

1.2 فكرة المـــوت:

إن التفكير في الموت شيء طبيعي في الإنسان؛ لأنه مثلما يفكر في حياته يفكر في مصيره. وهو لا يستطيع أن ينسى هذه المأساة التي يسير إليها تـــدريجيا كلمـــا تقضت ساعة من عمره. فكل شيء يذكّره بالموت ويؤدي به إليه، بل إن التفكير في الحياة ليس إلا تفكيرا في الموت نفسه، فالألم والإخفـــاق يـــذكّر بـــالموت بطريقـــة مباشرة، وكذلك الفرح والانتصار يذكر بنهاية ذلك كله، وهكذا اقترن التفكيـــر فـــي الحياة بالموت لأن الأشياء تذكر بأضدادها[1] .

ويذهب المفكر الغربي جاك شورون إلى أن (التفكير الحقيقي في الموت لا يـــتم إلا إذا تحقق عاملان أساسيان هما : النزعة الفردية والتفكير المنطقي، الذي لا يسمح للإنسان أن يصل إلى قاعدة عامّة هي أن البشر فانون)[2] .

فالموت فردي من حيث إن كل إنسان يموت هو ولا يموت أحد مكانه، ومطلـــق من حيث إن الناس جميعا ذائقو الموت، وبدون الشعور بالفردية لا يستطيع الإنـــسان إدراك الطابع الأصلي الجوهري للموت، وهو أنّه شخصي صرف، ولا سبيل إلـــى إدراكه إدراكا حقيقيا إلا من حيث إنه موتي أنا الخاص. ولا يبلغ الشعور بالشخصية

---

[1] – علاق: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية ، ص 194

[2] – شورون، جاك: الموت في الفكر الغربي، ترجمة كامل يوسف حسين، سلسلة عالم المعرفة، 1984، ص (18، 19).

والوحدة درجة أقوى وأعلى مما هو في هذه اللحظة، لحظة الموت لأنني أنا الذي أموت وحدي ولا يمكن مطلقا أن يحل غيري محلي في هذا الموت، ولهذا نجد أنه كلّما كان الشعور بالشخصية أقوى وأوضح كان الإنسان أقدر على إدراك الموت[1]. هذا من الناحية الذاتية، أما من الناحية الموضوعية، فهو أن يصل الإنسان بواسطة التفكير المنطقي إلى أن الموت حقيقة عامة تأتي على الناس جميعا مثلما تأتي عليه كفرد. فالإنسان لا يعرف سر الموت ولا متى يفاجئه، وكل ما يعرفه أنه لا محالة ذائق الموت عاجلا أم آجلا. وقد جاءت الأديان السماوية لتنقذ الإنسان من هذا الشك، فقالت أن الموت مرحلة ينتقل الإنسان عبرها إلى حياة أخرى، حيث يعاقب أو يثاب على عمله في الدنيا، فعلى سبيل المثال نجد في القرآن الكريم الكثير من الآيات في هذا المجال، حتى لا تكاد تخلو سورة من ذكر يوم القيامة وما فيه من عقاب وثواب. يقول تعالى: ((**ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون. قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون. إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميعا لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون**)) .[2]

ولكن الإنسان يريد أن يصل إلى الحقيقة بنفسه؛ لذلك فهو يبحث ويتساءل ويشك. وعلى الرغم من اطلاع الفلاسفة والمفكرين على الديانات السماوية إلا أنهم لم يكفوّا عن البحث والتساؤل عن كنه الموت وما يعقبه .

ويستطيع المتأمل أن يجد مئات الصور، التي يتجسد فيها الموت لدى الشعراء في كل لغات الأرض تبعا لعشرات المتغيرات النفسية، والعقدية والحياتية التي يمر بها الشاعر أو تمر به، وفي الشعر العربي نلتقي بصور مختلفة للموت عند النابغة الذبياني، وطرفة بن العبد وتأبط شرا والشنفرى الأزدي، والخنساء، وشعراء الخوارج، وأبي العلاء المعري، والمتنبي وابن الرومي، وكذلك الشأن بالنسبة لشعراء العصر الحديث، وتبلغ هذه الصور حدا من التنوع تكاد تتميز معه صورة

---

[1] – بدوي، عبد الرحمن: الموت والعبقرية ، مكتبة النهضة، القاهرة، ط1، 1998 ، ص 7، 8

[2]– سورة يس : آية 50 ــ 53

الموت عند كل شاعر أصيل، كما تتميز عنده صورة الحياة [1]. وشعراء الأردن من الشعراء الذين تحتل صورة الموت جانبا هاما في حياتهم وشعرهم ،نتيجة للظروف التي أحاطت بهم في مسيرتهم الأسرية والوطنية، وساعدت على تشكيل ميولهم واتجاهاتهم السلوكية والفنية .

وقد جاء التفكير بالموت نتيجة لعدة ظروف مرّ بها الشعراء، منها ما هو اجتماعي ومنها ما هو سياسي ومنها ما هو اقتصادي، ولذلك نجد أن النظرة للموت تختلف من شاعر لآخر حسب ظروفه التي يمر بها، كما دفعهم الميل إلى الموت إلى تصوّر نهايتهم قبل وقوعها، كذلك دفعهم إلى تأمل هذه النهاية، وقد دفعهم حب المعرفة لأسرار الموت إلى الوقوف على المقابر وأوراق الخريف المتساقطة والغروب، وغيرهما من رموز الموت .

فالقبر هو مثوى هذا الإنسان الذي يكدح على الأرض كدحا، والذبول هو مصير هذه الأوراق التي تسر الناظرين، والغروب هو رمز الفناء الذي تسير إليه هذه الحياة .

يقول محمود الشلبي [2]:

هو العمر يرحل منا ...
سرابا من الوهم ...
خوفا ...
فرّ كما الطير من قبضة الطفل
ظلا يصير ...
وأغنية آسفة .
هو العمر ...
هذا الخريف الذي جردته السنون

---

[1]- درويش، أحمد وآخرون : فدوى طوقان بين قيد المرأة الشرقية وفضاء النص (كتاب جرش) 2000 ، المؤسسة الأدبية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2001 ، ص 49

[2] - الشلبي: ويبقى الدم ساخنا ص 11

اخضرار الوريقات

يأخذنا للبعيد ...

البعيـــــــــد

فالشاعر يصور لنا العمر كالسراب الذي يظهر في الـــصحراء، الـــذي يخـــدع الناظرين فيقتفون أثره ولكنهم لا يصلون إلى شيء، كما أنه يـــصور نهايـــة العمـــر بأوراق الخريف التي تتساقط عن الأشجار.

كما يعبر عبد الرحيم عمر عن الموت بسقوط أوراق الشجر، التي تؤذن بانتهاء الرحلة ــ رحلة العمر ــ التي تنتهـــي عند شط الآخرة، يقـــول فـــي قصيدة بعنوان (من وصية صوفي) [1]:

بعد أعوام ستذوي ورقات الشجر
تنتهي الرحلة، يبدو كل ما كان ضلال
لا كؤوس الراح، لا أوراقك السوداء
لا الحب، ولا آمالك المزدهرة .
كلها يا ضيعة العمر ! ضلال في ضلال
جف باقي الزيت في الفانوس، لم يبق
لدى عينيك ما يذكي رجاء
غرسة لم يعطها الرب الشتاء
مرّ واتبع موكب السارين
يا دنيا أيا جسر السخافة
حينما فتحت عيني لم يكن في البال
أني إنما أسري لشط الآخرة
دون أن أدري إلى أين المسير
وعلى صدري صلبان المصير .

[1] – عمر، الأعمال الشعرية الكاملة ص 189

فالشاعر يرى أن جميع البشر سائرون على هذا الدرب ــ درب الموت ــ وأن هذه الدنيا ما هي إلا جسر يعبر عليه السائرون إلى شطآن الآخرة، ولكنهم لا يعرفون إلى أين المصير.

كما أننا نجد الشاعر محمود فضيل التل يصوّر الموت بفصل الخريف، الذي تتساقط فيه الأوراق فلا حياة بعده حتى وإن جاء فصل الشتاء يقول في قصيدة بعنوان (ريح الخريف) [1]:

الآن قد يأتي الخريف
تسقط الأوراق ثانية
فلا يأتي الشتاء طريقنا
فيضيع في هذي الحياة ربيعنا
ويموت فيها كل شيء بعدنا
حتى ولو جاء الشتاء

ويصوّر الشاعر عمر الإنسان الذي مرّ بسرعة كالطيف أو السراب، ولكنه يقرّ بالنهاية الحتمية للمصير الإنساني وهي الموت يقول [2]:

ومضى بنا هذا الزمان
كأننا طيف مررنا
أو سراب أغرقت أمواجه آثارنا
ثم انتهينا
لم نكن إلا ضحايا
مثلما جئنا بلا شيء مضينا
وانتهينا قبل أن يأتي الربيع
لأننا كنا خريفا دائما
فلقد أتى زمن الخريف .

---

[1]- التل، محمود: شراع الليل والطوفان ص 72
[2]- المرجع نفسه، ص 73

وتدرك الشاعرة هيام رمزي أنّ عمر الإنسان يمضي مهما طال به البقـــاء، وأن مصيره الموت و أن القبر هو دار الراحة للإنسان بعد الشقاء في حياته، وهي تـــرى أن الحياة ليست لها قيمة لأن نهايتها مفجعة، وتبقى تتساءل مادام أن الإنسان ليس له الخيار في حياته، فما جدوى ذلك ؟ ولكنها تقر في النهاية بأنها مؤمنة بالله وبالقضاء والقدر، تقول في قصيدة بعنوان(هواجس) [1]:

والعمر يمضـــــي حافـــلا و الليل يلتهـــــم السنين
وتضج فـــي القلـــب المنى لكن في القبـــر السكون
فيمَ الحياة إذ الـــــــنهايـــة أن نسير إلى المـــــنون
ويصيح في صدري السؤال على المدى عبر القرون
مادام ليس لنـــــــــا الخيار ولا القرار فمـــن نكون
وأظلّ – رغـــــــم هواجسي- يا رب خيـــــر المتقين

وبين الشاعر محمد القيسي أن الإنسان لن يموت إلا في الوقت الذي قـــدره الله له، وأن البشر يجهلون ذلك، ولكنه يأمل أن يموت بعد أن يحقق أمانيـــه، وأحلامـــه يقول في قصيدة بعنوان (الوقوف في جرش)[2] :

ما مت هذا الموت أخدعه وأظل أبدع في الدنـــا نقشـــي
مهما يحز الطوق في عنقي والناس كـــل النـــاس تستعشي
يبقى لي اليوم الذي جهـــلوا يبقـــى لعينيـــك أننـــي أمشـــي
أستل من ناب الردى رمحـــا وأصوغ من قحط الذرى عيشي
لي أنني أبنـــــي على مهـــل كوخي وأرفع من دمـــي عرشي

فالشاعر هنا لا ينكر الموت، ولكنه يريد أن يوجه رسالة إلى أعداء الأمة الـــذين اغتصبوا فلسطين، أنه لن يقبل الموت قبل أن تتحرر فلسطين وكأنه يتحدث بلـــسان المسلمين جميعا، فكل قطرة تسيل من دماء أبناء المسلمين هي من أجل عزة و رفعة الأمة الإسلامية، ومن أجل تحرير فلسطين الحبيبة .

---

[1]-الدردنجي، هيام رمزي: الأعمال الكاملة، دار الكرمل، عمان، ط1 2005م ص375-376

[2]- القيسي، محمد: الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1987، ص 533- 534

وإذا كان شعراء الأردن لم يدركوا ما يخبئه الموت، فإنهم أدركوا المعاني الظاهرة للموت وقد ركّز هؤلاء على المساواة التي عرف بها الموت، فالموت لا يقيم وزنا لهذه الثنائية التي تقوم على الحياة من خير وشر، وغنى وفقر، وعلم وجهل. فهو يأتي على الناس جميعا دون تفريق بين خيّر وشرير، وكبير وصغير، وحاكم ومحكوم، ونجد هذه المعاني تتردد لدى عرار وحسني فريز ومحمود فضيل التل. يقول محمود فضيل التل في قصيدة بعنوان (الأفق و الغروب)[1]:

سعداء أو تعساء
فقراء كنا أو في نعمة الثراء
لا بد من أن ننتهي
وراء ذلك الأفق البعيد
وسوف نطوى في ظلامات الغروب

فالشاعر هنا يبين أن مصير الناس واحد هو الموت، رغم اختلاف طبقاتهم الاجتماعية، فالموت هو الذي يوحد البشر ويجعلهم سواسية، ولا يفرق بين غنيهم وفقيرهم، ويتكرر مثل هذا المعنى عند عرار حيث يقول في رثاء الهبر [2]:

لا تخف ظلمة القبور ففيها يتساوى : الأفذاذ والأوغاد
وينام الصعلوك جنبا لجنب والسّراة الذين شادوا وسادوا
أيهذا التراب بوركت من قا ض لأحكامه استراح العباد
هبر ليست دنياك عبدة رقّ لأناس بعرفها أسياد
كل حي لسوف تحمله يو ما لمثواك مرغما أعواد
والشقي الشقي من يحسب العمر بناء لا يعتريه النفاد
إن حبل الردى مشاع وعنه قفز الهبر وابن شداد عاد

فالموت عند عرار يتساوى فيه الأسياد والعبيد، والفقراء والأغنياء، وهو مصير كل حي والإنسان الشقي هو الذي يحسب أنه سوف يبقى خالدا في الدنيا وأنه لن يموت .

---

[1]- التل، محمود: نداء للغد الآتي ص 34
[2]- التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 201

ويقف الشاعر علي البتيري عاجزا أمام الموت الذي يراه يأخذ الجميع، ويتساءل إلى أين المفر من ذلك ؟ ولكنه يقر بأن هذا الموت هو مصير الجميع، ولن يستطيع أحد النجاة منه، يقول في قصيدة بعنوان (الموت العميم) [1]:

إنه الموت
يتسع الآن فينا
وينشر أسراب غربانه
في يباب النفوس ..
إنه الموت يغسل أكفانه
في دموع الحزانى
ويلقي بها فوق هذي الرؤوس
وتلك الرؤوس ..
فمن ظنّ أن على رأسه ريشة
سوف يأتيه موت أكول عبوس
إنه الموت يزحف كالنمل
بين الجلود وبين الثياب
فأين المفرّ ؟ وأين الذهاب ..
وأكفانه خلف أبوابنا تستطيب الجلوس ؟
إنه الموت فينا يوارب باب الحياة
بقبضته الجامحة
ويرى في النفوس التي تلعق الصمت
تربته الصالحة

ويقول حسني فريز في قصيدة بعنوان (قف قليلا)[2]:

---

[1]-البتيري، علي: شبابيك أتعبها الانتظار، وزارة الثقافة، عمان، ط1 ، 2004، ص ص 32-33

[2]- فريز: الأعمال الكاملة ص 217

قف قليلا وأرهف السمع وانظر ذلك مثوى الأقيال يا مغرور
تلك آثـــــــار معشر رقدوا الآن فأنصت لما تقول القبور
لا يرعك التراب فـــهو نقـــي ذهب الغل والأذى والغـــرور
إن ما فيك من خبيث سيفنـــى وستأتي وأنت طين طهـــــور
وسينساك حـــادب وحبيـــــب وسينسى وهو الجميل النضير
كل حسن إليّ آت وللـــــدود مقيل في حسنـــه ومسيـــــر
إنما الدود للجميـــــــــع سواء ليس بين الديدان دود خطير

فالشاعر يدعو إلى أخذ العبرة من أصحاب القبور، الذين كـــانوا يعيـــشون فـــي قصور، وأن هذه القبور تساوي بين الناس جميعا وهي تطهرهم من الحقـــد والكبـــر والغرور، وأن الدود سوف يأكل لحمهم جميعا ولا يفرق بين أحد. فالشاعر يدعو إلى أخذ العبرة من الآخرين، وأن كل إنسان مصيره الموت، فلذلك يجب عليه أن يقنـــع بما عنده لأن مصيره إلى الزوال .

ومن الشعراء من استسلم للموت بوصفه حياة أجمل، أو طريقا إلى حياة أجمـــل، ويتمثل ذلك في الشوق إلى الموت، والخلاص من الحياة القاسية، وانتقالا إلى حيـــاة مثالية تحن إليها نفس الرومانسي. وقد يأخذ هذا الطابع صبغة صـــوفية تـــرى فـــي الموت طريقا إلى اتحاد الذات الفردية بالذات الكلية. فالـــذات الـــصوفية لا تـــشعر بوجودها إلا في إطار الذات الإلهية. وهي لا ترى سعادتها إلا في زوال الهوة بينها وبين الذات المطلقة التي تمثل الخلود والجوهر والحقيقة. ومن شعراء الأردن الـــذين كان لهم نزعة نحو الموت، الشاعر تيسير السبول الذي انتحر وهـــو فـــي ريعـــان الشباب، فقد برزت النزعة الانتحارية في أدبه، حيث كان نتاجه الأدبي يتسم بالحزن والتشاؤم، وظهر التوحد بين الأديب ونتاجه واضحا عنده، حتى لتكاد أعماله تـــشكل سيرة فكرية لحياته وأزماته [1]. فقد أقدم الشاعر على الانتحار بعد أن وصـــل إلـــى مرحلة اليأس من انفراج أزمات الأمة، فوجد في الموت راحة له من هذه الحيـــاة . وهكذا لم يعد الموت مشكلة أو عقبة وأصبح شيئا مستحبا؛ لأنه يقرب بـــين الحبيـــب

[1] – الشيخ، خليل: الانتحار في الأدب العربي (دراسات في جدلية العلاقة بين الأدب والسيرة)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1 1997م، ص 89

والمحبوب لدى الصوفي ويحرر الإنسان من حدود الزمان والمكان لدى الرومانسي. فالصوفي يحن إلى الفناء في الله وهذا لا يتم إلا بعد الموت، والرومانسي يحن إلى الحرية المطلقة ولا سبيل إلى ذلك إلا بتحرر الروح من الجسد. ويتفق الصوفي والرومانسي في أن الموت طريق الخلود والحياة الحقيقية [1].

ويتجلى هذا الطابع لدى محمود فضيل التل، وإبراهيم نصر الله، وعبد الرحيم عمر، وعرار، وتيسير السبول، ومحمد القيسي .

يقول عرار في قصيدة بعنوان (كتابة على قبر منتحر) [2]:

علي انقضت الآلام حتى ... طلبت الموت في شرخ الشباب
فأفني الهم من قدم حياتي ... وجسمي اليوم يفنى في التراب
أيا يا من يلمني على انتحاري ... عتابي خله واسمع جوابي
ممات المرء أفضل من حياة ... تقضى بالشقاء والاضطراب

فالشاعر يرى أن الموت هو راحة له من حياته المتعبة التي قضاها في الشقاء والألم والمعاناة. كما أننا نجد الموت عند تيسير السبول ينقله إلى عالم الطمأنينة والراحة، حيث إنه لم يستطع أن يؤدي رسالته كشاعر فرأى أن الموت هو أفضل وسيلة للشعور بالراحة، يقول في قصيدة (بلا عنوان 2)[3] :

أنا يا صديقي
أسير – مع الوهم أدري
أيمم– نحو تخوم النهاية
نبيا غريب الملامح أمضي
إلى غير غاية
سأسقط لا بد يملأ جوفي الظلام
نبيا قتيلا وما فاه بعد بآية
وأنت صديقي

---

[1] – علاق: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية، ص 203
[2]–التل، مصطفى : العشيات ص 587
[3]–السبول، تيسير: الأعمال الكاملة، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط2 ، 1998م ص 196

وأعلم لكن قد اختلفت بي طريقي

عذيرك ، بعد

إذا ما التقينا بذات منام

تفيق الغداة وتنسى

لكم أنت تنسى

عليك السلام

فاليأس قد حاصر الشاعر من كل اتجاه ولم يترك له مجالا للفرح، وكما يقول الدكتور أحمد الزعبي: " فإن القصيدة تجسد مأساة موجعة سيطرت على الشاعر، وشكلت هاجس الموت الحتمي الذي عزم على مواجهته وخوض غماره "[1]. وكأن الرحلة تجاه الموت أصبحت ضرورية؛ لأن الآفاق الذاتية عنده قد وصلت إلى طريق مسدودة، وكذلك الآفاق الكبرى للأمة تبدو غير قابلة للانفراج [2]، يقول تيسير السبول في قصيدة بعنوان (الرحلة)[3]:

هو لا يذكر شيئا عن عذابات الليالي الماضية

تمت الرحلة

والوعد على القمة

والقمة لاحت دانية

لحظة

طرفة عين

وإذا ما ارتجت أوصاله قد يتذكر

خبرا عن رحلة هابطة

أو صاعدة

فالشاعر يجد أن الموت سينسيه هذه المتاعب، فهو لم يعد يذكر منها شيئا، فالموت هو المخلّص في نظر الشاعر من تعب وعذاب الدنيا .

---

[1] – الزعبي: أسلوبيات القصيدة المعاصرة ، ص 72

[2] – الشيخ، الانتحار في الأدب العربي، ص 98

[3] – السبول: الأعمال الكاملة ص 197-198

ويستعد الشاعر أحمد الخطيب لرحلة الموت التي يرى فيها الراحة الأبدية لنفسه التي أتعبتها الحياة، وجعلته يعيش في شقاء دائم، يقول[1] :

لهذا أعدي
طواحين نفسي الشقية
أعدي العروج
إلي
إلى ما وراء السراج
إذن
يا
بُنيّة

ونجد الشاعر إبراهيم نصر الله ينظر إلى الموت على أنه سلّمه إلى الحياة الهانئة التي تخلو من الشقاء والمعاناة يقول [2]:

هذا أنا
وجبين إله
لا أقول لك الآن إني سأمضي إلى الموت
لا أعشق الموت
لكنه سلمي للحياة

ويتكرر هذا المفهوم عند عبد الرحيم عمر، في قصيدة بعنوان (ضائع على الدرب) فهو يريد الخلاص من الاحتلال وتحرير فلسطين المغتصبة؛ لذلك فهو ينظر إلى الموت على أنه مهر للحياة، فالشاعر يعترف بخوف الإنسان من الموت ،فهو يرسم صورة مخيفة للموت ويشبهه بالأشباح، ولكنه يطلب من الإنسان عدم الخوف من الموت؛ لأن الحياة العزيزة والهانئة بحاجة إلى ثمن غال يقول [3]:

---

[1] – الخطيب، أحمد: باتجاه قصيدة أخرى(هنالك حيث أنا)، الجنان للنشر والتوزيع، عمان، ط1 2006م، ص 128

[2]– نصر الله، إبراهيم : الحواريات (الفتى النهر ... والجنرال)، المركز العربي لتوزيع المطبوعات، د.ط، د.ت، ص 165

[3]– عمر، الأعمال الكاملة، ص 32

اصرخ لعنتك صرخة الإنسان
روّعة هجوم الموت، أسرابا من الأشباح
تسطو كالنسور، تجفف الدمع المطل بناظريك
سيّان لا تدع انشداه الموت
يلقي روع رهبته عليك
الليل يا مولاي جسر المدلجين إلى الضياء
والموت مهر للحياة .

ويرى الشاعر محمد القيسي أن في قدوم الموت إشارة واضحة، لبدء حياة عزيزة وخلاص مؤكد من المحتلين للأرض العربية في فلسطين؛ لذلك هو يدعو لعناق الموت من أجل دحر المحتل وتحرير الأرض، يقول في قصيدة بعنوان(الموت والعناق) [1]:

حينما تسقط في ساحاتنا حتى الحجارة
حينما يهدم بيت تلو بيت
يصبح الموت إشارة
وبدايات لصوت
عانق الموت بوجه الريح عانق
كل لون فوق وجه الأرض، في
نسغ البدن
أنت إن أصبحت عاشق
يسقط المحتل في الطين، ويبقى
وحده مجد الوطن

ويرى الشاعر حيدر محمود أنّ الموت قد أصبح حرفة، من أجل العيش في حياة هانئة، وفي حرية وأمن واستقرار، يقول في قصيدة بعنوان (المُدلجون غرّبوا)[2]:

---

[1]- القيسي: الأعمال الشعرية، ص 113
[2] - محمود: الأعمال الكاملة، ص 258

.. والمدلجون ..
احترفوا الموت
ليصنعوا الحياة ..
ما أجمل الموت الذي
يفضي ... إلى الحياة
والهول ..
عندما تكون في ركوبه
النجاة

فالشاعر هنا ينظر إلى الموت نظرة إعجاب؛ لأنه بالموت وحده قد تتحقق الأمنيات، التي يصبو إليها الشاعر، وهي الخلاص من الاحتلال الصهيوني لفلسطين، والحصول على الحرية .

أما الشاعر محمود فضيل التل فقد كثر ذكر الموت في قصائده، ونجده في أكثر من قصيدة يتمنى الموت للخلاص من حياته التي سببت له الكثير من المتاعب والشقاء، يقول في قصيدة بعنوان (للموت قد غنيت):[1]

مذ كنت طفلا يافعا
غنيت لحن الموت
ما كنت أستطيع العيش
ما عدت أستطيع الصمت
آثرت أن أدفن حيا
كل يوم قبل أن يمضي وقبل أن يفوت
لأنني أصلا خلقت كي أموت
ماذا إذا ؟ ماذا عساني أن أكون ؟
أكثر من أني أريد الموت
أريد أن أخلد للسكون

[1]-التل، محمود: أغنيات الصمت والاغتراب، ص82

أريد أن أنسى بأنني خلقت ذات يوم
وكنت خلقا ميتا في غفلة الحياة
فاعتدت أن أسعد في دوامة الآلام
وتغتني نفسي كثيرا من خزائن الأحزان
أتعتبون بعد هذا أن أنا أقسمت صدقا
أنني أحب الموت
كيما أريح وأستريح ؟!!

فالشاعر يتمنى الموت لأنه وجد الحياة متعبة؛ ولأنه يعرف منذ البداية أن الموت هو نهاية الحياة الدنيا، ويرى في الموت راحة له من حياته المتعبة التي يعيش فيها حزينا، ويصبح الموت هو بوابة الخلاص من حياة محدودة تسبب الألم لروح الشاعر التي أضناها طلب التحرر ومعانقة الحياة الحقيقية التي هي وراء الموت. ويقول محمود فضيل التل في قصيدة أخرى بعنوان (أيها الموت أغثني)[1]:

أيها الموت أغثني
ففؤادي يتمزق
واطوني في ثوب ليل
فدمائي ... تتحرق
آه ما أطول عمري
وعذابي يترقرق
فلم الحلم وعندي
المنى والباب مغلق
أنت يا دنيا ظلام
فيك همي يتألق .

[1]-التل، محمود فضيل : شراع الليل والطوفان ، ص 27

فالشاعر من كثرة همومه يتمنى الموت؛ لأنه يرى في الموت راحة له من هـذه الحياة وأن عمره ضاع في الآمال دون أن يحقق شيئا من أحلامه، وأن هـذه الـدنيا تتعب من يركض وراء زيفها يقول [1]:

ضاع في الآمال عمري
وعذابي لا يصدق
وإذا مت فحلمي
خير ما أهوى وأعشق
وإذا الناس بهم
فهمومي لا تطوّق
هكذا شأن الحياة
في رداها تتفوق .

وقد يئس الشاعر محمود فضيل التل من حياته؛ ولذلك فهو يتمنى الموت وانتهاء الحياة. يقول في قصيدة بعنوان (الموت أحلى منية) [2]:

متى ستنتهي الحياة يا حبيبتي؟
متى ستعصف الرياح بالسنابل
والغراس وبالورود ؟
متى سيولد الفناء يا حبيبتي ؟
كي أستريح
فقد يئست من الحياة
وكل ما في هذه الدنيا
وفي هذا الوجود
الموت أحلى منية
شوقي إليه من الطفولة قاتل

---

[1]- التل، محمود فضيل : شراع الليل والطوفان: ص 29
[2]-التل، محمود فضيل : أنشودة المستحيل، دار أزمنة، ط 1، 2004، ص 72

كم نازعتني دائما

نفسي إليه بلا حدود .

تشكل قصيدة (الموت أحلى منية) نشيدا يتغنى فيه الشاعر بجمال الموت. فإذا كانت الحياة تمثل الوجه الأسود وما يخفيه من آلام ومعاناة وضنى وضلال وقسوة؛ فالموت هو الوجه الآخر المشرق، هو الحضن الحنون الذي سوف يضم شقاءنا، وسوف يشجينا بصوت الحياة الرخيم .

ويشعر محمد القيسي بالحزن والأسى، من خلال إحساسه بتقدمه في العمر وأن الحياة شارفت على الانتهاء، يقول في قصيدة بعنوان (ختام الأغاني)[1]:

لم يعد ما يحتسى

كلما ازددت من النبع اقترابا

كلما ازددت أسى

ورأيت الأرض بابا

ورأيت الأفق شباكا مدلّى

قلت للقادم أهلا

لم يعد ما يحتسى

بلغ العمر المسا

بلغ العمر المسا

ويقف الشاعر عصام العمد متأملا الموت والحياة، وعالم الأرواح التي لا يعلمها إلا الله عز وجل في قصيدة بعنوان (عالم الأرواح) [2]:

في ثرى الأرض وفي القبر رقد	روحه في الغيب تاهت للأبد
تلكم الأرواح هل عادت لنا	هل حكت عن بعض أسرار الجسد
ما أتت روح ولم ترجع لنا	تطرق الباب ولا ميت وفد
عالم الأرواح تيه شاسع	كل شيء غامض فيه أبد
فيه باب مغلق بل محكم	حاجز ما بيننا صلب وسد

[1] – القيسي: الأعمال الشعرية ، ص 643

[2] – العمد: ديوان الوجدانيات، مجلد 2، ص 68-69

خلف ذاك البـــاب لا أدري متى سوف أمضي عن رفاقـــــي والبلد
خلف ذاك الباب هل لي خيمـــة أربط الأحبال مـــــــــنها بالوتد
خلف ذاك الباب هل ألقى الذي كان دوما هاجسي منـــــــذ الأمد
إنه الموت الـــذي لا بـــد لـــي أن ألاقيـــه إذا يـــومـــــا وعـــد
إنـــه المـــوت الـــذي أحبـــاله يربط الإنسان فيـــهـــا أو يـــشـــد
فهـــي إمـــا مـــن حرير ناعم أو مـــن الشوك وحبل من مســـد

فالشاعر في هذه القصيدة يتحدث عما بعد الموت، عندما تخـــرج الـــروح مـــن الجسد ويتساءل هل سبق وعادت روح إلى صاحبها ؟ وهـــل اســـتطاع المـــوتى أن يخبرونا بما حصل لهم ؟ وهو يريد بذلك أن يثبت لأي إنسان يتساءل عن ذلك بـــأن علم الأرواح عند الله سبحانه وتعالى، وأنه من علوم الغيب، ولا أحد يعلم عنه شيئا، فالله سبحانه وتعالى قد استأثر بعلم الغيب لنفسه، قال تعالى: **(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)** [1].

ويستمر الشاعر في تساؤله عن الموت، وعن مصيره، وهل سيجد من يـــصلي عليه ويواريه الثرى ؟ وهل سيجد الكفن؟، كل هذه الأسئلة التي يطرحهـــا الـــشاعر ناتجة عن الشعور بالخوف من الموت، الذي هو لا محالة مصير كل البشر، ولكـــن الشاعر يعود ويؤكد بأن ذلك كله في علم الغيب، ولكن علـــى الإنـــسان طاعـــة الله والاستعداد ليوم الرحيل [2]:

لست أدري يوم يأتي حتفنا هل بلا قبر نوارى أم بلحد
هل سنلقى ذات يوم كـــــفنا نرتديه أم بـــــلا ثوب نرد
هل سنلقى من يصلي حولنا يقرأ القرآن يتلو مـــا ورد
لست أدري إنه في علمـــه كل هذا فهو في اللوح معد
حكمة الرحمن فيـــها عبرة للذي بالخالق الباري جحد
كل إنسان سيجنـــي زرعه وهو يوما آكل مما حصـــد

---

[1] – سورة الإسراء : الآية 85
[2] – العمد: ديوان الوجدانيات، مجلد 2، ص 70

ومن القصائد التي تجسد رؤية عميقة سوداوية للحياة، وللمصير الإنساني، الذي ينتهي بموت مؤلم لا مفر منه، قصيدة بعنوان " قالوا " للشاعر خالد محادين يقول[1]:

قالوا لهوت فقلت من شهد الحيـــاة وما لهـــــا
وسفحت أيامي على عبث السنين ولهـــوهـــــا
ما كنت أحفل بالوجود إذا صحوت على النهى
لم أدر من أين ابتدأت ولا عرفـــت المنتـــهـــى
قالوا تعبت فقلت هل تعبت من النوم الجفـــون
قدر المعذب أن يكون كما الحياة بـــه تكـــــون
ورضيت بالدرب الطويل وقلت عاش المتعبون
قالوا وفيت فقلت مثـــل العاشقيـــن الأغبيـــــاء
من علّم الطفل الجفـــاء فصار يبتدع الجفـــــاء
فإذا الفجيعة والخديعة لي جـــــزاء ولا عـــزاء

فالشاعر في هذه القصيدة يشكل حوارية رائعة بينه وبين الناس، الذين يتعجبون من لهوه فيجيبهم الشاعر أن هذا اللهو جاء مما شاهده من أهوال في هـــذه الحيـــاة، وكأن لهوه جاء ردة فعل طبيعية تجاه الحياة و الموت، وهو يشعر بحيـــرة عجيبـــة حيث لا يعرف بدايته أو نهايته، ولكنه متيقن بأن مصيره هو الموت الـــذي لا مفـــر منه، وأن الدرب مهما طال لابد له من نهاية .

لقد كان شعراء الأردن يرون الموت طريقا إلى الحرية والانطلاق. وكما ارتبط الموت بالحرية ارتبط بالأمل، فهم يشعرون أن آمالهم التي لم يستطيعوا تحقيقها فـــي الحياة يستطيعون تحقيقها بعد الموت. وهكذا أصبح الموت طريقا إلى حيـــاة مثاليـــة كلها أمل وحرية وسعادة. وكما ارتبط الموت بالحرية والأمل ارتبط بالخلود أيـــضا، فالحياة الدنيا مصيرها الفناء أما الحياة الأبدية فهي التي تعقب الموت، فهم لا يحنون إلى الموت في حد ذاته بقدر ما يحنون إلى ما بعده من حياة مثالية فيهـــا كـــل مـــا ترغب الروح فيه، ويجدون في الخلود دواء لأنفسهم المضطربة القلقة. على أن هذا

[1] – محادين : الأعمال الشعرية، ص 272

لا يمنع أن شعراءنا مؤمنون بحياة أخرى بعد الموت، لقد كان إيمانهم بـــالله يقـــوي إيمانهم بالخلود، وهكذا تجاوزوا فكرة الموت إلى الحياة الأخرى .

2.2 التأمل في الإنسان

الإنسانية كلمة " غير محدودة الدلالة، ولا محصورة الفكرة فقد تدل على كل ما يقترن في أذهاننا من السمو بالحياة البشرية "[1]، وهي " المعنى الكلـــي الـــدال علـــى الخصائص المشتركة بين جميع الناس، كالحياة، والحيوانية، والنطق وغيرها "[2].

" إنها مجموعة خصائص الجنس البشري المقومة لفصله النوعي، التـــي تميـــزه عن غيره من الأنواع القريبة"[3]، وبالتالي فإنه يتحدد لنا المجال الذي يدور في فلكـــه هذا المفهوم، إنه الإنسان بجسده وروحه، ولا يقف المفهوم عند هذا الحد ولكن دلالته تطورت متحددا فيها ــ إضافة على مجاله كما سبق ــ هدفها، لتصبح " تهدف فـــي كل أعمالها إلى خير الإنسانية وسعادتها وإلى إصلاح الجنس البـــشري ســـعيا وراء الكمال والمعرفة ووصولا إلى حقيقة الإنسان المطلقة البعيدة عن كل الـــشوائب "[4]، إنها نزعة البشر إلى الخير والحب والشفقة والرحمة والإصـــلاح، وهـــذا التـــصور الأخير هو الذي استقر عليه المفهوم، وصار متداولا فيه، وأصـــبحنا نـــسمع كثيـــرا بالموقف الإنساني، والعمل الإنساني .. إلخ .

وحيث إن الأدب " هو ذلك الإنتاج اللغوي الذي يهم الإنسان من حيـــث كونـــه إنسان، كمخلوق بشري يضطرب على ظهر هـــذه الأرض، يبلـــو تجـــارب الحيـــاة الإنسانية فتؤثر فيه تأثيرات شتى من كونه بشرا، لا من حيث كونه متخصصا فـــي ناحية معينة من نواحي النشاط الإنساني "5، حيث إنه كذلك فقد تشبع بالإنسانية مـــن ناحيتين، الأولى في مجاله وموضوعه (الإنسان)، والثانية فـــي طريقـــة تـــشكيله ووظيفته .

---

[1]- ضيف، شوقي: دراسات في الشعر العربي المعاصر،دار المعارف، القاهرة ، ط7 ،ص 58

[2]- قميحة: الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص27 .

[3]- المرجع نفسه: ص 27

[4]- المرجع نفسه: ص27

[5]- النويهي، محمد : وظيفة الأدب، مطبعة الرسالة، عابدين ، ط1 ، د.ت، ص34

وقد بدت هذه النزعة الإنسانية تبرز بصورة أكبر في الشعر العربي بعد الحرب العالمية الثانية، حيث (أخذ يعاني قضايا الإنسان وقضايا الشعوب من خلال الأحداث الكثيرة التي عصفت بالإنسانية وسبب الكثير من الدمار والويلات والآفات الاجتماعية التي خلفتها الحروب كأثر طبيعي لها، ثم إن بروز الجماهير على الساحة العالمية وطرحها للقضايا الحياتية ونضالها الدائب من أجل السلام والحرية والعدل قد أثر في الشعر العربي المعاصر، وجعل يواكب تلك الأحداث ويتفاعل معها وبها، أضف إلى ذلك الإنتاج الفكري والثقافي واطلاع الشاعر العربي على نتاج كثير من الشعوب إما عبر الكتب المترجمة وإما عبر اللغة الأصيلة لذلك النتاج)[1]، واليوم أصبح هذا البعد الإنساني مؤكدا في شعرنا المعاصر أكثر من غيره، وما ذلك إلا نظرا لاتساع دائرة العالم، واحتكاك الإنسان المعاصر بالبشر وقضاياهم الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، وساعد التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل الذي شهده العصر على ذلك، فأصبح من المحتم على الإنسان الذي يريد أن يجد له مكانا في هذا العصر أن يكون متفاعلا معه، مهتما بأكثر الأمور التصاقا بالكل الإنساني، ولم يعد للنظرة الجزئية أو المعالجات المحدودة كبير شأن إذا قيست بتلك التي تتصل بالمجموع الإنساني الذي يتخطى الحدود الجغرافية والعرقية، وما مشروع العولمة والإنترنت والقنوات الفضائية إلا أمثلة بسيطة ومؤشرات توضح تعاظم ذلك الاحتكاك [2]، حيث(حقق الترابط بين أطراف العالم نوعا من وحدة الفكر لم تكن متاحة للشاعر القديم، وصارت كل قضية إنسانية يعيشها الإنسان في أي مكان على وجه الأرض هي قضية الإنسان ــ كل إنسان ــ حيثما كان ... ، وإنما الشاعر المعاصر هو الذي تترابط في نفسه أحداث عصره، سواء في بيئته المحلية المحدودة أو في البيئة العالمية، فتنعكس الأحداث بعضها على بعض، مشكلة في نفسه دراما الإنسان المعاصر، وهذا بدوره معلم من معالم حياتنا المعاصرة، فنحن الآن لا نعيش قضايانا وحدها، لأن قضايانا لم تعد منفصلة في الزمان أو المكان عن قضايا كل

---

[1]- قميحة: الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر ، ص58

[2] - انظر، حور، محمد إبراهيم: النزعة الإنسانية في الشعر العربي، مطبعة العين، الإمارات، ط1، 1986، ص91

إنسان ..)[1]، ومن هنا يتبين لنا ضيق النظرة التي تقول بقصر الاتجاه الإنساني على ما يتناول فيه الأديب قضايا عالمية من خارج بيئته؛ لأن الاتجاه الإنساني قد فرض نفسه حتى على القضايا الجزئية والمحدودة ببيئة معينة أو جماعة معينة، حيث إن العالم كله سيعيش هذه القضية ويسمع بها ويباشر تفاصيلها أولا بأول، وقد انصب التأمل في عصر النهضة على الإنسان، ذلك النوع الذي اثبت قدرته في السيطرة على الطبيعة، بعد الثورة الصناعية في القرن السادس عشر بأوروبا، الذي فرض نفسه في مجالات الفكر الأخرى. من هنا " اكتشف الناس أن قدرات الإنسان لا حدّ لها، وأنه إذا أطلق له العنان حقق العجب. عند ذلك هبطوا بفكرة الإله إلى الأرض وأحلّوا فكرة الإنسان محلّه، وأصبح الإنسان مركز الكون ومحور الحياة " [2].

واتجه اهتمام الأدب إلى الإنسان يتأمل جوانبه المختلفة، متعمقا في فهم نفسيته وعلاقته بالمجتمع وعلاقته بالكون أجمع. وانتقلت هذه الفلسفة من الغرب إلى الشرق في عصر النهضة إذ أخذ العرب يترجمون إلى لغتهم آداب الغرب وفلسفته، فانتقلت نظرية داروين التي تعد فهما جديدا للحياة بلفتها النظر إلى الإنسان وقابليته للتطور الجسدي والفكري، كما انتشرت فلسفة نيتشه التي تؤكد على قيمة الإنسان وقدرته على التطور إلى الإنسان " الأعلى " الذي يبشر به نيتشه وأحدثت هذه النظرة تأثيرا في نفس الإنسان العربي الذي كان يعاني من الإحباط في حياته [3] .

إلا أنّ الشعر العربي لم يستطع أن يهضم ما وصل إليه من فلسفة الغرب في بداية نهضته إذ نلحظ له انعطافا نحو عالم الإنسان بالشكل الذي عرفه الغرب، فقد كان مهتما بإحياء التراث العربي القديم بمجاراته في أغراض المدح والرثاء والغزل، وما جاء من تأملات في هذا الشعر قليل متفرق شأنه في ذلك شأن الحكمة في الشعر العربي القديم.

وإذا كانت النظرة القديمة إلى الإنسان ترى فيه مصدرا للشر والفساد بسبب استسلامه لرغباته الجسدية، فإن النظرة الحديثة أدركت عظمة الإنسان بصورة

---

[1] – إسماعيل، عز الدين: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، بيروت، دار العودة ، ط5، 1988م ص15

[2] – إسماعيل، عز الدين: الفن والإنسان، دار القلم، بيروت ، ط1، 1974، ص 82

[3] – علاق: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية، ص 26

عامة، وأثبتت قدرته على التقدم نحو الخير باستمرار وأن الشر ليس من طبع الإنسان بل تخلقه ظروف اجتماعية قاهرة، وهكذا عادت إليه كرامته وقيمته في الحياة بحيث أصبح محور الأدب الحديث .[1]

وقد وجدت فكرة الإنسانية لها في التيار الرومانسي الأثر البعيد، حيث إن شعراءه قد ثاروا ثورة عارمة على القديم واتجاهاته ومفاهيمه في الشعر والأدب، وتركزت ثورتهم بنوع خاص على العادات والتقاليد والمفاسد الاجتماعية، التي كان يرزخ الإنسان العربي تحت وطأتها واتخذت لها الأبعاد الشاملة، التي تجعل من الأدب صورة للإنسان الفرد.[2] كما أن ميخائيل نعيمه يرى أن مسرح الأدب هو الإنسان يقول :" وليس كالأدب مسرحا يظهر عليه الإنسان بكل مظاهره الروحية والجسدية ،ففي الأدب يرى نفسه ممثلا ومشاهدا في وقت واحد، هنالك يشهد نفسه في الأقماط حتى الأكفان، وهنالك يمثل أدواره المتلونة بلون الساعات والأيام، وهنالك يسمع نبضات قلبه في نبضات سواه، ويلمس أشواق روحه في أشواق روح غيره، ويشعر بأوجاع جسمه في أوجاع جسم إنسان مثله " .[3]

وشملت الإنسانية في معناها عند أصحاب الاتجاه الرومانسي، جميع الفضائل المتمثلة بالخير والمحبة والعدل، كما جمعت تحت لوائها توق الإنسان وطموحه إلى أسمى وأنبل الغايات بعيدا عن كل أشكال التعصب والتفرقة والاختلاف، كما تدعو إلى نبذ كل ما يفرق بين الإنسان والإنسان لأنها تنظر إلى أن الناس من طبيعة واحدة، وأن الشكل واللون والمظهر الخارجي الذي يميز بين البشر، ما هو إلا أثر من آثار البيئة والطبيعة على الإنسان[4].

وهكذا فإن الإنسانية بنظر أصحاب الاتجاه الرومانسي، تضم كل المعاني المطلقة التي لا تحدها الحدود، فهي دعوة شمولية تستمد بذورها من الحياة المثالية، الخيالية التي يطمح إليها البشر في أرق اللحظات وأصفاها؛ ولذلك فقد لاقت هذه الدعوة عند شعراء الأردن منذ مطلع القرن العشرين حتى منتصفه مجالا رحبا نظرا

---

[1] – علاق: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية، ص 27

[2]– قميحة: الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 42 ــ 43

[3]– نعيمه، ميخائيل : الغربال، دار صادر،بيروت ، ط6، 1960، ص 26

[4]– قميحة : الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 44 ــ 45

لما تحمله من ثورة على المفاهيم التقليدية، ولما تدعو إليه من قيم شاملة وتجديدات في الفكر والمشاعر والموضوعات، وأصبحت هذه النزعة الإنسانية في الشعر من أهم مقومات وجوده وانتشاره وخلوده، ذلك لأن هذا " النوع من الشعر الإنساني يتصل بالنفوس اتصالا شديدا، ويحلق بالأرواح والأفئدة ويرتفع إلى آفاق الروح الأعلى، ويجعله منطلقا مع الكون في صلوات وابتهالات فيها مس من الصوفية المتزهدة وفيها مع ذلك ظلال من الشك والتساؤل، وألوان من الإيمان واليقين، ومثل هذا الشعر الإنساني يدني الإنسان من بارئه ويقصيه عن العالم المائر بالأطماع والشهوات " [1].

لقد كان اهتمام شعراء الأردن بالإنسان كبيرا في أشعارهم التأملية، وهذا ينطبق على نظرتهم إلى الأدب التي ترى في الإنسان محورا له، فنظرتهم إلى الإنسان ــ مثلا ــ بصورة عامة نظرة محبة وتقدير، لما حباه الله من مكانة في الكون ، بصورته صاحب رسالة معرفية في الحياة ترقى به إلى مالك السماوات، وقد جعله الله خليفته في الأرض كما قال تعالى: " **وإذ قال ربك للملائكة أني جاعل في الأرض خليفة** ".[2]

ونحن لا ننكر أن شعراء الأردن قد استقوا اهتمامهم بالإنسان وشيوع الروح الإنسانية في شعرهم من فلسفات الشرق وديانانه، غير أننا لا ننفي في الوقت نفسه أن تكون الحياة المادية التي طغت على مجتمعاتنا قد ولّدت فيهم رد فعل على وضعية الإنسان، فنزعوا إلى المحبة والأخوة كثورة على الوضع المادي الذي قضى على إنسانية الإنسان .

وقد كانت نظرة شعراء الأردن إلى الإنسان تتجاوز الفروق الطبقية، والعرقية والدينية والإقليمية، وهذه النظرة إلى الإنسان مثالية، فالإنسانية بمعناها المطلق كما يرى الدكتور عمر الدقاق:" نزوع وجداني أصيل إلى التعاطف بين الإنسان وأخيه الإنسان، وشعور ذاتي عميق بوحدة الجوهر بين البشر كافة، وحدة تعلو على

---

[1]- هدارة، مصطفى: التجديد في شعر المهجر، دار الفكر العربي، ط1، 1957، ص 108

[2] - سورة البقرة :الآية (30)

الطائفية والإقليمية والعنصرية، وتطمح إلى السمو بالنفس نحو المثل العليا وتطهيرها من شوائب الأنانية والنفعية" [1].

لقد أخذت كلمة الإنسانية في الأدب تتردد على أفواه شعراء الأردن، في مطلع القرن العشرين، نتيجة لما تضمنته من معان تسمو بالإنسان وحياته، وتعمل على تحقيق الأفضل له وأصبح لها وقع عميق ومؤثر في النفوس، لارتباط معناها بتطلع الإنسان نحو السعادة والمثل التي يحلم بها ويعمل جاهدا لتحقيقها وتمتين صلاتها الحيّة. وقد برز هذا الاتجاه لدى العديد من شعراء الأردن، وأخذ حيزا في أشعارهم ينم عن عاطفة شديدة، يقول عيسى الناعوري في قصيدة له بعنوان" أود أن أرى" [2]:

يحزن قلبي أن أرى برعم زهر يذبل
أو حيوانا يقتل
أو حشرة تدوسها الأقدام
يحزنني الطفل الذي يمد للاحسان
يديه أو يهان
أو يرتدي ممزق الثياب
وإن رأيت دمعة في مقلة اليتيم
طعنت في الصميم
وأثخنت فؤادي الأيام
لكنما يبهجني أن تضحك الزهور
وتنثر العبير
وتزهو الحياة بالشباب
أود أن أرى الهنا في أعين البشر
مؤتلق الصور
وأن يسود أرضنا السلام

---

[1]- الدقاق، عمر : شعراء العصبة الأندلسية، 1978 ، ص 278
[2]- الناعوري: أخي الإنسان ص 24

يظهر الشاعر في هذه القصيدة رقيق العاطفة، شديد الحساسية وتجرح قلبه وتدميه مناظر البؤس والشقاء، حتى ولو كانت تلك المناظر لزهرة تذوي، أو حيوان يقتل، أو حشرة تداس بالأقدام، فالشاعر إنما يتأثر لمثل هذه المشاهد؛ لأنه يرى من خلالها نفسه التي تقيس الأشياء عليها وتعكسها إنسانيا على الذات. وينتقل العذاب الروحي إلى الشاعر عبر كل مشاهد الحياة التي هي في الحقيقة رموز لمعاناة الإنسان في كل مكان .

ويظهر موقف الشاعر الإنساني من خلال حزنه الشديد لما يعانيه الإنسان المتشرد، الذي يرمز له بالطفل توكيدا لصورة المأساة التي يجسدها الطفل بكل ما يحمله من براءة وصدق، لا يعرف الخداع والزيف . ومع كل هذا الحزن والألم إلا أن الشاعر لا يفقد الأمل من السعادة، وذلك عندما يتحول الإنسان إلى زهور فوّاحة بالعطر والعبير تمنح البشر السعادة والهناء .

وكما يقول مفيد قميحة: " الشاعر في هذه التطلعات إنساني بالطبع، وهو كغيره من الشعراء الرومانسيين، الذين يحلمون في عالم مثالي تسوده شرائع المحبة والعدل، والسلام فنراه يتألم تألما روحيا ويتفاعل مع الطبيعة والحياة، تفاعلا وجدانيا عبر قنوات الذات التي تمتد خيوطها لترتبط بكل مظاهر الحياة والوجود . ومن ثم تعود لتتوحد مع تلك المظاهر توحدا يصهر كل تلك الروابط، ويجعلها شيئا غير بعيد عنها، شيئا يمثلها تمثيلا صادقا إن لم يكن صورة حقيقية لها "[1] .

ويتجسد الاتجاه الإنساني لدى عيسى الناعوري في قصيدة أخرى بعنوان " أخي الإنسان "[2]

أخي في العالم الواسع في المغرب والمشرق
أخي الأبيض والأسود في جوهرك المطلق
أمد يدي فصافحها تجد قلبي بها يخفق
بحبك يا أخي الإنسان
أحبك دونما نظر إلى لونك أو جنسك

---

[1]- قميحة: الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 77
[2]- الناعوري: أخي الإنسان ص 15 ــ 20

وأكره من يبث الحقد في نفســـــــــي وفي نفـــــسك

لترقص أنت في بؤسي وكي أرقص في بؤسك

ونشقى يا أخي الإنسان

فالشاعر في بداية القصيدة يخاطب الناس جميعا بكلمة أخي، التي تحمل الكثيـر من معاني الحب والإخلاص، فهولا يفرّق بين الناس مهما اختلفت ألوانهم ويشاركهم معاناتهم وآلامهم. ويستمر الشاعر في بيان أسباب شقاء الناس وبؤسهم التي صنعوها بأيديهم، بسبب الجشع والطمع الذي يملأ نفوس البشر يقول :

أخي أمأساتنا ليست سوى من صنع أيدينا

فمن أطماعنا العمياء سوّدنا لـــياليـــــــنا

ومن أحقادنا الصّماء هدّمنـــــــــا تآخـــينا

فرفقا يا أخي الإنسان

لقد جئنا إلى الدنـــيا مـــعا لنـــعيش إخوانا

ونـــسعد بالحياة معا أحـــــــباء وأعـــوانا

ولو شئنا جعلـــــــنا جنة الفردوس دنـــيانا

فهيّا يا أخي الإنسان !

إن تطلعات الشاعر إلى الأخوة الإنسانية، وما يحمله من آمـــال تغـذي الـروح الإنسانية وتشحنها بالمشاعر النبيلة، التي تهدف في النهاية إلى إزالة البؤس والشقاء عن البشر،وتكون خطوة مهمة من أجل إقامة علاقات طيبة بين البشر؛ لأن المشاعر والأحاسيس هي التي تولد الظروف الملائمة للخلاص من الألم والعذاب،ويدعو إلـــى إقامة الحضارات والعمران والتخلص من الأحقاد والظلم والطغيان يقول :

تعال نقم حضارات معا ،ولنرفع العمران

ونخلق في الحياة لنا مباهج حلوة الألوان

وضع يمناك في يمناي فـــي دعـــة وفـــــي اطمئنان

لنستعد يا أخي الإنسان !

دع الأطماع والأحقاد لا تجعل لـــــها شانا

فلن تسعد بالأطماع أو تـــــــــعلي بنيانا

ولن تمنحك الأحقاد في دنـــياك سلطانا

فدعها يا أخي الإنسان !

ويستنكر الناعوري على الناس إثارتهم للحروب، التـي تـؤدي إلـى هلاكهـم ودمارهم، ولا ذنب لهم في أي شيء، وهو يخاطـب الـضمير الإنـساني والعقـل ليتصرف تصرفا يدفع البؤس عن الناس ويحقق لهم الرخاء والسلام يقول :

تثير الحرب ! قل لي هل ستنجو أنت في الحرب؟

ألا يشقـــــيك أن أفنى بنارك دونـــــما ذنب ؟

وهل يـــــرتاح ، إذ تفنى، ضمـيري الحرّ أو قلبي ؟

رويدك يـــا أخي الإنسان !

فبيتك يا أخـــي بيتي ودربك في الدنا دربي

وعزك لهو في عزي وحبك يا أخي حـبي

وما تلقاه من ضـيم تصيب سهامه قلـبي

فيدمى، يا أخي الإنسان !

كلانا نعرف الأشـواق والآمال تحـــــدونا

كلانا نشتهي، والحسن لا ينفكّ يغـــريـنا

كلانا نعرف الصبوات نبلـــوها وتبلـــونا

فمهلا يا أخي الإنسان !

ويتحدث الشاعر عن وحدة المصير الإنساني وهو المـوت، وأنّ العمر طال فإن له نهاية ولا أحد مخلّد على هذه الأرض يقول :

أخي! نحن التقينا اليوم

في الدنيا بلا موعد

ودرب العمر مثل الحلم

مهما طال لن يخلّد

سنمضي مثلما جئنا

وذاك مصيرنا الأوحد

سلاما يا أخي الإنسان!

وقد نظر الناعوري إلى الإنسان بغض النظر عن العرق محافظة على الوحدة الإنسانية، التي يؤمن بها فالناس من أصل واحد وهو الطين، لا فرق بين عربي وأعجمي، وأبيض وأسود كلهم من آدم وآدم من تراب. وهذه النظرة تتبع للدين أساسا؛ لأن الأديان تشترك في دعوتها إلى القضاء على النزعة العرقية، وترى الناس سواسية أمام الله مهما اختلفت أعراقهم. قال تعالى :" **يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله اتقاكم إنّ الله عليم خبير** "[1].

ومن هذا المنطلق الديني تنظر الشاعرة نبيلة الخطيب نظرة استهجان لكل من يفرق بين البشر حسب أشكالهم وألوانهم، فالناس خلقوا من أب واحد، تقول في قصيدة بعنوان " عنصرية "[2]:

عبتم علي سوادا لست صانعه ... من نسل آدم إني مثلكم بشر
أبناء أمي فعال المرء تقدره ... ما ضر لوني و فعلي طيب عطر ؟
والله أودعني من روحه ألقا ... فكيف تجرؤ يا مثلي و تحتقر؟
حرا ولدت وعبدا صرت في وطني ... متى؟ و كيف؟ وأين العدل يا عمر؟

وهذا عرار ينظر إلى العدالة والمساواة بين الناس،من خلال نظرته إلى مجتمع النّور" الذي يرى فيه مدينته الفاضلة يقول في قصيدة بعنوان "بين الخرابيش " [3]:

بين الخرابيش لا عبد ولا أمة ... ولا أرقاء في أزياء أحرار
ولا جناة ولا أرض يضرجها ... دم زكي ولا أخّاذ بالثار
ولا قضاة ولا أحكام أسلمها ... بردا على العدل أتون من النار
ولا نضار ولا دخل ضريبته ... تجبى ، ولا بيدر يمنى بمعشار
بين الخرابيش لا حرص ولا طمع ... ولا احتراب على فلس ودينار
بين الخرابيش لا مال ولا نسب ... ولا احتراب على حرص وإيثار

---

[1] – سورة الحجرات: الآية 13
[2] – الخطيب، نبيلة: صبا الباذان، عمان، ط 1، 1996، ص 16.
[3]– التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 260

ولا هيـــــــام بألقاب وأوسمـــة ولا ارتفاع ولا خفض بأقـــدار

الكل " زط " مســاواة محققـــة تنفي الفوارق بين الجار والجــار

الشاعر يعتقد أن الزحام في المدينة قد أفسد أخلاق الناس، جاعلا إياهم يعيشون عيشة مملوءة بالقلق والخوف، فأدرك أن لا شيء يرجع لهؤلاء سعادتهم المفقودة إلا رجوعهم إلى وطن الإنسان الأول، حيث كان يعيش فيه عيشة البساطة والقناعة. ولم يكن ذلك الوطن المنشود في نظره سوى " مجتمع النّور "، حيث يعـيش فـي هـذا المجتمع أناس صادقون، ولا يوجد فيه منافقون كذابون حريصون على جمع المـال وتكديسه، فكلهم متساوون في كل شيء ولا فرق بينهم.

ويؤكد الشاعر محمود فضيل التل أصل الإنسان الذي خلق منه، وهـو الطـين يقول في قصيدة بعنوان (يا زمان الأنبياء)[1]:

أيها الإنسان لسنا

رسلا أو أنبياء

لا من النار خلقنا

أو من الشمس أتينا

إننا نحيا ونفنى

إننا طين وماء

إنما الدنيا حياة

وممات وانتهاء

أيها الإنسان مهلا

لا تزد هذا العناء

لا تكن شرا وخبثا

لا ترد سفك الدماء

فالشاعر يبين أن البشر ليسوا كالأنبياء معصومين عن الخطأ، وإنما يريـد مـن الناس أن يتركوا عنهم الخبث والشر وسفك الدماء؛ لأن الإنسان يحيا حياة واحـدة ومصيره إلى الزوال، فلماذا لا تكون هذه الحياة مليئة بالحب والوفاء؟ خاليـة مـن

---

[1]-التل، محمود فضيل : وجدتك عالما آخر، ص 124

العذاب والألم والشقاء، الذي يسببه الإنسان لأخيه الإنسان بسبب أطماعـه وجـشعه يقول [1]:

لا تكن للهم صدرا
ولسانا للرياء
كن عيونا وبريقا
كن شعاعا وضياء
مثلما برق السماء
كن محبا وصديقا
رائدا درب الرجاء
أيها الإنسان كم فكر ورأي
كم نبـــــــــي ؟!
كم رسول جاءنا بالحق يدعو
حاملا قول السماء ؟!
أيها الإنسان إن تمضي
سيبقى لك ذكر
فاجعل الذكر نقيا
مثل أصداء النداء .

ويتحدث الشاعر علي الكيلاني عن خلق الإنسان وأصله، ومن ثم مصيره الـذي سيؤول إليه، وأن الله قد ميزه عن سائر المخلوقات، يقول [2]:

أنت من جوهر طين لازب جبلت نفسا ففيك العـبر
نطفة قد خلقت من رحـم فجنين فاستوى فالكـبر
فممات فتـراب هـــين دورة نشهدها لا نشـعر

ويتعجب الشاعر محمود فضيل التل في كثير من الأحيان، من عبّاد المال، الذين لا همّ لهم في الحياة سوى تكديس الأموال، وإعلاء البنيان، حتـى إذ مـا أصـبحوا

---

[1]- التل، محمود فضيل : وجدتك عالما آخر، ص 125 ــ 126
[2]-الشعر في الأردن: أوراق ملتقيات عمان الإبداعية، وزارة الثقافة، ط 1، 2002، ص246.

أغنياء راحوا يتباهون بغناهم ويتفاخرون على أقرانهم بثرائهم، كما أنـــه أصـــبح لا يهمهم وجود الكاذب أو الخبيث بينهم وأنهم يؤولون كلّ شيء حسب أهوائهم. يقـــول في قصيدة بعنوان (غياب الشمس)[1]:

الناس في زماننا
يعلون البنيان
لا يدركون حقيقة الأشياء
أو كنه الزمان والمكان
يتحسرون على الوداعة
والمحبّة والأمان
ويحسبون مكانة الإنسان في ما يقتني
من أنفس الأسلاب
مما خفّ حمله من أندر الأشياء
أو من غالي الأثمان
هيهـــــــــــــات أن يهمهم
إن كان بينهم لئيما
أو خبيثا ... حاقدا ... أو مجرما
أو قاتل الإحساس والوجدان
فالحق ما يحلو لهم
أن يجعلوه حقا خالصا
ألا ما أرخص الإنسان عندما
تغدو الحياة لديه أوهاما
وينبوعا من الأطماع .

ويؤكد محمود فضيل التل مرّة أخرى أصل البشرية؛ ليذكر الإنسان بأصله حتى لا يصيبه الطمع أو التعالي على الآخرين، يقول في قصيدة بعنوان(حقيقة الحياة)[2]:

---

[1]-التل، محمود فضيل: وجدتك عالما آخر ص 23 ــ 26

[2]- التل محمود فضيل : أغنيات الصمت والاغتراب ص 11

ما عاد يشغلني وعيد أو حكايا اللائمين
حتى علاني سؤال نفسي ... هل أنا ماء وطين
هكذا بدء الخليقة من ماء مهين .

ويصور حيدر محمود الصراع بين النفس البشرية، والظروف المحيطة بالإنسان في قصيدة بعنوان (الحصار)، حيث يشير الشاعر إلى أصل البشرية وهو الطين يقول [1]:

يحاصرني الطين
كيف يحاصر هذا الجدار المعلق
خيطا من النور
كيف يصادر هذا الرداء الممزق
نبض الحضور
ويمنعني من مغادرتي (الظل)
ويسدّ علي سبيل العبور
إلى وهج مرحلتي

فالصراع هنا قائم بين نفس الشاعر وعقله والعوامل المحيطة به، التي تحد من حيوية الإنسان ولذلك نجد أن النفس تتراجع إلى الظل وتبقى مختبئة.

كما يشير الشاعر إبراهيم نصر الله إلى أصل البشرية وهو الطين يقول في قصيدة بعنوان (الدليل)[2] :

تخرج الروح من طينها نحو أرض
هي الروح و الطين

وكما يقول الدكتور موسى ربابعة: "إن العلاقة التي تتجسد في هذا المقطع هي علاقة الروح بالأرض والطين، فالأرض تصبح روحا وطينا، وهذا امتزاج لا يسعى

---

[1]- محمود: الأعمال الشعرية، ص 193

[2]-الشعر الحديث في الأردن ونقده(أوراق الملتقى الثقافي الأول – المفرق) جامعة آل البيت ، 1997م، ص 132

إلا إلى التوحد بالأرض، وإعطائها قيمة عالية هي الروح "[1].

وتنظر الشاعرة هيام رمزي للإنسان نظرة إجلال، فهو الذي يعمر الأرض ويجعلها عامرة بالحياة، وسخر له الله عز وجل باقي مخلوقاته لخدمته، كما أن الله قد كرّم الإنسان وجعله خليفته في الأرض، وأمر الملائكة بالسجود للإنسان،وقد خلقه الله سبحانه وتعالى على أبهى وأجمل صورة، تقول في قصيدة بعنوان (الوعي) [2]:

فأنا الذي زرع الوجود وبث في الأرض الحياة
وأنا الذي من مهجتي تتثال أحلى الأمنيات
وأصيح إني سيد سجدت لروحي الكائنات
وأنا الذي قد شاعني ربي كريما في الصفات

ويتفق عصام العمد معها في هذا المعنى، بأن الإنسان هو الذي عمر الأرض ولكنه لا يرضى بالخراب، والتدمير للأرض من قبل الإنسان ويتجه إلى الله عز وجل يشكو إليه المصائب التي حلت على بني البشر من فعل أيديهم، ويقول في قصيدة بعنوان " الإنسان والأحداث"[3] :

أنا الإنسان
أنا من يملك الحق
ومن قد صاهر الأرض
وطهر بالتراب يديه
وعطرها بعطر الورد
وزينها بزهر حدائق الأوطان
بزهر اللوز والتفاح والرمان
بنيت هناك لي قصرا
بنيت هناك أمجادي
جعلت من الصحاري البيد جنات لأولادي ... لأحفادي

---

[1] – الشعر الحديث في الأردن ونقده (أوراق الملتقى الثقافي الأول – المفرق) جامعة آل البيت، 1997م ، ص65

[2] – الدردنجي: الأعمال الكاملة ص 373

[3] – العمد: ديوان الوجدانيات ، ص 50

فهل أقبل ... بأن أسكت

ولا أحكي... وأشكو ما رأت عيني

وما قد حل في الميدان

ومن قد هدم البنيان

وأحرق يومها البستان

كما برز الاتجاه الإنساني في شعر حسني فريز من خلال رفضه للعبودية والذل، وتعاطفه مع المظلومين وأهل البؤس والشقاء، وإيمانه الحتمي بانتصار الحق والعدل والسلام، واحترام كرامة الإنسان، ورفضه للفوارق الاجتماعية والطبقية بين الناس وإدانته للواقع الرديء المؤلم. ومن أبرز قصائده الإنسانية التي تصوّر بعض أشكال العبودية، قصيدته (آثار جرش) التي تحدثت عن الظلم الذي تعاني منه الشعوب، والاستغلال الذي تتعرض له من المستبدين والمتسلطين يقول : [1]

لا تسل من بنى ولا كيف أعلى ؟ إن تكن شامتا بأهل الفناء

لا تسلني إن كان خوفو بناها أو بناها اسكندر بدماء

ليس خوفو وقيصر غير رمز لسياط مريعة نكراء

ألهبت كالحريق جلد المساكين وهدّت من عزمهم والمضاء

وأراقت دموعهم ودماهم وأذابت أنينهم في الفضاء

هكذا كانت البنايات تعلى من أنين ولوعة وبكاء

لقد اتسمت هذه الأبيات بالروح الإنسانية السامية، فنراه يقف منها موقف الدهشة والإعجاب، وهو يتأمل الأهرامات في مصر، ومن بنى هذه الأهرامات، لكنه لا يندهش من عظمتها بقدر ما يدهشه ويعذبه أولئك العبيد الذين بنوها، ورفعوا حجارتها على ظهورهم تحت لهيب الشمس الحار.[2] وفي نهاية القصيدة يحذر الطغاة الأقوياء من عواقب ظلمهم، بأنه سوف يرتد عليهم وبالا، ويبين أن النشوة واللذة والسعادة،التي يعيش فيها المستبدون الأقوياء جاءت من تعاسة وبؤس العبيد يقول:[3]

---

[1] – فريز: الأعمال الكاملة ص 78

[2]– الكساسبه، عبد الله مسلم: حسني فريز شاعرا وأديبا ص 68

[3] – فريز: الأعمال الكاملة ص 79

ها هنا يا أخي في المدرج الفخم جموع في لذة شوهاء
كلهم باسم أتى يشهد الموت مبيد العبيد و الأســـــراء
كلما قهقهوا على المدرج الفخم وضجّوا لفاتنات النساء
ذرف البؤس تحتهم أدمع الغيظ وثارت حفائظ السجناء
فيصيحون أين مرحمة الناس ؟ وأين الرحيم بالضعفـــاء ؟!
هؤلاء العبيد سوف يبيدون جيوش الطغاة والأقـــــــوياء
إن نمت نحن لم يمت كل عبد من ظلام العبيد فجر الضياء

ويستنكر حسني فريز عدم شعور الإنسان مع أخيـــه الإنـــسان فـــي مـــصائبه، واللامبالاة التي أصبحت ظاهرة طبيعية عند أغلب الناس، فهم لا ينكرون منكرا ولا يثورون لأجل الحق يقول في قصيدة بعنوان " ويلي "[1] :

ويلي أإنسان أنا أم صـــــخرة لا أشتكي هـــــــما ولا أتعذب
مهما رأيت من المناكر لا أرى حقا أثور لأجله أو أغـــــضب
هل مات حسي بعد طول ركوده لا حس لي إني خراب مجدب ؟

كما يتحدث عيسى الناعوري عن الإنسان الذي أصبح سببا فـــي شـــقاء أخيـــه الإنسان، بابتعاده عن طريق الصواب، وأعمته الأطماع حتى تجاهل وتناسى جميـــع الشرائع والأديان، التي تدعو دائما إلى المحبة بين البشر، فحوّل الحياة إلى جحيم لا يطاق بسبب أطماعه، وأهوائه يقول في قصيدة بعنوان " آلام "[2]:

ويح ابن آدم كم يحيد عن الهدى ويلجّ في الآثـــام والطغيـــان
أعمته أطماع تجيـــش بصـــدره ودماغه عن حرمة الأخـــوان
داس الشرائع والفضائـــل كلهـــا و جنى على ما سنّ من أديان
فإذا الحياة ، كمـــا أراد بلؤمـــه سقر تعجّ بصاخب النيـــران

ويعود الشاعر ويسأل قلبه الذي يشفق على الإنسان الذي يخونه أخوه الإنـــسان، هل تفيد هذه الرقة والشفقة ؟ ولكنه يصل في النهاية إلى أنه لا يستطيع أن يغيّر خلقة

---

[1]- فريز: الأعمال الكاملة ص 258
[2]- الناعوري: همسات الشلال ص 38

الخالق، فالله قد خلق الإنسان وجعل فيه خصال الخير والشر وقد تطغـــى أحـــداهما على الأخرى، يقول[1] :

ساءلت قلبي وهو يندب مشفقـــا لخيانة الإنســـان للإنســـان
أترى ترق، وما بغيرك رقـــة ؟ ماذا تفيدك شـــدة التحنان ؟
فأجاب: لا تجزع، فمالي حيلة في أن أبدّل خلقة الرحمان
حمّـــلت آلام البريـــــة كلّـــهـــا فأنا الشقي بكثرة الصلبان !

وقد برز الحس الإنساني عند الشاعر خالد محادين من خلال بحثه عن الإنـــسان الذي ينشر المحبة بين الناس، فالمحبة هي الوحيدة التي بإمكانها أن تبعث الحيويـــة والدفء والأمل في كل كائن يتنفس عطر الحياة، هذه المحبة التي تغذي ذلك الروح المتجدد أبدا، لتستمر الحياة وتورق الأرض بالخير والعطاء ... لكن هذا الإنسان في نظر الشاعر قد مات يقول [2]:

نسأل عن ذاك الإنسان الإنسان
من ينشر للريح شراعا للحب شراع
من يختصر العالم علـــــيه
من يبني فوق الزيتونة في المهد البيت
من يشدو أعذب أغنية ...
من يمنح كل الأطفال الأيتام في يوم العيد
ثوبا أو أرجوحة
من يبعث في هذا الغاب الموبوء الإنسان
مات الإنسان

وتشكل ولادة الإنسان عند عبد الرحيم عمر مفارقة أخرى، حيث يـــزداد القتـــل والتدمير والعذاب، وتزداد نيران الحروب التي يشعلها هذا الإنسان، فكأن الإنـــسان

---

[1]- الناعوري: همسات الشلال، ص 40
[2]- محادين: الأعمال الكاملة، ص 120

تحول عند الشاعر إلى رمز للخراب والتدمير، وأن مصير هذا الإنسان هو المـــوت بأسباب مختلفة يقول[1]:

إذ يولد الإنسان أيما إنسان
توصوص النجوم في السماء ضاحكة
زاد وقود المعركة
وكلنا كنا وقود المعركة
فواحد وا أسفاه غاله الطغيان
وواحد على الفراش غاله الزمان
وواحد في برجه العاجيّ طاله الطوفان

وينظر عرار إلى الناس نظرة استخفاف واحتقار، وذلك لأنهم أصـــبحوا عبيـــدا للأقوياء والطغاة وأصبحوا كالمطايا، كلما زادهم القوي ظلما زادوا فـــي احترامـــه يقول[2]:

الناس، ما الناس! عبدان القويّ بهم ما بالمطية مـــن مهمـــاز مغـــــوار
يزجون من سامهم خسفا، وأرهقهم عسفـــا تحيـــات إجـــلال وإكـــبـــار
ويضفرون بأيـــديـــــهم لقاطـــعـــها حرصا على البغيّ، إكليلين من غار

وينظر محمود فضيل التل إلى الإنسان على أنه سبب الشر لأخيه الإنسان، فهو الذي يسبب له المتاعب والشقاء فيصوره كالبركان الذي إذا ثار فهو يدمّر كل شيء يقول في قصيدة بعنوان (الطوفان)[3]:

والإنسان للإنسان به شرّ محقق
فبلاء العيش للإنسان أضحى
من أخيه المرء شيئا لا يصدّق

---

[1]- عمر: الأعمال الكاملة، ص 127
[2]- التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 261
[3]-التل، محمود فضيل: شراع الليل والطوفان ص 6

ثم يتحدث عن ظاهرة الجشع التي تسيطر على النفس البشرية، فلا تقنع بشيء حيث تبرز مطامع الإنسان المادية التي لا تراعي مشاعر وأحاسيس الآخرين يقول[1]:

الله !! كم يصبر هذا الإنسان
كم يسعى هذا الإنسان ؟
من أجل نفوس لا تشبع
من أجل عيون لا تقنع

ويدعو الشاعر الإنسان إلى اليقظة والانتباه لما يجري حوله في هذه الحياة، وقبل أن تسرقه الأيام ويمضي عمره دون فائدة. يقول في قصيدة الطوفان[2] :

أيها الإنسان هل تصحو فتنجو
قبل أن تمضي بك الأيام
والأبواب تغلق
ليس إلا مرّة تأتي وتمضي
لا أرى ما ينفع الإنسان شيء
غير ما كان ترفّق

فالشاعر موقن بأن الإنسان لا يعيش في هذه الدنيا إلا حياة واحدة، ويريد منه أن يعيش هذه الحياة بحرّية وكرامة، وأن يدرك أنّ مصيره الزوال؛ ولذلك فعليه العودة إلى الله والتوبة قبل أن تقفل أبوابها عند موت الإنسان. كما أن الشاعر محمود فضيل التل يؤمن بأن الإنسان هو محور الحياة وسيدها؛ فلذلك نجده يدعوه إلى اقتحامها بقوة وشجاعة، متحديا ما يواجهه من صعوبات ومتخليا عن ضعفه واستسلامه يقول[3]:

كن شجاعا
واقتحم باب الحياة

---

[1]- التل، محمود فضيل : أغنيات الصمت والاغتراب ، ص 16
[2]- التل، محمود فضيل : شراع الليل والطوفان ص 7
[3]- التل، محمود فضيل : وجدتك عالما آخر، ص 132

كن شجاعا واقتحمها

قبل أن تلقاك مهزوما

على درب الممات

ويتساءل الشاعر محمود فضيل التل كيف تصبح الحياة والكون إذا مات الإنسان؛ لأن هذا الإنسان هو مصدر الحب، وكذلك يتساءل كيف يمكن أن يعيش الإنسان بلا حب يقول في قصيدة بعنوان (يا ليل)[1]:

لا أدري كيف يكون الحب

وكيف يصير الكون إذا مات الإنسان

لا أدري كيف يكون الشوق بلا نار

أو كيف يعيش الطير بلا شدو

أو كيف بلا حب يحيا إنسان .

ويتساءل أيضا عن ولادته، فهو يعلم بأنه سيولد ولكنه لا يعرف كيف ولا أين وهو يعيش في حيرة من أمره؛ لأنه لا يستطيع الإجابة على كثير من التساؤلات التي تحيره فيقول في قصيدة بعنوان (سوف أولد)[2]:

ذات يوم سوف أولد

غير أني لست أدري !!

كيـــــــــــــف ؟

أيـــــــــــــن ؟

متى سأولد

لا تسلني أي شيء

عن حنيني

عن شجوني

عن فؤادي

عن مصيري

---

[1]- التل، محمود فضيل : هامش الطريق ص 90

[2]- المرجع نفسه، ص 115

لست أدري أين يوجد !!
كلما آنست نارا
كلما عانقت فجرا
راعني وازددت يأسا
أحرقتني بسمة حزني وقالت
إن هذا الباب موصد

فالشاعر لا يجد إجابات لتساؤلاته ويسلم بالأمر الواقع، ويبقى في حيرة من أمره مع يقينه التام بأن معرفة الإنسان تبقى محدودة مهما حاول أن يبحث، وأن الله سبحانه وتعالى وحده العالم بالغيب.

كما تقدم نخلص إلى أن نظرة شعراء الأردن إلى الإنسان، كانت تتراوح بين المحبة والكره، والاحتقار كانت المحبة تدفعهم إلى تكريم الإنسان وتمجيده، فهو خليفة الله على هذه الأرض، وهو يسعى في هذه الحياة إلى معرفة ذاته ومتى عرف ذاته وصل إلى الإيمان بالله. ومن هذا المنطلق كان الناس في نظرهم سواسية يعكسون هذا الجوهر الإلهي. ولكنهم كانوا ينقلبون على الإنسان عندما يجدونه يسلك سلوكا لا يليق به، ومن هنا تأتي ثورتهم عليه واحتقارهم له وأظهرت دعوتهم إلى المحبة .

الفصل الثالث

اللغة (المعجم الشعري)، الانزياح

اللغة

إن للغة الشعر دوراً هاماً في بناء القصيدة في الآداب الإنسانية، ولم يبتعد كولوريدج عن الحقيقة عندما قال عن لغة الشعر (إنها أعظم عنصر في بنائية القصيدة في الآداب جميعها، ففي أرضها تتجلى عبقرية الأداء الشعري، ومن لبناتها تبنى المعمارات الفنية التي تتآزر على إبداعها مجموعة عناصر متعاضدة متلائمة).[1]

إن الألفاظ موجودة قبل الشعر (كمواد أولية)، لكن الشعر ينسقها وينظمها بطريقة ما بحيث يخرجها عن عاديتها ليجعلها بالتواشج مع سواها شعرية متميزة، وذلك بطريقة التركيب وبالمساق الذي تردد فيه وذلك: (بوساطة الخلق التصويري الذي يكون معادلاً لانفعال الشاعر، هذا الانفعال الذي يحث الخيال على إعادة تحليل وتركيب البناء اللغوي، وذلك ببث حيوية مخصبة في الحياة الجميلة الهادئة الزاهية في أعراق تلك العلاقات التي يزيل عنها رتابتها وينفض نمطيتها بعد أن فقدت اللغة مجازها اللصيق بها في نشأتها الأولى) [2]

فاللغة هي المادة الأولى للأدب، أو بعبارة أدق هي القوام المادي، تماما مثلما يمثل اللون بالنسبة للرسم، والحجر بالنسبة إلى النحت، والصوت بالنسبة إلى الموسيقى، (بيد أن طبيعة (المادية) في اللغة تختلف عما سواها من الفنون الأخرى فاللون أو الحجر أو ما أشبههما يظل خاملا من الناحية الاجتماعية حتى يقع في يد الفنان وهو حتى هذه اللحظة لا شأن له بعملية معرفة الواقع، صحيح أن كلا من هذه المواد يتمتع ببنيته الخاصة ولكنه منح هذه البنية من قبل الطبيعة، ولا علاقة لما منحه بأية عمليات أيديولوجية أو اجتماعية، أما اللغة في هذا المقام فتمثل مادة من نوع خاص وتتميز بفاعلية اجتماعية عالية حتى من قبل أن تطولها يد الفنان)[3].

---

1 – قاسم، عدنان: لغة الشعر العربي ،مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط1 ،1989 ، ص 6

2 – عيد، رجاء :لغة الشعر، منشأة المعارف الإسكندرية ،1985، ص 114

3 - نقدي، مهاد، تحليل النص الشعري: ترجمة محمد فتوح، النادي الأدبي بجدة، جدة، ط1، 1420هـ ، ص48

وهذه الفاعلية للغة قبل وجودها في الأدب أو النص هي اللغة بمستواها الطبيعي أو الاصطلاحي، ودورها في هذا المستوى الدلالي دور معجمي يتحد فيه جميع من يتكلم تلك اللغة، ويلي هذا المستوى الطبيعي(المعجمي) المستوى النموذجي (الثانوي) وهو ذو بنية أشد تعقيدا من سابقه ويدخل تحته عدد من الأنظمة من أبرزها نظام الفنون بما في ذلك الشعر، ومن هنا فإنه يصبح للشعر لغته الخاصة، تلك اللغة التي يتم إبداعها على أساس من اللغة الطبيعية (المعجمية)، ولكنها غير مساوية لها تماما لكي يصبح الشعر فنا، ولذا فإنها في تطور ونمو مستمر مع كل مبدع وفي كل إبداع، ولكن هذا الجدل الإبداعي بوجهيه (المعجمي والنموذجي) لا ينبغي أن ينزاح أو ينحرف بقوة جارفة إلى أي من ذينك الوجهين، فهو عند انزياحه إلى المستوى الأول سيفقد فنيته وتألقه وسيصبح كلاما عاديا لا جمال فيه ولا إبداع، كما أنه عند انزياحه الكامل إلى المستوى الثاني يتسبب في عقم المحاولة الإبداعية منذ أساسها وبقائها رهنا بفردية صاحبها(وعجزها عن تحقيق التلاقي بين من يرسل العمل الأدبي ومن يستقبله وهو التلاقي الذي لابد منه في كل عملية أدبية تبلغ غايتها)[1] .وهنا نقول بأن الإبداع الأدبي والشعري خصوصا، لا يمكن أن يخلو خلوا تاما من الدلالة المعجمية الوضعية مهما كانت درجة انحرافه وتألقه الفني، ومتى حاول الفنان أن يعمل هذا أو يبالغ في تحقيقه فإنه سينتهي بتجربة إبداعية فاشلة، يسيطر عليها الغموض ويقتلها التوحد والانفراد وتتضاءل أمام المتلقي جماليتها وتأثيرها، وعليه فإن المعجم الشعري المتمثل في ما أشرنا إليه بالمستوى الأول ينبغي أن توليه الدراسة الأدبية أهمية أولى وتنطلق منه إلى ما بعده من مستويات أو انحرافات، فهو المدخل الأول واللبنة الأساسية في النص الأدبي، (وبهذه الصورة فإن معجم أي نص شعري يمثل ــ في المقام الأول ــ عالم ذلك النص، أما الكلمات التي يتكون منها فهي التي تملأ فراغ ذلك العالم، ومن العلاقة بين كلا الجانبين تتخلق بنية الوجود الشعري)[2].

1-أحمد، محمد فتوح: شعر المتنبي قراءة أخرى، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1988م ، ص32

2- نقدي، تحليل النص الشعري: ص174

وبنية اللغة تحمل في طياتها طاقة خاصة وشبكة من الدلالات، فالكلمات بحد ذاتها رموز صوتية أو كتابة لمواضيع من الخارج، أي لموجودات معينة، و(أهم خصائص اللغة التوصيلية أنها لغة دلالية بحتة، أي يتميز فيها (المدلول) الذي هو الموجود الخارجي، و (الدال) اللفظ الرامز إلى هذا المدلول، و(الدلالة) التي هي الصورة الذهنية المركبة من تمثل المدلول والدال.. وبهذا تصبح اللغة إشارية رامزة، أي مجرد رموز إلى أشياء تتخطاها إذا نحن وعينا مرموزها الخارجي)[1]، وإلى هذا الحد من المفهومية والاصطلاح تصبح اللغة متساوية الوجود في الكتابة النثرية والكتابة الشعرية، ولكن وعند مزيد تمعن وفحص في المادة اللغوية حين وجودها في الكتابتين يتبين أن هناك فرقا كبيرا بين وجود اللغة في الشعر والنثر (لأن للشعر لغة خاصة داخل اللغة)[2]، ومع هذا الإيمان بمصطلح (اللغة الشعرية) ومدى أهميته وجلاء مفهومه إلا أن هناك من يندفع وراء المبالغة في هذا المفهوم، فتدفعه تلك المبالغة إلى تجاهل ونسيان أو احتقار الدور الدلالي للفظة متفردة في الصياغة الشعرية، حتى وجد من يقول:(ينبغي أن نقبل التفرقة بين وحدات اللغة الأدبية وهي ما تزال بعد مادة صماء، وهذه الوحدات بعد أن تتخلق نسقا حيا من العلاقات والتراكيب والأنظمة، فهي في الوضع الأول في حالة غياب جمالي مطلق، على حين هي في الوضع الثاني رهينة حضور جمالي محتمل)[3]، فاهتموا بجوانب لغوية على حساب جوانب أخرى وما علم أولئك أن اللغة الشعرية لغة شديدة الخصوصية وهي تتميز بالتقطير الدقيق في انتقاء المواد وتنظيمها (فالكلمة بالنسبة للشاعر ليست مجرد علامة جبرية تتحدد حقيقتها كاملة في معناها، بل هي تحوي عدا معناها وعدا كونها كلمة في ذاتها تحوي جمالا وقيمة خاصة بها كالأحجار الكريمة التي لم تصقل بعد، ولكن منها .. صفات ملموسة خاصة بها كالشكل والذوق والنغم واللون والطعم، وموهبة الشاعر تتضح من طريقته في تذوق معنى الكلمات وتقدير كلماتها فهو ينتقيها ويقربها من بعضها بعضا، أو يصوغها متعارضة فيما

1- العزب محمد: أصول الأنواع الأدبية، ص101

2 - عشري، زايد علي: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص41

3 - سلام، عبد السلام: الخطاب الشعري عند محمد عفيفي مطر، ص12

بينها لا لسد حاجات فكرية يريد التعبير عنها فحسب، بل كذلك لمجرد لذة إظهارها)[1]، ويبرز في هذا المجال مبدأ الاختيار والعدول، فالأسلوب الذي يميز بين شاعر وشاعر آخر هو الاختيار والانتقاء، ومن خلال هذه الاختيارات اللفظية يستطيع الشاعر أن يعبر عما يدور بداخل نفسه من رؤى وأفكار يريد أن يوصلها من خلال قصيدته، ومن أجل أن يكون ــ الشاعر ــ قادرا على الاختيار المناسب يجب عليه أن يكون مطلعا وعلى أكبر قدر ممكن من خصائص لغته التي يتعامل معها وأن يقيم علاقات حميمة مع كلماته.

فالكلمة أو اللفظة في حد ذاتها يمكن أن يستعملها الناثر والشاعر على حد سواء، غير أن الشاعر يستطيع أن يرفعها إلى مستوى الشعرية في حين يحتفظ الناثر بنثريتها، من هنا لا فرق بين لفظة وأخرى؛ لأن السياق هو الذي يحدد شعرية اللفظة أو نثريتها. وكعادة الرومانسيين لم يكن شعراء الأردن يقيمون فرقا بين لفظة وأخرى، فليس عندهم أن هذه اللفظة شريفة وتلك وضيعة أو مبتذلة لأن الكلمة تكون شريفة بمقدار ما يحسن الشاعر استخدامها في سياق شعري .

فالكلمة المألوفة لها تأثيرها في النفس إذا استطاع الشاعر أن يبث فيها من روحه حتى تستوي لديه فنا خالصا لا شيء فيه وهذا ما استقام لشعراء الأردن مما يجعلنا نؤمن بمقدرة هؤلاء على تطويع اللغة وترويض الألفاظ في أشعارهم التأملية. فاللغة هي وسيلة الشاعر الأولى في بناء القصيدة وإيصال تجربته إلى الآخرين ولا شك في (أن القصيدة موضوع لغوي من نوع خاص، واللغة توظف فيها على نحو متميز)[2]، (فالألفاظ والعبارات هي مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها الشكل الفني، أو يرسم بها صوره الشعرية) [3].

---

[1] – سلام، الخطاب الشعري عند محمد عفيفي مطر ، ص12

[2]–الربيعي، محمود: لغة الشعر المعاصر، مجلة فصول، العدد الرابع، يوليو، 1981، ص 62

[3]– هلال، محمد غنيمي: النقد الأدبي الحديث، ط1، دار العودة، بيروت، 1982، ص 408

1.3 المعجم الشعري

يختلف الشعراء في تعاملهم مع اللغة ومفرداتها التي تعد مادة الشاعر الأساسية لصياغة تجربته الشعرية، ولتشكيل صوره وعباراته، حيث يتأثر المعجم الشعري إلى حد بعيد (بنوعية التجربة التي يعبر عنها الشاعر، أو لنقل بنوعية رؤيته)[1]، لأن (نوعية الرؤية تفرض نوعية خاصة في المعجم الشعري ، وفي التراكيب اللغوية المستخدمة في الشعر، وذلك بغض النظر عن الشكل الخارجي الذي يأخذه العمل الشعري، ومن ثم يصبح من المستبعد تماما أن يستخدم شاعر ذو رؤية واقعية معجم شاعر آخر رومنتيكي الرؤية ـــ أو كلاسيكيّ ـــ وتراكيبه اللغوية) [2].

والحقيقة أن دراسة معجم هؤلاء الشعراء الشعري، يساعد على فهم أسلوبهم ومدى نجاحهم في اختيار الفاظهم التي تكشف عن ملامح تجاربهم الشعرية؛ ولذلك فإن دراسة المعجم الشعري لدى هؤلاء الشعراء تنطلق من خلال دراسة الألفاظ التي استخدمها الشعراء في قصائدهم التأملية وهي:

أ ـــ ألفاظ مأخوذة من الطبيعة .

ب ـــ ألفاظ تتعلق بالموت والحياة .

ج ـــ ألفاظ ذات دلالات انسانية .

أ ـ ألفاظ مأخوذة من الطبيعة :

من أهم مميزات المعجم الشعري لدى شعراء الأردن كثرة الألفاظ المأخوذة من معجم الطبيعة، وقد كان شعراء الأردن، يلجأون إلى هذه المفردات لتوضيح أفكارهم في الحياة والموت.

ولعل حبهم الكبير للطبيعة هو الذي شكل معجمهم اللغوي وأغناه بمفرداتها، كما أن هناك سببا آخر يعود للطبيعة الخلابة التي نشأ فيها أغلب هؤلاء الشعراء وهي طبيعة الأردن، " إن أكثر (الطبيعات) انعكاسا في معجم كتابها وفي ألسنة أبنائها تلك التي تملك الكثير من التلاوين ! من جبل شامخ إلى واد سحيق، إلى سهل منبسط إلى

---

[1] –إسماعيل، عز الدين: الشعر المعاصر في اليمن ((الرؤية والفن)) معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، 1972 ، ص 241

[2] – المرجع نفسه: ص 242

نهر صداح وتلال متفرقة، بالإضافة إلى الحقول والكروم، والبساتين والحدائق. وإذا صح التعبير قلنا إن ثمة فرقا بين طبيعة غنية وطبيعة فقيرة. إن الطبيعة الفقيرة أي ذات التكوين الواحد ــ كالصحراء ــ لا يمكن أن تغني اللسان. كما أن الطبيعة التي لا تمايز بين فصولها لا تبرز في اللسان بحده بروز الطبيعة ذات الفصول المتمايزة"[1]

وقد كانت طبيعة الأردن غنية بجبالها الشاهقة ،وأوديتها السحيقة وغاباتها وكرومها، إضافة إلى تمايز فصولها مما جعلها تترك أثرا في أنفس شعراء الأردن. وإذا كان استعمالهم لمفردات الطبيعة عاديا في تأملهم للطبيعة فإن توظيفهم لها في مجالات تأملية أخرى هو ما يلفت الانتباه ويدعو إلى التأمل .

فقد كانت الطبيعة هي التي تشكل لغتهم وتغلب على أسلوبهم، حتى أننا لا نكاد نجد قصيدة تخلو من مفردات مأخوذة منها، وقد تجلت هذه الظاهرة لدى شعراء الأردن عموما لكنها تجلت بصورة خاصة لدى الناعوري وعرار ومحمود فضيل التل.

وقد استعان شعراء الأردن بمعجم الطبيعة كثيرا من أجل إيصال أفكارهم، فهم لا ينفكون يستعملونها لإيضاح الفكرة التي يرمون إليها، وكأنهم لا يستطيعون بدونها أن يبلغوا القارئ ما يريدون. ولا نجد تفسيرا لهذا إلا في هذه النزعة الرومانسية التي غلبت عليهم ودفعتهم إلى أحضان الطبيعة يغرفون من معجمها. وهناك سبب ثان مرتبط بهذه النزعة الرومانسية يكمن في كون شعراء الأردن يربطون مواضيعهم في التأمل بالطبيعة، فإذا تأملوا الإنسان قارنوه بها، وإذا تعرضوا إلى الموت تبدت لهم أوراق الخريف المتساقطة، أو الزهور الذابلة أو الغروب، وإذا نظروا إلى النفس ربطوها بمظاهر الطبيعة فهم يستعملون على سبيل المثال لا الحصر" الربيع، الخريف، الأنهار، البحار، الجبال، الينابيع، الزهور، الغروب، النجوم، السواقي، الثلج، البلبل، الحمام، الحقول، الأغصان، الأشجار، الليل، الفجر، ... "

---

[1]–عبود، هنا: النول والمخمل (دراسة في الظاهرة الجبرانية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1985، ص 74

فها هو حسني فريز في قصيدته العاصفة يشبه عمر الإنسان بالربيع فيقول :[1]

لا تقل يعقب الشتاء ربيع إن عهد الربيع ولّى وغـــابـــا

هزة أيقظت موات الأماني وأقامت في القلب عيدا عجابا

وكذلك يصور الناعوري في إحدى قصائده نهاية الحياة بغروب الشمس، حيـــث تختفي الشمس عن العالم بشكل تدريجي يقول [2]:

هبط القرص رويدا

فرويدا، فرويدا

غاب منه النصف في قلب المياه

أي فيض من جلال وبهاء !

أي فيض من بهاء

يتوارى في سكون

وببطء كالحياة !

ويأتي استعمال ألفاظ الطبيعة وسيلة رمزية أحيانا، كما في قصيدة محمود فضيل التل " أمة مهددة "[3] يقول :

أتيت ألف مرة

وكنت كل مرة

أسير كالكواكب التي ترى

ولا ترى

بالأعين المجردة

وكنت كلما أتيت مرة

أرى الطيور مرة في صمتها

ومرة مغردة

---

[1] – فريز: الأعمال الكاملة ص 76

[2] – الناعوري: أناشيد أخرى ص 16

[3] – التل، محمود فضيل: أنشودة المستحيل ، ص 99

وكم رأيت في طريقي

وردة مقتولة

فالشاعر يشبّه نفسه بالكواكب التي تعكس النور على الأرض، ويشبه الناس بالطيور .

ويرتبط عرار بالطبيعة ارتباطا وثيقا،وخصوصا المكان الأردني فلا تكاد تخلو قصائده من ذكر للأماكن الطبيعية في الأردن، وكما يقول أحمد المصلح " فقد انحاز شاعرنا إلى المكان الأمومي، متمثلا في الأرض الأم الكبرى للخليقة، وبكل ما يحمله هذا المكان الطبيعي من مفردات الماء، والشجر والنبات والأزهار، والثمار، بوصفها ألعاب الطفل الأولى ... "[1]، ففي قصيدة " يا مي" يقول [2]:

يا مي! جلعاد الأشم كعهده ما زال يربض جاثما بمكانه

والغور ما انفكت عذائر نبته وزهوره تحنو على غدرانه

وسماء اربد ما يزال سحابها يسقي سهول " الحصن " من تهتانه

يا مي ما برحت حمائم سدرنا تشدو مصفقة على أغصانه

ونجد حسني فريز يستخدم ألفاظ الطبيعة في قصيدة " رب أنت السلام والحب " التي يناجي فيها الله عز وجل، ويراه من خلال الزهور والنجوم يقول[3]:

رب أنت السلام والحب والعدل ونور الحياة والأكوان

أنت في الزهر والنجوم وأنت السر فيها وفي لطاف الأماني

وقد وردت الألفاظ التي تدل على الطبيعة في قصائد عبد المنعم الرفاعي، فالشاعر في هذه الأبيات، التي يتحدث فيها عن رحلة الحياة، يقارن نفسه بالطيور وبرائحة الزهور، التي تعشق الحياة، يقول [4]:

هل يلام الهزار حلّق في الشدو على كل ربوة وصعيد

أم يلام العبير يحلم في الليل ويسري مع الصباح الجديد

---

[1]- المصلح، أحمد وآخرون : الشعر في الأردن وموقعه من حركة الشعر العربي، ص 79

[2]- التل، مصطفى وهبي : العشيات ص 435

[3]- فريز: الأعمال الكاملة ص 191

[4]- الرفاعي: شعر عبد المنعم الرفاعي، ص 33

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان (الزهرة الذابلة) متأملا حال تلك الزهرة [1] :

قد طلع الصبح فأين الشذى وفيك حلم كان يرجو الصبـــاح

وأذبل الورد على عـــــوده ومال مفتر وأغـــــفى أقـــاح

وقد جفاك النور يا زهرتي وعاقرت جنبيك هوج الريـــاح

ب ــ ألفاظ تتعلق بالموت والحياة :

يحتل الموت ومعانيه نصيبا كبيرا من معجم شعراء الأردن الشعري فنجد بعض الألفاظ التي تدل على الموت ونذكر منها على سبيل التمثيل لا الحـــصر (المـــوت، الحتف، المنون، السأم، الردى، الميت، الهلاك، الفناء، العـــدم، الاغتيـــال، الحتـــف، القبور، كأس، منكر ونكير).

وقد جاءت هذه الألفاظ من خلال قصائد الشعراء التأملية في الحيـــاة والمـــوت، ولعل هذه السيطرة لألفاظ الموت والمعاناة، جاءت نتيجة سيطرة حالة نفسية معينـــة، وكما يؤكد طلعت أبو العزم " ففي الشعر العربي الرومانسي المتخـــذ مـــن المـــوت موضوعا شعريا، نجد أنفسنا دائما أمام علاقة خاصة وحميمة بين اللفـــظ والحالـــة النفسية والشعورية للشاعر، فقد أكدت تجربة الإحساس بالموت والتفكير فيه أن اللفظ في القصيدة يصبح جزءا لا ينفصل من فكر الشاعر وعاطفته معبرا عن أحاسيـــسه ومشاعره. ودائما ما توحي الألفاظ والتراكيب التي يبثها الشاعر في القصيدة بنـــوع التجربة التي مرت بها نفسه واهتز لها وجدانه"[2].

والتجربة التي مر بها شعراء ظـــاهرة المـــوت هـــي تجربـــة توقـــع فقـــدان الحياة،والإحساس بإقبال الموت، وقد فرضت عليهم هـــذه التجربـــة اختيـــار ألفـــاظ وتراكيب لغوية معينة تعد وثيقة الصلة بموضوعهم الشعري،وجزءا لا يتجـــزأ مـــن نماذج شخصياتهم الإنسانية [3].

فقد أكثر الشعراء من استخدام ألفاظ تعبر بوضوح عن الآفاق المعنويـــة التـــي حلقوا فيها، كما أنها تحدد سمات شخصياتهم الرومانسية كما تبدو في أشعارهم .

---

[1]- الرفاعي: شعر عبد المنعم الرفاعي، ص 49

[2]-أبو العزم: الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني، ص 368 ـــ 369

[3]- نفسه ص 369

وتتضح من استعمالات الشعراء للفظ " الموت " تلك العلاقة الوثيقة بين الشاعر وموضوع تجربته الشعرية، فكثيرا ما استخدم الشعراء هذا اللفظ مع كثير من مشتقاته، وأسقطوا دلالاته على كل مظاهر الحياة حولهم. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على عمق تجربة الإحساس بالموت لديهم[1].

يقول حسني فريز في رثاء القاضي رفعت الصليبي [2]:

سبيل الموت للأحياء داني وحلو العيش مثل المر فاني
حديث شائع في الناس نام على ما فيه من سحق الأماني
وننكره إذا أصمى عزيزا فتى العزم خفاق الجنان
فنبكي للشباب وللتسامي وللخلق المصفى والمعاني

فالشاعر في هذه الأبيات يتحدث صراحة عن الموت، الذي هو مصير كل حي، وهو هادم اللذات، ويكرهه الناس مع أنهم يعلمون أنه حق. كما يقول في قصيدة أخرى بعنوان (الدولة العثمانية)[3]:

فرّوا من الموت الزؤام وأدبروا واد يروعهم وطود يمكر
ساروا على الدرب المخوف يظلهم ليل ويهديهم صباح أكدر
والموت من حيث اطمأنوا فاغر فاه ويجمع شملهم ويبذر
هيهات ما في العيش خير يرتجى ومن المنون مسرة لا تؤثر
الموت حق والحياة بهية والله أعلى في العقول وأكبر

فالشاعر في هذه القصيدة يتحدث عن الموت صراحة ويذكر بعض صفاته، كه يشبهه بالوحش المفترس الذي ينتظر فريسته لينقض عليها، كما أنه يذكر كلمة أخرى تدل على الموت وهي " المنون "، وفي النهاية يقر الشاعر بأن الموت حق وأن الله سبحانه وتعالى أكبر من كل شيء.ويقول محمود فضيل التل في قصيدة (الموت يحلو)[4]:

---

[1]- أبو العزم: الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني ص 372
[2]- فريز: الأعمال الكاملة ص 362
[3]- المرجع نفسه: ص 219
[4]- التل، محمود فضيل: أنشودة المستحيل ص 40

الموت يحلو إذا ما كنت صاحبـــه ويعذب الموت كي يحيا به الوطن
الموت قد صار لما اخترت أشرفه بعثا لمجد لنا يروي بهـــا الزمـــن
أيامنا السود لما ضل صـــــاحبنا لما نوى بعضهم واشتدت المحـــن
فالموت يحلو فما تحت الثرى أبدا إلا رؤاك التي يزهو بها الشجـــن
فالموت يحلو وفي عينيك لوحتـــه كروعة المجد لم يدخل له الوهن
ذاك الذي يسترد الأرض إن سلبت بمـــن نلوذ إذ مـــا خاننا الزمن ؟

يتمنى الشاعر في هذه الأبيات الموت ويرى فيه المخلص من العـــذاب، وهـــو أيضا الطريق للمجد الذي بوساطته يمكن أن تتحرر الأرض العربية المحتلة، كما أن الشاعر يذكر إضافة إلى لفظ الموت عبارة " تحت الثرى " أي المكان الذي يدفن فيه الإنسان. ويقول في قصيدة أخرى بعنوان (ريح الخريف)[1]:

الآن قد يأتي الخريف
وتسقط الأوراق ثانية
فلا يأتي الشتاء طريقنا
فيضيع في هذي الحياة ربيعنا
ويموت فيها كل شيء بعدنا
حتى ولو جاء الشتاء .

فالشاعر في هذه الأبيات يتحدث عن الموت، ولكنه لا يصرح بلفـــظ المـــوت، وإنما رمز له بسقوط أوراق الأشجار في فصل الخريف، وهي علامـــة علـــى دنـــو الأجل، ويرمز للحياة و الشباب بفصل الربيع الذي فيه الخضرة و النضارة .

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان (زمان الموت)[2]:

أعيش الموت في نفسي
وفي جسمي
وفي أضغاث أحلامي
أحس الموت في وعيي

---

[1]- التل، محمود فضيل: شراع الليل والطوفان ص 72
[2]- التل، محمود فضيل: جدار الانتظار ص 85

وفي وهمي

وفي حرية جوفاء

مثل القبر

تدمي معصمي صبحا

ويمسي ثوبها شؤما

على جثمان آلامي

أعيش الموت في صحوي

وفي نومي

وفي دربي

فهو في هذه القصيدة يتحدث عن الموت، ويأتي بألفاظ تتعلق بالموت وتدل عليه مثل " القبر " و" جثمان ". ويقول عرار في قصيدة بعنوان " لماذا لم أمت ؟" [1]:

لماذا لم أمت من قبل عام وأشفي القلب من داء السقام

فلا أبكي زمانا قد تقضى بصفو بين أقـــداح المدام

ولا أشكو رفاقا قد نسوني وحيدا صـــرت ما بين الأنام

ويقول في قصيدة أخرى (الموت هو الموت)[2]:

الموت حق لا جـــدا ل وشكه عين اليقين

والفرض يوم جلاء مقطعه سكون الجـــازعين

لو ترتضي سنن الأسى بخلا التفجع أن ندين

فالشاعر مصطفى وهبي التل في هاتين القصيدتين يتحدث عن الموت، ويـــأتي بلفظ الموت صراحة بالإضافة إلى بعض الألفاظ التي ترتبط بالموت كالبكاء والتفجع والحزن والأسى والشعور بالوحدة. كما أنه يذكر منكر ونكير وهما ملكـــان يأتيـــان على الإنسان في قبره، مكلفان بسؤال الإنسان عن دينه وإلهه ونبيه بعد دفنه فيقول[3]:

---

[1]- التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 621

[2]- المرجع نفسه ص 423

[3]- المرجع نفسه ص 623

زارني اليوم منكر ونكير
سألاني: يا أيها الشرير
من إلهك ؟ أجبت ذاك الضمير
بعد ذا أردفا بصوت لين :
أي دين ترى به متدين ؟!
بوضوح أجبنا عما سألنا
ثم لا تنسى كعبة وكتابا

ونلاحظ في تلك القصائد مسحة من الحزن والتشاؤم، والإحساس الحـــاد بـــالألم حيث اتخذت من الموت محورا تدور حوله هموم الشعراء، فظهرت فيها الانعكاسات النفسية التي ثارت في نفوسهم حين أحسوا بإقبال الموت، فأوحت ألفاظهم وتراكيبهم بنوعية التجربة، وأن هذه الألفاظ جزء لا يتجزأ من هموم الشاعر وفكره وعاطفته .

كما استخدم الشعراء ألفاظا تدل على الحياة بكثرة؛ للتعبير عن حيـــاتهم الذاتيـــة وكان لهذا الاستخدام صلة نفسية بمشاعرهم، وكثيرا ما يرد هذا اللفظ مقابلا للمـــوت فيعبر عن تجربتهم النفسية، وهي الإحساس بفقدان الحياة وتوقع إقبال الموت.

يقول عيسى الناعوري[1]:

هكذا تمضي الحياة!
لحظة في إثر لحظة
في سكون وانطفاء
ثم لا شيء سوى الصمت العميق
والظلام المدلهم
والسكون الساحب الذيل
على وجه الحياة ! .

إن الشاعر يتحدث في هذه الأبيات عن الحياة، وكيف أنها تسير إلـــى النهايـــة، التي تقود إلى التلاشي و الانطفاء، فلا يبقى شيء على وجـــه الأرض فكـــل شـــيء

[1]- الناعوري: أناشيد أخرى، ص 17

مصيره الزوال، وأن هذه الحياة مهما طالت تبقى قصيرة؛ لأنها جسر العبور للحيـــاة الأخرى، ثم يقول في قصيدة أخرى[1]:

ستعرف أن الوجود الكبير

قصير البقاء

وأن الحياة طريق العبور

وجسر الفناء

ويقول حسني فريز في قصيدة تساؤلات [2]:

حياتك ؟ ما حياتك ؟ أنت غر حياة المـــــجد أولى بالسؤال

مصيرك لست سيـــده وماذا يضيرك إن سكت عن المآل

ترد في هذه الأبيات ألفاظ دالة على الحياة والمصير، والشاعر يقر بأن مصيره ليس بيده وإنما بيد الله سبحانه وتعالى.

ويتكرر هذا المعنى عند الشاعر عصام العمد،في قصيدة بعنوان" الحياة الفانية " حيث يذكر الشاعر الحياة، والموت، ويتحدث عن يوم القيامة، يقول [3]:

حياة المرء في الدنيا شقـــاء يصارعها فيصرعه القضاء

فأول ما يلاقيه بـــكـــــــاء وآخر ما يداهـــــــمه الفناء

ويحشر بعد ذلك للتقاضـــي ويوم الحشر للمـــــرء ابتلاء

فيا من قد حباك الله عقـــلا به في الخلق كان لك ارتقاء

وجودك أنت في الدنيا اختبار فجاهد كـــي يكون لك الثناء

ويقول محمود فضيل التل في قصيدة قوافل الحياة [4] :

عندما تنتهي

وتنتهي بنا قوافل الحياة

لا تقرأوا على أرواحنا شيئا

ولا ذكرا ولا مواعظ الدعاة

---

[1]-الناعوري: أناشيدي ص 34

[2]- فريز: الأعمال الكاملة ص 457

[3]- العمد: ديوان الوجدانيات، مجلد 2، ص 71

[4] -التل، محمود فضيل: هامش الطريق ص 29

فكل شيء في حياتنا

وكل قول بعد موتنا انتهى

وكل شيء مثلنا قد مات .

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان (ريح الخريف)[1]:

فحرقة الإنسان في مهد الحياة

أحب من حضن النهاية والتراب

فليته جاء الربيع

وليتنا لم نقض كل العمر

في ثوب الخريف

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن الحياة فترد ألفاظ تدل عليها، كمهد الحياة، قوافل الحياة والربيع الذي يرمز به الشاعر للحياة والشباب. ومن الملاحظ أنه لا يأتي ذكر الحياة إلا ويأتي معها ذكر الموت؛ لأن الموت هو الذي يتربص بهذه الحياة وهو الذي يدمرها، وقد يكون السبب هو حالة القلق التي يعيشها الشعراء وحالة الخوف من خطر الموت الذي يهدد كل الأحياء .

ج ــ ألفاظ ذات دلالات إنسانية :

امتاز شعراء الأردن بنظرتهم الإنسانية، فقد اتسعت قلوبهم للحب المطلق لكل الوجود ولكل ما في الوجود، وأثارتهم قضايا العدل والمساواة، والفقر والجهل والحرية والظلم، وهذه القضايا الإنسانية تملأ دواوينهم، وكان اختيار شعراء الأردن لألفاظهم التي تدل على الإنسانية موفقا ومعبرا عن الموضوعات التي طرقوها، ونذكر على سبيل التمثيل لا الحصر بعض الألفاظ التي وردت في معجمهم اللغوي و تدل على الإنسانية " يتيم، إنسان، أخي، العدل، الظلم، الفقر، الحرمان، الحرية، العبيد، الطفل، اللاجئ، ... ". يقول عيسى الناعوري في تصوير معاناة اللاجئين في قصيدة بعنوان(من وحي الثلج) [2]:

---

1 –التل، محمود فضيل: شراع الليل والطوفان ص 74

2 – الناعوري: أناشيدي ص 53

يا خيمة اللاجئ يا بالية

يا ملجأ يزفر فيه الصقيع

ومدفنا لراجفات الضلوع

وللجسوم الحية الـــعارية

قلبي يرى فيك غير الأسى والدموع

وغير هذا الثلج يخـــفيك

يا خيمة اللاجئ يا بالية

فالشاعر في هذه القصيدة يشعر بمعاناة اللاجئين في خيامهم، التي لا تقيهم بـــرد الشتاء وقد عبر عن هذه بلغة إنسانية شفافة، استطاع من خلالها أن ينقل لنا صـــورة حقيقية لمعاناة اللاجئين في فصل الشتاء، ويستمر في وصف هذه المعاناة الإنـــسانية الناجمة عن احتلال فلسطين وما شهده أهلها من قتل وتدمير وتشريد حيث يقول [1]:

أطمار أطفالك تحت الثلـــوج

لطخة عار في جبين الحـــياة

ووصمة، بل لعنة في الجباه

جباه ظلام عتـــــــاة علوج

هم أصل بلواك

وكل بلوى الشعوب

أعطتهم القوة حق البقاء على حساب العزل الأشقياء

فالويل واللعنة للأقوياء

كما أنه يصف معاناة الشعب الفلسطيني في قصيدة أخرى فيقول[2]:

لهفي على وطن الأباة تمزقـــت أشلاؤه ببـــــــراثن الظلام !

أطفاله الأيتام ... من يرجونـــه للجوع، أو للعري والأسقام ؟

ونساؤه .. ، من ذا يجير نساؤه أو من يكفكف دمعهن الهامي ؟

---

[1] – الناعوري: أناشيدي ص 54

[2] – المرجع نفسه ص 66

تظهر الألفاظ ذات الدلالات الإنسانية في هذه الأبيات كاليتم و الجوع والعـري، وهي كلها تدل على مدى معاناة الشعب الفلسطيني، فاليتيم بحاجة لوالديه، والجـائع بحاجة إلى الطعام والشراب والعريان بحاجة إلى اللباس، وهذه الأشياء هـي أبـسط متطلبات الحياة ولكنها غير متوفرة للشعب الفلسطيني بسبب الاحتلال.

وتبرز النزعة الإنسانية عند الناعوري، حيث يحزن ويكتئب؛ لرؤيته طفل يتـيم حرم من أبسط مقومات الحياة، ويظهر عليه الحزن والألم والجوع والعري يقول[1]:

بي لمرآك غصة واكتئاب
وبقلب الحنان منك التهاب
أنت في قصة الشقاء كتاب
وجهك الساهم الممرغ بالذل
وهذا الحـقير من أطمـارك
وذبول العينين، فيه تجـلت
ظلمة الليل في صميم نهـارك
كل هذا وذاك لطـخة عـار
حملتها الحياة من بعض عارك

وقد تناول حسني فريز في الكثير من قصائده قضايا إنسانية كالعبوديـة والفقـر والحرمان والبؤس والشقاء واستعباد القوي للضعيف، حيث يقول[2]:

لا تسلني إن كان خوفو بناها أو بناها اسكنـدر بدماء
ليس خوفو وقيصر غير رمز لسيـاط مريعة نكراء
ألهبت كالحريق جلد المساكين وهدت من عزمهم والمضاء
وأراقت دمـوعهم ودماهم وأذابت أنينـهم في الفضاء

ويتحدث الشاعر عن قضية الفقر والحرمان التي يعيشها الإنـسان يقـول فـي قصيدة "العيد "[3]:

---

[1]- الناعوري: أخي الإنسان ص ص 27 ــ 28
[2]- فريز : الأعمال الكاملة ص 78
[3]- المرجع نفسه ص 81

لمن العيد والمنى ؟ لمـــن الحب والأمل ؟
لمن العـــيد باسم ؟ ينـــثر الســـحر والقبل
للحـــــزانى وأدمع تمـــــلأ السهل والجبل
لقمة الخبز عندهم أصبحت مضرب المثل
كم فتاة تضورت وفتى بـــات في خبل!!

ويبين المعاناة التي يعيشها الإنسان والحزن والشقاء فيقول في قصيدته "صور"[1]:

هذه يا أخـــــي صورة إنســـان شقـــــــــي معـــــذب في البلاد
وقف الشعر حـــــــــائرا في مدى البؤس وعمق الجراح والأصفاد
كم عيون لم تعرف الغمض دهرا لا ترى في المقام غير العوادي

كما أننا نجد في معجم شعراء الأردن من الألفاظ الإنسانية، ما يدل على أصـــل الإنسان وهو الطين، الذي خلق منه، يقول محمود فضيل التل[2]:

ما عاد يشغلني وعيد أو حكايا اللائمين
حتى علاني سؤل نفسي ... هل أنا ماء وطين !!
هكذا بدء الخليقة ثم من ماء مهين

كما يشير الشاعر إبراهيم نصر الله إلى أصل البشرية وهو الطين يقـــول فـــي قصيدة بعنوان (الدليل)[3]:

تخرج الروح من طينها نحو أرض
هي الروح والطين

ويتحدث الشاعر علي الكيلاني عن خلق الإنسان، وأصله الذي خلق منه وهـــو الطين، ومن ثم مصيره الذي سيؤول إليه، يقول[4]:

---

[1] - فريز: الأعمال الكاملة، ص 103
2 – التل، محمود فضيل : أغنيات الصمت والاغتراب ص 11
3 – الشعر الحديث في الأردن ونقده (أوراق الملتقى الثقافي الأول – المفرق) جامعة آل البيت، 1997م، ص 132
4 – الشعر في الأردن: أوراق ملتقيات عمان الإبداعية، وزارة الثقافة ط 1، 2002، ص246.

أنت من جوهر طين لازب جبلت نفسا ففيك العبر

نطفة قد خلقت من رحـــم فجنين فاستوى فالكبر

فممات فتـــــراب هيـــن دورة نشهدها لا نشعر

ويشير الشاعر حيدر محمود في قصيدة بعنوان(الحصار)، إلى أصـــل البـــشرية وهو الطين يقول[1]:

يحاصرني الطين

كيف يحاصر هذا الجدار المعلق

خيطا من النور

وترد ألفاظ الرق والعبودية في قصائد عـــرار، يقـــول فـــي قـــصيدة "المدينـــة الفاضلة"[2]:

بين الخرابيش لا عبد ولا أمة ولا أرقاء في أزياء أحرار

ولا جناة ولا أرض يضرجها دم زكـــي لا أخاذ بالثـــار

فالشاعر من خلال هذه الأبيات يرفض الرق والعبودية، وهو يـــرى أن جميـــع البشر متساوون ولكن هذا الأمر غير موجود في مجتمعنا، وإنما يرى الـــشاعر أنـــه موجود في مجتمع النور.

2.3 الانزياح

" الانزياح هو استعمال المبدع للغة مفرداتها وتراكيبها وصورها استعمالا يخرج بها عما هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتصف به من تفرد وأبـــداع وقوة جذب وأسر " وبذلك يكون الانزياح هو الفيصل بين الكلام الفني وغير الفنـــي. وبالانزياح وحده يمكن للأدب أن يرتقي، ويمكن للأديب أن يخلّد[3].

الشعر له خصوصية واضحة في استعمال اللغة والدعوة للانزياح وتميز لغة كل مبدع من سواه لا يعني أن يهدمها لأن " ما يتغير هو معجم اللغـــة نظـــرا لارتبـــاط

---

1 – محمود: الأعمال الشعرية، ص 193

2– التل، مصطفى وهبي : العشيات ص 260

3– ويس، محمد أحمد: الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، اتحاد الكتـــاب العـــرب، دمـــشق ،ط1،2002 ، ص 5

اللغة بنشاط الإنسان الإنتاجي في كل مجالات عمله دون استثناء، أما نظام القواعد فلا يتغير إلا ببطء شديد نحو تحسين القواعد وأحكامها مجددا. من هنا فإن كل عمل أدبي هو مجرد انتقاء من لغة معينة على أن لا يفهم الانتقاء أنه انتقاء من أشياء جاهزة بل هو خلق خاص "[1]

وللانزياح إضافة إلى كونه عامل تميز للخطاب الأدبي دور جمالي كبير يسهم في لفت انتباه المتلقي، ومن ثم التأثير فيه وتوصيل الرسالة التي يريدها الخطاب، فالتفاعل ضروري وهام بين العناصر المنزاحة والعادية لأن هذه العناصر دون تفاعلها لا أهمية لها بل قد تكون عوامل معيقة لشعرية الخطاب.

إن الشيء الثابت هو النظام النحوي أما المتغير فهو المفردات التي تشمل وظائف هذا النظام مما يخلق لكل نص خصائصه الشعرية والتركيبية، هذه الخصائص التي تتواشج مع النصوص الأخرى بحيث تصير عوامل مميزة لخطاب هذا الباث أو ذاك[2].

قد يضطر بعض الشعراء، عندما يتملكه وحي الشعر وانفعاله، وإحساسه إلى ارتكاب مخالفات يتجاوز العلاقات المألوفة بين الألفاظ، فيلجأ إلى أعراف لغوية أو وسائل لغوية تكون محل ملاحظة، ونقد لخروجها على المعيار ولا يدل ذلك بالضرورة على ضعف الشاعر، وعدم تمكنه من أدواته، بل قد يدل على نفوره وعدم انقياده وتمرد نفسه على المألوف، وهو ما تنبه له شعراء الأردن، وقاموا بالتذكير به[3]. وللانزياح عدة أشكال منها الانزياح الدلالي، والانزياح الإسنادي، والانزياح الطباعي، والانزياح التركيبي.

---

[1] -الأسعد، محمد: مقالة في اللغة الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1980، ص 40

[2] – شرتح، عصام: الانزياح واللغة الشعرية في النظرية النقدية والأسلوبية الحديث، جريدة النور السورية، تاريخ العدد 2004/10/27م، شبكة الانترنت

[3] – مجاهد، عبد الكريم: الانزياحات الأسلوبية في لغة عرار من خلال ديوانه (عشيات وادي اليابس) المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد 82، 2003 ص 106

الانزياح التركيبي

يدرس هذا النوع من الانزياح طريقة الربط بين الدوال بعضها ببعض انطلاقا من العبارة الواحدة إلى التركيب و الفقرة[1]، والشاعر على حد قول كوهن، شاعر" بقوله لا بتفكيره وإحساسه، وإنّه خالق كلمات، وليس خالق أفكار، وترجع عبقريته كلها إلى الإبداع اللغوي"[2]، ولكن هذا الحكم لا يؤخذ على حرفيته،فيظنّ ظانّ أن من طبيعة الشعر أن يخلو من الفكر[3]. وسنعرض إلى نمطين من أنماط الانزياح التركيبي وهما: التقديم والتأخير،والحذف.

أ- التقديم والتأخير

يعد هذا الباب من الأبواب التي طرقت من قبل العلماء العرب القدماء، فقد عقد عبد القاهر الجرجاني له فصلا في مؤلفه (دلائل الإعجاز)، قدمه بقوله: " ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدّم فيه شيء وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان "[4]، وتقوم ظاهرة التقديم و التأخير في الأدب على أساس انتهاك نظام الرتبة في اللغة، حيث يعمد المبدع إلى تحريك الكلمات عن أماكنها الأصلية إلى أماكن أخرى جديدة، فيقدم ما حقه التأخير كالخبر أو المفعول به، ويؤخر ما استحق التقديم كالمبتدأ أو الفعل، ويكون ذلك لغرض فني أو جمالي يود تحقيقه [5]. كما أنه يقوم بإثراء أدبية الأديب وهو كما يقول أحمد ويس:" طاقة أسلوبية ذات معين لا ينضب، وفيه تتجلى إمكانات المبدع في الصياغة والتعبير"[6] .

---

1 – ويس: الانزياح في التراث النقدي والبلاغي ص 103

2–كوهن، جان: بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الوالي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، ص 40

3 – ويس: الانزياح في التراث النقدي والبلاغي ص 104

4– الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، شرحه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3 1999م، ص 96

5 – الرواشدة، أميمة : شعرية الانزياح ، منشورات أمانة عمان 2004، ص 187

6 – ويس: الانزياح في التراث النقدي والبلاغي ص 174

ويعد التقديم والتأخير من أبرز الإمكانات اللغوية التي اتكأ عليها شعراء الأردن في صياغة عباراتهم الشعرية، وذلك في محاولة منهم للاستفادة من طاقتها الإيحائية والتأثيرية في هذا المجال .

تبرز ظاهرة التقديم والتأخير عند عرار " الذي جعل من تجاوزاته ومخالفاته اللغوية المعادل الموضوعي لرفضه أنماط الحياة الاجتماعية البائسة، والسياسية الثقيلة الراكدة "[1]. ومن الأمثلة على التقديم والتأخير في شعر عرار تقديم المتعلق من الجار والمجرور أو الظرف على الفعل، يقول[2]:

أهكذا حتى ولا مرحبا لله أشكو قلبك القلبا

فالشاعر هنا قدم الجار والمجرور (لله) على الفعل (أشكو)؛ لأنه يعاني من تقلب قلب محبوبته، فهي كل يوم على حال والشكوى هنا لله سبحانه وليست لغيره " فالقلب المتقلب القاسي لابد للمغرم به أن يشكوه، ولكن ليس إلى صاحبه وإنما لخالقه، لمن يقلب القلوب بين يديه الله عز وجل، فكان لابد من تقديمه فالشكوى إليه لا مذلة فيها وقد تكون الاستجابة فيها، والشاعر لا يفقد الأمل فلعل الله عز وجل يرقق قلب محبوبته فيبلغ مأربه بتقديم الشكوى إليه"[3]. ومن الأمثلة التي يقدم الشاعر فيها الظرف على الفعل، قوله في قصيدة " الحنين إلى الجزيرة " مخاطبا نفسه[4]:

أفي كل يوم أنت مضنى مروّع تشوقك أوطان وتصبيك أربع

لقد قدم الشاعر "في كل يوم " على كل ما تلاها، ولم يكن من همه في الدرجة الأولى بيان تلك الحالة التي تتلبسه فلا غرابة فيها، فهي حالة تنتاب أكثر الناس، ولكنه أراد أن يبرز ديمومة هذه الحالة وأنها لا تفارقه بتقديمه المتعلق الظرفي، فكأن معاناته ليس من وجودها ولكن من زمنها وتكرارها اليومي، ففي تساؤله مقدما الظرف على غيره يحمل دلالة واضحة على قلقه وأرقه من الزمن الذي ينتابه فيه،

---

[1]-مجاهد: الانزياحات الأسلوبية في لغة عرار من خلال ديوانه(عشيات وادي اليابس) ص 107

[2] – التل، مصطفى وهبي: العشيات، ص 128

[3]-مجاهد: الانزياحات الأسلوبية في لغة عرار من خلال ديوانه(عشيات وادي اليابس) ص 109

[4] – التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 291

فقد يتحمل الترويع والضنى والشوق لمرة أو لمرتين ولكن مـــا يؤرقـــه أن تتـــوالى بتوالي الزمن، وبما أن الزمن لا ينقطع فلا يبقى لديه أمل في انقطاع حنينه، وهو ما يتوافق مع الدلالة الكلية للنص[1].

ويظهر الانزياح عند الشاعر عيسى الناعوري بتقديمـــه المتعلـــق مـــن الجـــار والمجرور على الفعل في قوله[2]:

من فؤادي الكليم أستمد الدموع

فالشاعر قدم الجار و المجرور " من فؤادي " علـــى الفعـــل " أســـتمد "، فمـــن الطبيعي أن يشعر الإنسان بالحزن والألم، ويبكي من شدة هذا الألم، ولكن الألم عند الشاعر هنا أعمق فهو يملك قلبا حزينا مجروحا، وأراد الشاعر أن يبين شدة معاناته وألمه؛ ولذلك قدم الجار والمجرور.

ويظهر التقديم عند الناعوري في قصيدة بعنوان " خيمة اللاجئ " يقول[3]:

ومن دموع البائسين الجيـــاع
في أعين الأطفال و اليافعين
يفجر الحقد بكـــل اندفـــــاع
صواعقا سوف تدك الحصون

لقد قدم الشاعر " من دموع البائسين الجياع " على الفعل " يفجر الحقد"، ولعـــل الشاعر هنا يريد أن يبين قوة هذه الثورة التي ستنفجر في وجه الأعداء، فكلما زادت المعاناة زاد الحقد على الأعداء، فالناس يعيشون حياة بائسة ولا يجدون ما يأكلونـــه وهم معرضون للهلاك، فهذه المعاناة سوف تفجر الثورة بقوة، فالتقديم أدى هنا دورا دلاليا عميقا.

ويبرز الانزياح عند عبد الرحيم عمر من خلال تقديمه الظرف على المفعول به

---

[1]-مجاهد: الانزياحات الأسلوبية في لغة عرار من خلال ديوانه(عشيات وادي اليابس) ص 112

[2] – الناعوري: همسات الشلال، ص 34

[3] – الناعوري: أناشيدي ص 55

وتقديمه الجار والمجرور على المفعول به، ذلك في قصيدة بعنوان "إلى ولدي جمال"[1]:

مفارقنا التي شابت و نحن نفر من بلد إلى بلد
تطاردنا نيوب الليث من بلد إلى بلد
هنا أحنت أمام الموت هامتها
وألقت في مهب الريح رايتها

الترتيب النحوي للجملة " أحنت هامتها أمام الموت "، والجملة الثانية " ألقت رايتها في مهب الريح "، فالشاعر هنا استخدم التقديم والتأخير؛ ليؤكد المعنى الذي يريده، وهو الاستسلام التام والانحناء أمام الموت، وفي الجملة الثانية أراد أن يبين من خلال التقديم الحال التي وصلت إليها الأمة وأنها عرضة للمصائب والأهوال في كل حين.

ويظهر الانزياح عند حسني فريز من تقديمه الجار والمجرور على المفعول به،يقول في قصيدة بعنوان (هوى المجد)[2]:

أريد للناس حبا عارما وهوى يسمو بهم عن حقارات وأضغان

فالشاعر من خلال تقديمه الجار والمجرور " للناس " على المفعول به " حبا " يؤكد على مدى حبه للناس، وأنه يريد هذا الحب للناس وليس لنفسه؛ لأنه يريد أن يعيش في مجتمع مليء بالحب، والأخوة والمودة، هذا الحب الذي يخلصهم من الحقد والكراهية.

ومن مظاهر الانزياح عند حسني فريز هو تقديم الجار والمجرور على الفاعل في جملة(فلا يغترر بالعيش حر)، يقول حسني فريز في قصيدة بعنوان(وقفت على البسفور)[3]:

فلا يغترّ بالعيش حر فإنه لأقصر مما يدعيه وأخيب

---

[1] – عمر: الأعمال الكاملة، ص 209

[2] – فريز: الأعمال الكاملة، ص 102

[3] – المرجع نفسه، ص 214

فالشاعر من خلال تقديمه الجار والمجرور " بالعيش " على الفاعل "حر " يركز على قضيه هامة، وهي مدى تمسك الإنسان بالحياة، ولكنه يريد أن يبين أن الإنسان العاقل لا يغتر بالحياة الدنيا؛ لأنها نعيم زائل فالإنسان الذي يتمسك بالحياة الدنيا لا شك أنه خاسر في النهاية.ويظهر التقديم عند حسني فريز من خلال فصله بين المبتدأ والخبر بالجار والمجرور في الجملتين التاليتين " الموت بالشباب ينادي"، و"الأرض بالدماء تمور" يقول في قصيدة بعنوان (قف قليلا)[1]:

وإذا الموت بالشباب ينادي وإذا الأرض بالدماء تمور

فالشاعر من خلال تقديمه الجار والمجرور " بالشباب " يريد أن يبين ازدياد القتل بين الناس وأن الموت أصبح لا يفرق بين كبير أو صغير، فبسبب الحروب أصبح الموت يقضي على الجميع وأصبحت الدماء تسيل على وجه الأرض.

ويبرز الانزياح عند محمود فضيل التل، من خلال تقديمه الخبر على المبتدأ " في رحاها العمر ضاع "، فالترتيب النحوي للجملة هو " العمر ضاع في رحاها"، وكذلك تقديم خبر صار على اسمها " صار في الدنيا شقائي "، يقول محمود فضيل التل[2]:

لي سؤال عن حياة
في رحاها العمر ضاع
صار في الدنيا شقائي

فالشاعر من خلال تقديمه الجار والمجرور، يريد أن يؤكد حقيقة واحده وهي أن هذه الحياة تأخذ الإنسان في دوامتها، وإذا لم ينتبه الإنسان إلى ذلك فإنه سوف يضيع في هذه الدنيا؛ لأن هذه الدنيا هي دار شقاء وتعب ليس فيها مجال للراحة.

ومن مظاهر الانزياح عند حيدر محمود تقديمه المفعول به على الفاعل يقول[3]:

---

[1] – فريز: الأعمال الكاملة، ص 217

[2] – التل، محمود فضيل: آخر الكلمات، ص 109

[3] – محمود : الأعمال الكاملة، ص 275-276

فليتقاسم وحل الأرض

سماسرة الأرض

ووسخ العمر

سماسرة الأشياء

فالأصل في ترتيب الجملة " فليتقاسم سماسرة الأرض وحل الأرض "، ولكن الشاعر قدم المفعول به ليبين جزاء من يساومون بالأرض العربية لأعدائهم، وهو الوحل الذي لا قيمة له وقد يتسخ من يمسك به، كما قدم الشاعر المفعول به على الفاعل في البيت الذي يليه؛ ليعطي نفس المعنى الذي يريده الشاعر.

ب – الحذف

يعد الحذف من الظواهر الأسلوبية التي تعكس جمالا على النص الشعري، وقد عبر عنه عبد القاهر الجرجاني بقوله: " هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة وتجدك انطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن "[1].

وتبرز ظاهرة الحذف عند شعراء الأردن في أكثر من قصيدة، وقد لجأ إليه الشعراء من أجل إثراء نصوصهم أدبيا، وهو يقوم على حذف أحد طرفي الإسناد على الأغلب " وذلك من منطلق أن النظام اللغوي يقتضي في الأصل ذكر هذه الأطراف ولكن التطبيق العملي من خلال الكلام قد يسقط أحدهما اعتمادا على دلالة القرائن المقالية أو الحالية "[2]، وقد قيد البلاغيون الحذف بشرطين أساسيين هما:

"1- وجود ما يدل على المحذوف من القرائن

2- وجود السياق الذي يترجح فيه الحذف على الذكر "[3]

---

[1] – الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص 121

[2] – عبد المطلب، محمد: البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، ط1 ،1994، ص 313

[3] – المرجع نفسه: ص 322

والحذف بطبيعته يكوّن لدى المتلقي ذلك التأمل والبحث عن المحذوف، ومحاولة استكناه جمالية حذفه في موضعه الموجود فيه، وهنا تصبح هذه النظرة إلى الحذف وقيمته قد أضافت قيمة أخرى للحذف، وشكلت احتفاء أكثر فلم تعد النظرة إلى قيمة الحذف مقتصرة على عامل الإيجاز والتكثيف وطرح ما يعوق عملية الاتصال. وستتوقف الدراسة عند بعض النماذج التي تبدى فيها الحذف لتبين مدى ارتباط هذه الظاهرة بالدلالة الشعرية.

يقول حسني فريز[1]:

شكى الدهر قبلي النابهون و أكثروا وقالوا به قولا يدق عن الحصر
غبي يطم الأغبياء بوفره ويترك نزر الأذكياء على النزر
لئيم يرى البأساء ران أتيها ويضحك عند المكثرين على العسر
جهول يطيع الجهل في كل مطرح ويحرن عند العلم من غير ما عذر

تكرر في هذه الأبيات حذف المبتدأ الذي جاء ضمير غائب " هو " مشيرا إلى الدهر مرات عديدة في الأبيات السابقة، وقد تضافر هذا الحذف المتكرر مع تكرار الصور السلبية لهذه المبتدآت المحذوفة في إبراز الصورة السلبية للدهر الذي أرّق الشاعر بنوائبه.

ويقول خالد محادين في قصيدة بعنوان " أغنية إلى مدينة حزينة "[2]:

وحدي من تشويه الشمس في طابور المشويين
وحدي من يطرد
اسمي في القائمة السوداء
و التقرير يقول:
يعشق هذي الأرض
يرفض أن تطرح في أسواق المال المفترسة
يؤمن أن الثورة المولود الأول للفقر
وموال الفقراء

---

[1] – فريز: الأعمال الكاملة، ص 298

[2] – محادين: الأعمال الكاملة، ص 131–132

في هذه المقطوعة يتبدى حذف المبتدأ وهو الضمير الغائب " هو "، ولعل الشاعر أراد أن يشير هنا إلى كل مواطن عربي حر يرفض الاحتلال للأرض العربية، ويؤمن بالحق العربي في هذه الأرض، ومن الممكن أن يكون الحذف دلالة على تعطل دور المحذوف وظيفيا، حيث إن الشعوب العربية لا حول لها ولا قوة. ولا يقتصر الحذف فقط على حذف المبتدأ وإنما قد يحذف الفعل، ومن الأمثلة على حذف الفعل يقول محمود فضيل التل[1]:

يبحث الإنسان عن حلاوة المعقول

وعن مرارة اللاوعي

عن عالم المستقبل المجهول

وعن كسوف الشمس أو خسف القمر

حذف الشاعر الفعل " يبحث " في المقطوعة ولعله أراد من ذلك إبراز قيمة الشيء الذي يبحث عنه الإنسان، وللدلالة على الحيرة التي يعيش فيها الإنسان فهو دائم البحث لا يهدأ له بال.

ومن الأمثلة على حذف الخبر يقول عبد الرحيم عمر[2]:

بعد أعوام ستذوي ورقات الشجر

تنتهي الرحلة يبدو كل ما كان ضلال

لا كؤوس الراح، لا أوراقك السوداء

لا الحب، ولا آمالك المزدهرة

حذف الخبر مرارا في هذا النص، فكؤوس الراح والأوراق السوداء، والحب والآمال المزدهرة كلها مبتدآت تحتاج إلى أخبار، ونحن لا نستطيع التعرف إلى السر الكامن وراء هذا الحذف إلا إذا كشفنا الجامع المشترك بين هذه المبتدآت من جهة، وعن العلاقة التي تربطها بعناصر السياق الأخرى من جهة ثانية. فالشاعر في هذا النص يتحدث عن الموت وما بعد الموت، فكل شيء ينعم به الإنسان في حياته الدنيا سوف يزول بقدوم الموت، فلم يعد الراح موجودا ولا الحب ولا الآمال التي يطمح

---

[1] – التل، محمود فضيل: نداء للغد الآتي ص 58

[2] – عمر: الأعمال الكاملة ص 189

إليها الإنسان موجودة، وهذا ما دفع الشاعر إلى السكوت عن الأخبار ليترك للمتلقي المجال للمشاركة في إنتاج الدلالة الشعرية وتأويل النص.

ومن أشكال الحذف الأخرى التي نجدها عند الشعراء، هو الحذف بالنقط حيث يدل ذلك على وجود كلام محذوف أو مسكوت عنه، إذ يفتح الحذف المجال واسعا أمام القارئ للتأويل والاجتهاد، والمشاركة في بناء النص الشعري، ليصل إلى مرحلة الالتحام بين المتلقي والنص. يقول عصام العمد في قصيدة بعنوان (الإنسان والأحداث)[1]:

وهل أرضى ... بأن أبقى
أعيش أنا على الهامش
وترميني الرياح الهوج ..... لا أشكو .....ولا أبكي

فالشاعر من خلال استخدامه لتقنية الحذف بالنقاط قد فتح المجال أمام القارئ للتأويل فبعد قوله: (وترميني الرياح الهوج .....لا أشكو ....ولا أبكي) قد فتح المجال أمام القارئ ليتخيل تلك الرياح، وما هي طبيعتها ؟ وماذا ستفعل به ؟

وتظهر هذه التقنية في قصائد الشاعر حيدر محمود، يقول في قصيدة بعنوان (وجع الأرقام)[2]:

لكن الأرض
تمر بهم مستعجلة
لا تتوقف فوق الجسر المهجور
سوى عربات الموتى
تحمل ما يسقطه الزمن
من الأوراق ..
وتمضي ..

---

[1] – العمد: ديوان الوجدانيات، مجلد 2، ص 50

[2] – محمود: الأعمال الكاملة، ص 29

والمنتظرون بلا جدوى

لا يجنون ..

سوى الآلام

.....

.....

لقد ترك الشاعر النقط للدلالة على أن هناك كلام كثير قد سكت عنـــه، ويريـــد القارئ أن يؤول ذلك الكلام حسب فهمه للنص.يقول الشاعر علي البتيري في قصيدة بعنوان (الموت العميم)[1]:

إنه الموت

يتسع الآن فينا

وينشر أسراب غربانه

في يباب النفوس ...

إنه الموت يغسل أكفانه

في دموع الحزانى

ويلقي بها فوق هذي الرؤوس

وتلك الرؤوس ...

فقد ترك الشاعر المجال للقارئ أن يفكر في عبارته (تلك الرؤوس ...)، ماذا يقصد بها ؟، فالشاعر يتحدث عن الموت الذي سوف يأتي على الجميع، فمن منـــا ســـوف ينجو من الموت ؟.

---

[1] – البتيري: شبابيك أتعبها الانتظار، ص32

الفصل الرابع
الصورة الفنية

تعد الصورة الفنية من أهم عناصر الشعر، وأشدها تميزا في تحقيق الجمالية الإبداعية هي مبدأ الحياة في القصيدة، ومقياس رئيس لمجدها الإبداعي، ومع هذه الأهمية إلا أن الصورة كمصطلح أدبي لا تزال محط الاختلاف والتضارب، وليس وجود هذا الاختلاف دالا على عدم توحد مفهوم الصورة بقدر دلالته على سعة المصطلح وتشعبه المتعدد، فالصورة يشكلها العديد من العناصر كالموقع والحركة والشكل والحجم واللون .. إلخ، كما أنها تتميز بالعديد من الخصائص كالوحدة والإيحاء والتطابق .. وغير ذلك، ولعل نظرة النقاد إلى تلك الخصائص والعناصر هي التي كونت اختلافهم حول المصطلح، وذلك لتباينهم في التوسع والتضييق حيال تلك المكونات ونجد أن أغلب هذه التعريفات الحديثة لمفهوم الصورة في الشعر تحاول جاهدة التخلص من التقوقع في حيز النظرة القديمة للصورة، والتي تحصرها في الفنون البلاغية المعروفة كالتشبيه والاستعارة والمجاز وغيرها، ولعل منشأ هذا التخلص ومحاولة الانفلات منه قد جاء بعد إدراك انطلاق الصورة إلى أبعد من ذلك واستيعاب شموليتها وسعتها غير المحدودة، وهذا الأمر بحد ذاته شيء إيجابي جدا لأنه قد عكس إدراكا وتفهما لواقع الصورة الفنية في الشعر الحديث، وما حدث فيها من تطور ونمو، فهي عند بعضهم تعني: (أية هيئة تثيرها الكلمات الشعرية بالذهن شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة وموحية في آن، لكن هذا المفهوم هو المفهوم العام للصورة، أما المجال التفصيلي له فيجعل الصورة تركيبة عقلية تحدث بالتناسب أو بالمقارنة بين عنصرين، هما في أحيان كثيرة، عنصر ظاهري وآخر باطني وأن جمال ذلك التناسب أو المقارنة يحدد بعنصرين آخرين هما: الحافز والقيمة، لأن كل صورة فنية تنشأ بدافع وتؤدي إلى قيمة)[1] وقد حدد هذا المفهوم عناصر الصورة بما

---

[1]- الرباعي عبد القادر: الصورة الفنية في النقد الشعري، دار العلوم للطباعة، الرياض، ط1، 1405هـ، ص85

في ذلك الدافع والقيمة فيها، ولعل المقصود بالعنصر الظاهري هنا ما يكون من العالم المحسوس، وقد قيل بأن (الصورة هي كل شيء تقوى على سماعه أو رؤيته أو لمسه أو تذوقه)[1]، وهذا الاهتمام بالجانب الحسي هو الذي أوجد تلك التقسيمات في الصورة من بصرية وسمعية وذوقية .. إلخ، أما الجانب الباطني فالمعني به أفكار الشاعر ونفسيته التي هزتها تجربة عميقة، على هذا فإن من المهم إدراك الفارق الكبير بين الصورة في الأدب والصور في غيره من الفنون، فالصورة الأدبية صورة مشابهة لا مطابقة ونعني بالمطابقة التي تمثل الشيء لتكون نسخة منه في جميع أجزائها ومكوناتها، أما الصورة الأدبية (فتستطيع أن تمثل بدرجة متساوية وفي وقت واحد أشياء بين بعضها وبعضها بون شاسع، وتستطيع ــ من ثم ــ أن تحدث ارتباطات شعورية عجيبة)[2].

(وعن طريق البناء التصويري اللغوي، تتوحد مشاعر الشاعر في معاناة وجدانية ذاهلة تفقد فيها الأشياء تماسكها القديم،حيث يتمازج الحدث والتصور في هرم الرؤيا الفنية شريطة أن يحتضن الخيال انفعال الشاعر حتى يذوب ما بينهما من فواصل)[3]،كما إن(الصورة إذ توحد بين حقيقتين متباعدتين في المكان لم تلتقيا قط إنما تصبح خلقا جديدا معبرة عن عالم جديد، وإذ تنفي شكل الأشياء الظاهري وتركز على صفاتها ورموزها،إنما تعيد الوحدة والانسجام لهذا الكون المشتت المتناقض والمتباعد، وتبقي للخيال تلك القدرة الصافية وذلك الفعل الكيميائي الذي يصهر الأشياء ويوحدها)[4].

لم يمنع اهتمام شعراء الأردن بالفكرة أن يولوا الصورة عناية كبيرة في أشعارهم التأملية فقد استطاع هؤلاء الشعراء أن يمزجوا بين الفكرة والخيال، وبين الحقيقة والصورة؛ ولذلك جاءت أشعارهم تحمل قوة التعبير وذلك من التأثير في

---

[1]- الرباعي: الصورة الفنية في النقد الشعري ، ص87

[2]- إسماعيل: الشعر العربي المعاصر ، ص132

[3]-عيد، رجاء: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط2 د.ت، ص405

[4]- حمود، محمد العيد: الحداثة في الشعر العربي المعاصر بيانها ومظاهرها، ص104

النفس فالصورة هي أداتهم للتعبير ووسيلتهم لرؤية الأشياء وكشف المجهول في الحياة والكون.

وقد كان شعراء الأردن يزاوجون (بين الصورة الجزئية التي تتمثل بمشهد صغير أو فكرة محدودة تبرزها في إطار خاص يعرضها في كيان مستقل، وبين الصورة الكلية التي لا تصلح للاستقلال الجزئي،بل ترى طالبة لما يليها من الصور في تتابع وتسلسل وفي اتساع ونمو وتداخل حتى تكتمل من مجموعها الصورة الكبرى أو اللوحة الكلية)[1]

على أن عناية شعراء الأردن بالصورة ـــ بصورة عامة ـــ ظلت عناية جزئية ومعظمها كان يعكس روح التشاؤم والانكسار، ومن هنا لفتت أنظارهم صور الفناء والغروب وتساقط أوراق الخريف.أما صور التفاؤل المضيئة فكانت تظهر من خلال التجائهم إلى عوالم متتالية تخلقها أنفسهم ويلوذ بها خيالهم.

الاتجاه النفسي في الصور الفنية:

ما تتميز به الصورة الفنية عند هؤلاء الشعراء أنهم يضفون على الخارج صفة الداخل، فهم يسقطون أحوال أنفسهم على ما يتأملونه حولهم، فإذا الأشياء تموج بالحركة والحيوية وتحمل الحزن والألم وكأنها إنسان ذو مشاعر وأفكار، فالخارج من هنا امتداد لهذه النفس وما تعانيه من تناقض وما تعيشه من نوازع.الأساس النفسي للصورة (قائم على النزوع من داخل مضطرب إلى موضوع خارجي منسجم متحد،فالشاعر وهو ينظم شعره تتحد في تجربته كل منازعه الداخلية سواء أكانت آتية من العقل أم من الحس،وعندما تولد الصورة تولد مفعمة بالانفعال قادرة على بعثه)[2].

---

[1]– عبد البديع، محمد نظمي : أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب ص 136

[2] – الرباعي، عبد القادر: الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط 2، 1999،ص ص 177 ـــ 178

فها هو خالد محادين يتوحد مع دوار البحر،ويسقط عليه معاناته الشخصية من ضياع وحزن وألم فخالد محادين يشعر أنه يعيش في ضياع ومعاناة يقول[1]:

كلانا يا دوار البحر مصلوب على الجرح
كلانا ضائع المنفى يعب مرارة الملح
كلانا يذرف العبرات يخنق آهة البوح
ومثلك يا دوار البحر في ليل بلا صبح
أعانق ظلمة الأشياء وأحبس دونها نوحي

لقد شخص الشاعر دوار البحر وجعل منه كائنا عاقلا،يشعر بالألم والمعاناة ويتمنى الخلاص مما يعانيه.

وهذا ما نلاحظه أيضا في قصيدة "ظلال الأصيل "،لمحمود فضيل التل فهو يريد أن يسقط الشعور بالغربة على البحر، وهو نفس الشعور لدى الشاعر، فالشاعر من خلال حديثه للبحر يبث مشاعر الحزن،والألم والغربة،التي تسيطر على نفس الشاعر يقول[2]:

تودع يا بحر إذ سوف ترحل
وتحمل بعض ظلال الأصيل
فهلا سألت إذا كنت أهوى
كما أنت يا بحر درب الرحيل !!
تعانق حلم الشواطئ حزنا
وتترك حلمي
أما من بديل ؟!
فخذني إلى حيث تمضي بعيدا
إلى أي أرض
وأي سبيل

---

[1]- محادين: الأعمال الكاملة ص 250

[2]-التل، محمود فضيل: أنشودة المستحيل ص 65

ويستمر الشاعر في بث أحزانه، ومشاعر الألم للبحر إلى أن يتوحد معه في شعوره بالغربة يقول[1]:

كلانا بهذا الزمان غريب
بهذا العناء المرير الطويل
فحسب الغريب إذا ظل يشقى
ويعشق لو مات عند الرحيل !!

ومما يلاحظ على شعراء الأردن،أنهم عندما يتأملون الداخل يضفون عليه صفة الخارج وهكذا يتداخل الخارج والداخل في الصورة الفنية دون أدنى فاصل بينهما، فهم يرون الطبيعة في أنفسهم كما يرون أنفسهم في الطبيعة،" فإذا أراد الشاعر أن يصور حالته النفسية اتخذ الطبيعة وسيلة لتصوير هذه الحالة "[2].

فالصورة عند شعراء الأردن صورة حزينة تعكس ما في أنفسهم من ألم وحسرة كما كانت تعكس العزلة، والوحدة والشعور بالغربة،ولذلك نجدهم يلجأون إلى صور الفناء والاندثار،وكذلك كانت صور الخريف،والليل من الصور المحببة لديهم في أشعارهم التأملية، فهذا عبد الرحيم عمر يصور مصير الإنسان ويتخيل شجرة في فصل الخريف تتساقط أوراقها، فهو يقول في قصيدة بعنوان " من وصية صوفي" [3]:

بعد أعوام ستذوي ورقات الشجرة
تنتهي الرحلة، يبدو كل ما كان ضلال
لا كؤوس الراح، لا أوراقك السوداء
لا الحب، ولا آمالك المزدهرة
كلها يا ضيعة العمر! ضلال في ضلال

ويشاركه في هذه الصورة محمود فضيل التل،الذي يصور الموت بالخريف الذي يسقط أوراق الشجر يقول في قصيدة " ريح الخريف "[4]:

---

[1] – التل، محمود فضيل: أنشودة المستحيل: ص66

[2] – علاق: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية ص 244

[3]– عمر: الأعمال الكاملة، ص 189

[4] – التل، محمود فضيل: شراع الليل والطوفان ص 72

الآن قد يأتي الخريف
وتسقط الأوراق ثانية
فلا يأتي الشتاء طريقنا
فيضيع في هذي الحياة ربيعنا
ويموت في كل شيء بعدنا

كما يشبه عرار انتشار الربيع بالضحك، وذلك لما يثيره انتشار الربيع من أحاسيس رائعة في النفس البشرية ، يقول عرار[1]:

ضحك الربيع " وبرطع " الدحنون فدع الحياة كما تكون تكون
فهواك ما ينفك معتبل الشّوى يا حلوة النظرات يا " برفين "

الاتجاه البلاغي في الصور الفنية :

أـ الصور التشبيهية

لقد كان شعراء الأردن يعتمدون التشبيه في تصوير أفكارهم وتجاربهم في الحياة، وقد يكون هذا التشبيه بليغا أحيانا وقد يكون بأداة التشبيه أحيانا أخرى، وقد تكون العلاقة بين المشبه والمشبه به مستندة " إلى مشابهه حسية وقد تستند إلى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني الذي يربط بين الطرفين المقارنين دون أن يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في الهيئة المادية أو في كثير من الصفات المحسوسة"[2].

أو يأخذون صورا من الطبيعة، تقترب بين هذه الحال في الاضطراب والارتعاش أو في الثورة والغضب، وهذه صفة نجدها لدى الشعراء الرومانسيين عموما، فتشبيههم لا يقوم على علاقة حسية بقدر ما يقوم على علاقة ذهنية معنوية؛ لأنهم يربطون الداخل بالخارج ولا يشبهون الشيء بالشيء في صفة الحسية أو هيئته المادية [3].

---

[1] – التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 358

[2]– عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ص 172

[3]– علاق: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية ص 245

فالشاعر حسني فريز يصور نفسه كالبلبل الحبيس في القفص مقيد الحرية، وشعره كتغريد البلبل، وغيره من الحاقدين يصورهم بالغربان التي هي رمز للشؤم والخراب، يقول في قصيدة " هراء " [1]:

أطلقوا جانحي من قفص الأسر وفكوا اللثام عن أهدابي

أطلقوا البلبل الطروب يغرد واسجنوا كل ناعق وغراب

وها هو محمود فضيل التل يستمد تشبيهاته للحياة من عالم الطبيعة المضطرب الذي يوازي الحياة الإنسانية، بما فيها من تناقضات يقول [2]:

وجدتك يا معللتي

فضاء صافي السحب

وأفقا خلفه المجهول يقلقني

وبرا رائع الصور

وليلا نجمه ساح

وصحراء

وكثبانا

وشطآنا

ووديانا ما لها آخر

وجدتك عالما آخر .

تكاد هذه الصور تدور حول معاني الانكسار والتراجع،أكثر مما تدور حول معاني الانطلاق،وبخاصة تلك الصور التي يعرض فيها الشعراء إلى البحث عن الحقيقة ليعودوا بعد ذلك وقد امتلأت قلوبهم يأسا، يقول محمود التل في قصيدة "للموت قد غنيت"[3]:

من كثر ما عانيت

كانت حياتي هجرة إلى محيط الموت

---

[1] فريز: الأعمال الكاملة ص 85

[2] التل، محمود فضيل: وحتك عالما آخر ص 54

[3] التل، محمود فضيل: أغنيات الصمت والاغتراب ص

وتبددت أحلام عمري قبل أن يأتي الأوان

فقد أزهقت روحي سدى

يا طول ما غنيت

أحلى مواويل الهوى

للموت قد غنيت .

فالشاعر يشبه حياته كالهجرة التي يتنقل فيها الإنسان من مكـــان لآخـــر، طلبـــا لأشياء كثيرة كالرزق أو العلم، أو بسبب الظروف السياسية وغيرها، ولكن هجـــرة الشاعر هنا نحو الموت من أجل الخلاص من حياته، والبحث عـــن حيـــاة جديـــدة مريحة.

ب – الصورة الاستعارية :

وتعد ركنا أساسيا في أشعارهم التأملية لما فيها من تكثيف عاطفي،وما يستدعيه ذلك من خيال مجنح لتحقيق أغراضهم النفسية تحقيقا جماليا، والاســـتعارة عنـــدهم نوعان في الغالب: تجسيدية وتشخيصية " في التجسيد تمنح الذات موضوعها بجسمها وأعضاءها وباختصار شيئيتها، ويتجلى أوضح ما يكون في تجسيم المجردات أما في التشخيص فإنها تمنحه إلى جانب ذلك حياتها ونماءها وخصائصها الجوهرية، وهـــذا الفارق ضروري لأنه الفيصل ليس بين ما هو تشخيصي وتجسيدي فحسب بل بـــين ما هو تشخيصي وغير تشخيصي على العموم "[1].

فالتشخيص يقوم على " إضفاء صفات الكائن الحي، وبخاصة الصفات الإنسانية على ظواهر الواقع الخارجي"[2].

أما التجسيد فيقوم على " إكساب المعنويات صفات محسوسة مجسدة، حيث تقدم الصورة الاستعارية الأفكار والخواطر والعواطف محسنات مجسدة "[3].

---

[1]– اليافي، نعيم: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ص 157

[2] – قاسم، عدنان: التصوير الشعري (رؤية نقدية لبلاغتنا العربية) مكتبة الفلاح، الكويت،ط1، 1988، ص 148

[3] – المرجع نفسه: ص 152

ومن القصائد التي من الممكن أن تدخل في باب التشخيص قصيدة للشاعر إبراهيم نصر الله بعنوان " وانتحرت أشجار الزيتون "، يقول الشاعر[1]:

ضحكَت
كعجوز تبدو للوهلة
شمطاء بلهاء ... صمّاء
وبدأتُ ألملم أجزائي
وأحدق لا أفهم شيئا
فلماذا ضحكتها صفراء ؟
قالت :
فجرها كل الأرجاء
- ماذا ؟
- فجرها كل الأرجاء
- لم أفهم شيئا لم أفهم
- فلتجلس حاول أن تسمع
القصة دوما مشئومة
فاحذر أن تيأس أو تدمع
من أكثر من خمسين سنة
أكثر ... أكثر وأنا في الساحة انتظر

فالشاعر في هذه القصيدة قد جعل أشجار الزيتون إنسانا يحاوره،ويتبادل معه الحديث، ويروي له الحكاية التي أتعبته،وأرّقته وهي الاحتلال الصهيوني للأرض العربية، فالأشجار تحكي حال أهلها الذين صمدوا في وجه الاحتلال، ولكنها غاضبة من أولئك الذين تخلوا عنها وتركوها، وكانت نهايتها الانتحار؛ لأنها قد ملّت الانتظار.

---

[1] - نصر الله: جسدي كان الغربال، ص 111

ومن الصور الفنية الرائعة التي تعتمد على التجسيد نجد قصيدة حسني فريز بعنوان" آذار سنة 1942"، التي يصف فيها فصل الربيع في وادي السلط، يقول[1] :

والماء صفق في حواشي وشيه والطير تياه بشجو لحونه
هذي الروابي الخضر هب نسيمها نشوان يحمل سرها بغضونه
عبث الزهور بردنه وأريجها الوسنان في تفتيره و سكونه
وتموجت مثل العرائس في الدجى وتبرجت رأد الضحى لفتونه
فالزهر في أكمامه مبتسم أو ضاحك من وسوسات قرينه

لقد رسم لنا الشاعر لوحة فنية تفيض بالجمال والروعة، من خلال وصفه لمنظر وادي السلط حين جسد لنا هذا المنظر، فالماء يصفق كأنه إنسان يعيش حالة فرح شديد والطيور تغني والأزهار والنباتات تتماوج كالعرائس ،والزهر يبتسم، والورد يضحك .

ومن القصائد التي يتجلى فيها التجسيد، قصيدة للشاعر محمود فضيل التل بعنوان(آية النار) يقول[2]:

غير إني رغم هذا الموت
في أطياف ليلي
رغم هذا الموت
في أنفاس فجري
سوف أصغي كلما اشتدت ظلاما
عندما يعلو ... ويعلو
صوت أرواح الضحايا

فالشاعر هنا يشبه الفجر بالإنسان، فقد منح الفجر صفة إنسانية وهي التنفس كما بث فيه الحياة .

ويقول الناعوري في قصيدة بعنوان (العام الجديد)[3]:

---

[1] – فريز: الأعمال الكاملة ص 161

[2] – التل، محمود فضيل: جدار الانتظار ص 11

[3] – الناعوري: أناشيدي ص 11

ماذا وراء الغيب يا عام
ماذا وراء الزمن المقبل ؟
هل ثم نور ضاحك ينجلي
على شراع الأمل الأعزل ؟
أم ثم آلام وأشجان ؟
قل ما وراء الغيب يا عام ؟

فالشاعر في هذه القصيدة يصور العام إنسانا واقفا أمامه ويخاطبه، ويبثه ما فيه من مشاعر وأحاسيس تجول بخاطر الشاعر.

ويقول عبد الرحيم عمر في قصيدة بعنوان (ضائع على الدرب) [1]:

العتمة الهوجاء قد جنت، وفي
فانوسك الخابي مجاعة مقلتيك
ضاع الطريق

لقد منح الشاعر في هذه الأبيات العتمة صفة إنسانية وهي الجنـــون، فالإنـــسان الذي يفقد عقله لا يستطيع أن يميز بين الصواب والخطأ، وكذلك الاحتلال الذي رمز له بالعتمة لا يفرق بين أحد لا صغير ولا كبير. ويقول في قصيدة بعنوان (انتظار)[2]:

يا ليل قد شابت أمانينا وعاث بها الظلام
فمتى الصباح يهل !؟ قد ملّ النيام
حتى نجومك باهتات ترتعش
مقرورة تشكو انتفاضات الرياح
وتلفُها .

لقد جسد الشاعر في هذه الأبيات الأماني والظلام، فقد جعـــل الأمـــاني تـــشيب كالإنسان وهو يقصد بذلك أن أمانيه لم تتحقق طوال حياته وجعل الظلام يفسدها .

ويقول أيضا في قصيدة بعنوان (أغاني الرحيل السابع)[3]:

---

[1] – عمر: الأعمال الكاملة ص 31

[2] – المرجع نفسه، ص 78

[3] – المرجع نفسه، ص 370

حزين مساء المخيَّم
كئيب ولا من حراسة
أسير وما كان يعلم
بما خططته أفاعي السياسة

فقد أضفى الشاعر في هذه الأبيات، مجموعة من الصفات الإنسانية على مساء المخيم، فهو حزين وكئيب وأسير، وجعله إنساني المشاعر والأحاسيس، وهو بذلك استطاع أن يرسم لنا صورة حقيقة لمعاناة المهجَّرين .

ويرسم عرار صورة رائعة للشيب حيث يشبه انتشار الشيب في رأسه بإنسان يضحك، كما أنه يشبه السنوات بالإنسان في الأبيات التالية، يقول[1]:

قسما بحرمتك التي لا تنهك وبليل عينيك الذي لا يدرك
إني على ضحك المشيب بمفرقي وتضاحك السنوات مني أضحك

لقد استطاع شعراء الأردن أن يرسموا لنا مجموعة من اللوحات الفنية الرائعة من خلال الصور الفنية التي وردت في أشعارهم، وهم بذلك وظفوا تلك الصور لتوصيل أفكارهم وتوضيحها، وقد جاءت صورهم متنوعة ومتعددة الأشكال، إذ استمدوا تلك الصور من الطبيعة التي عاشوا بها، أو من المظاهر الحضارية في حياتهم.

---

[1] – التل، مصطفى وهبي : العشيات ص 318

الفصل الخامس

الموسيقى والإيقاع، التكرار

الإيقاع الموسيقي

الموسيقى ركن أساسي من أركان الشعر لا تقل أهمية عن الصورة،حيث تتآزر الموسيقى مع الصورة لإقامة بنية الموسيقى، وهذا الأثر الفاعل للموسيقى هو الذي يفسر اهتمام النقاد بالوزن الشعري ابتداء من النقاد العرب القدامى وحتى النقاد المعاصرين[1]. إن صياغة الشعر العربي منذ القديم كانت في كلام ذي توقيع موسيقي، ووحدة في النظم تشد من أزر المعنى، وتجعله ينفذ إلى قلوب سامعيه ومنشديه، وإن هذه الصياغة الموسيقية تمثلت في بحور الشعر العربي وقوافيه التي وصلت إلينا ناضجة[2]. ويعرف الإيقاع بأنه " وحدة النغمة التي تتكرر على نحو ما في الكلام أو في البيئة، أي توالي الحركات والسكنات على نحو منتظم في فقرتين أو أكثر من فقر الكلام أو في أبيات القصيدة" [3] وتمثله في الشعر التفعيلة في البحر العربي.أما الوزن فهو" مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت،وقد كان البيت هو الوحدة الموسيقية للقصيدة العربية في معظم الأحيان "[4]، فالموسيقى تكون عناصر الإيحاء الشعري، وتظهر أهميتها حين تتداخل مع بقية العناصر الأخرى في القصيدة، بحيث يكون الكلام شعرا[5]. وتقسم موسيقى القصيدة إلى قسمين: خارجية يحكمها العروض وحده، وتتمثل في الوزن والقافية، وداخلية تحكمها قيم صوتية باطنية أرحب من الوزن والنظم المجردين[6]. وأكثر ما تتمثل بالإيقاع الداخلي

---

[1] علي، ناصر: بنية القصيدة في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2001 ص 215

[2] فاخوري، محمود: موسيقى الشعر العربي، منشورات جامعة حلب، 1989، د ط ، ص 164

[3] المرجع نفسه: ص 164

[4] المرجع نفسه: ص165

[5] علي: بنية القصيدة في شعر محمود درويش ص 215

[6] ضيف، شوقي : الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط 1، ص 78

للكلمات الذي يعرف " بجرس اللفظ المفرد أو ما يطلق عليه البلاغيون بـ (فصاحة المفرد) وله وقع كبير على النفس لما له من ارتباط قوي بالدلالة والإيحاء"[1]، أما الإيقاع الخارجي فهو" الموسيقى المتأتية من نظام الوزن العروضي والقوافي،الذي يشكل قواعد أصيلة عامة يخضع لها جميع الشعراء في نظم قصائدهم، فهي قاعدة مشتركة يبنى عليها النص الشعري "[2].

الأوزان والقوافي

لقد كان شعراء الأردن ينوعون في القوافي، والأوزان في أشعارهم التأملية وغير التأملية على السواء،إذ رأوا في ذلك ما يساعدهم على طرح أفكارهم بشكل أفضل. فالتقيد بالوزن الواحد والقافية الواحدة كثيرا ما يقف عائقا دون تدفق الفكرة لدى الشاعر ودون وصولها إلى القارئ على الوجه المراد؛ولأن التنويع في الوزن والقافية يفتح بابا واسعا للحديث،وعرض فلسفتهم في الحياة والكون دون مشقة. كان هؤلاء يميلون إلى الأوزان القصيرة أو المجزوءة التفاعيل أكثر من ميلهم إلى البحور الطويلة،لأن ذلك يساعدهم على تبسيط أفكارهم وتقريبها إلى القارئ. وقد اعتمدوا البحور التي تقترب من الغناء كالخفيف حتى ينفذوا إلى النفس وتصل أفكارهم في يسر،ولم يمنع هذا أن يتقيد شعراء الأردن بالوزن الواحد والقافية الموحدة إذا كان ذلك لا يقف عائقا دون توصيل أفكارهم في وضوح وجلاء. أما نظام المقاطع والتنويع في القوافي من مقطع لآخر فنجده عند عرار، والناعوري وبخاصة في مخمساتهم ورباعياتهم .

فقد كان أغلب الشعراء الرومانسيين كما يقول الدكتور محمد غنيمي هلال:" يعتقدون أن للموضوعات التي يعالجونها أغزر في معانيها من أن تحويها الأوزان العمودية "[3]. على أن شعراء الأردن لم يخرجوا عن الأوزان وإن نوعوا فيها،

---

[1] بلقاسم بلعرج بن أحمد: الإيقاع، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 98 السنة 25 ، حزيران 2005م ، ص 110

[2] الكيلاني، إيمان: دراسة أسلوبية لشعر بدر شاكر السياب، رسالة دكتوراه ص 271

[3] هلال: الرومانتيكية ص 198

فالشعراء الرومانسيون يهتمون بالموسيقى، ولم يكن يتأتى ذلك إلا بانتخاب الأوزان التي تتناسب والأفكار المراد طرحها.

القصيدة العمودية

كان شعراء الأردن يلجأون أحيانا إلى طرح أفكارهم في قالب كلاسيكي، فيلتزمون الوزن الواحد والروي الواحد، وقد استطاعوا أن ينجحوا في التوفيق بين الشكل والمضمون. ويعد عرار و فريز وعبد المنعم الرفاعي، أكثر شعراء الأردن التزاما بالقصيدة العربية ذات الوزن الواحد، والروي الواحد دون أن يشكل ذلك عائقا أمام فكره ومشاعره.على أن الناعوري كان مهتما كثيرا بتجريبه الأشكال الشعرية، إذ نوّع وشكّل ما طاب له من الأشكال وإن كان أغلبها جاء في شكل المربع والمخمس، ولعله وجد في هذا التنويع ما ساعده على طرح أفكاره بصورة أفضل. وقد يكون ذلك ناتجا عن تأثره بشعراء المهجر. كما نوع محمود فضيل التل بين القصيدة العمودية،وقصيدة التفعيلة " الشعر الحر " وكذلك خالد محادين حيث وردت له بعض القصائد العمودية.

يقول عرار[1] (مجزوء الكامل):

"الموت غاية كل حي" رغم أنف الجاحين

فأعيذ نفس كفرها بقضاء رب العالمين

لكنه الخطب العظيم يشل وعي المطلقين

ويقول محمود فضيل التل في قصيدة (تعال يا ليل) [2] (البسيط التام):

تعال يا ليل واسكن قلب أشعاري وغيب الشمس وابعث ميت أفكاري

وانشر نجومك واجعل بينها قمرا وادفن شعاع التي أودت بأفكاري

تعال يا ليل إني قد عميت فما أقوى على النور أو أحيا بإبصار

ويقول الناعوري في قصيدة (جارة الوادي) [3] (الكامل التام):

---

1 التل ، مصطفى: العشيات، ص 422

2 التل، محمود فضيل: جدار الانتظار، ص 52

3 الناعوري: أناشيد أخرى ص 71

يدمى فؤادي إذ يراك كئيبـــة تتجـــرعيـــــن البـــؤس الآلامـــــا
يا جارة الوادي منتجع الهوى ذهب الهوى والماضي وصار حطاما
وادي العرائش كان يلقاني إذا مـــــــــا جئتـــه متهلـــلا بســـّاما

ويقول حسني فريز في قصيدة (العاصفة)[1] (الخفيف التام):

لا تقل يعقب الشتاء ربيع إن عهـــد الربيع ولّى وغابـــا
هزة أيقظت موات الأماني وأقامت في القلب عيدا عجابا
عادت الأرض جنة لهواه ونعيما مشعشعـــا خلابـــــا

ونظم خالد محادين القصيدة العمودية ففي قصيدة بعنوان "الأربعون " يقول[2]:

من أين جئت وخافقي تعب لا النار تسكنه ولا الخشب
الأربعون وكيف أنكرهـــا مذ أدبرت وتكسر القصب
الأربعون وقارها وجـــــع والأربعون وقارها كـــذب
والأربعون رمادها شعـــل والأربعون هدوؤها صخب

ويقول عبد المنعم الرفاعي في قصيدة بعنوان " زهرة القفر " (السريع)[3]:

هذا الشذى أين وأين البريق قد أوحش القفر وغاب الرفيـــق
وأنت تلقين الندى و السنـــا لا مجدب يروى وربـــع يطيـــق
وحيـــدة إلا وراء الحمـــى حيث الندامى وارتشاف الرحيق
حيث الأزاهير على رحبها تبثك الوجد الرفيـــق الرقيـــــق

وهكذا نلحظ أن شعراء الأردن قد نظموا بعض قصائدهم على شـــكل القـــصيدة العمودية، بكل اقتدار دون أن يمنعهم ذلك من طرح أفكارهم بكل حرية واقتدار.

نظام المقطوعات

لقد جاء بعض شعر شعراء الأردن على شكل مقطعات لكل مقطع قافية خاصـــة بل إن في المقطع الواحد قوافي متعددة، تلزم الأبيات أحيانا كما تلزم الأشطر أحيانا أخرى. وقد وجد شعراء الأردن في نظام المقاطع ما يشبع حسهم الموسيقي، حيـــث

---

[1] فريز: الأعمال الكاملة ص 76

[2] محادين : الأعمال الكاملة ص ص 346-348

[3] الرفاعي: الأعمال الكاملة، ص 50

تفنن هؤلاء في المقطع الواحد أحيانا بحيث جعلوا للأشطر الأولى من البيت قافية موحدة،وقافية موحدة للأشطر الثانية من البيت " فهم يتخذون النظم هندسة يراعيها الناظم في أقسام المقطوعة ويتفق ما شاء له فنه الموسيقي في الأوزان والقوافي"[1].

يقول عرار في قصيدة "عيناك " [2] (الخفيف):

غرد الطير ضاحكا أم باكي لست أدري وخالق الأفلاك
إنما سال دمع عيني لمّا غرد الطير فوق غصن الأراك
أللذكرى البلاد كان هذا أم لغم قد حل بي فتاك
لا لهذا ولا لذاك ولكن سبب النوح و البكاء عيناك
نظرة منك أرسلت لي سرا صرعتني فصرت عبد هواك

ويقول حسني فريز في قصيدة العيد [3] (مجزوء الخفيف):

لمن العيد والمنى ؟ لمن الحب والأمل ؟
لمن العيد باسم ؟ ينثر السحر والقبل
أيها العيد طف بمن يعرف الشبع والوسن
مرّ عنا فإننا قد نسيناك من زمن
أنت تبدو لطفلنا كالح الوجه عابسا
قائدا جيش حره حاملا جذوة الأسى

ويقول الناعوري في قصيدة "ميلاد برعم" [4]:

يا برعما طفلا دعاه الربيع
فشق قلب الأرض لمّا دعاه
كم نثر الطل عليك الدموع
وأنت تستقبل نور العيون
عودك يا طفل الربيع الجميل

---

1 أنيس، موسيقى الشعر ص 312

2 التل، مصطفى وهبي : العشيات ص619

3 فريز: الأعمال الكاملة ص 81

4 الناعوري: أناشيدي ص ص 50 ــ 51

سرعان ما يجف فيه البهاء
وعمرك الشعري، يأتي الأصيل
على أمانيه، ويمشي الغناء

المربع

من الأشكال الشعرية التي ظهرت عند شعراء الأردن المربع، وهو أن يقسم الشاعر قصيدته إلى أقسام يتضمن كل قسم منها أربعة أشطر، تلتزم بنظام معين للقافية. فقد تلتزم الأشطر الأولى قافية موحدة وتلتزم الأشطر الثانية قافية موحدة على شكل (أ ب أ ب). وقد تأتي الأشطر الثلاثة على قافية واحدة ويختلف عنها الشطر الرابع في قافيته على شكل (أ أ أ ب)، أو يكون على شكل (أ أ ب أ) أي تلتزم الأشطر الأربعة ما عدا الشطر الثالث قافية واحدة . وقد تأتي الأشطر الأربعة على قافية واحدة وذلك ما يسمى بالدوبيت [1].

على أن الأنواع التي شاعت لدى شعراء الأردن وخصوصا عرار والناعوري وفريز نوعان: الأول على شكل (أ أ أ ب)، والثاني على شكل (أ ب أ ب). وكان شعراء الأردن يجدون في المربع ما يساعدهم على التعبير عن تأملاتهم لاختلاف قوافيه من مقطع إلى آخر مع التزام وزن واحد في القصيدة .

يقول الناعوري في قصيدة بعنوان (في قريتي) [2]:

والشمس فوق قريتي — في الصبح أو عند الأصيل
ذات بهاء لا أرى — في غيرها له مثيل
تضحك من مشرقها — حتى يواريها المغيب
ترش من شعاعها — في قريتي نورا وطيب

ويقول فريز في قصيدة بعنوان "الشجرة " [3] :

إن تغنى طائر هيجني — أو تراءت زهرة في فنن
يثب القلب ولا يرحمني — ولد الشوق بظل الشجر

---

[1]- أنيس: موسيقى الشعر ص 303 ــ 304

[2]- الناعوري : أناشيدي ص 88

[3]- فريز: الأعمال الكاملة ص 482

قدها الفتان من قد الغصون وهواها كالهوى بعض الجنون

لا يداويه سوى حلو السكون في ظلال الأيك حلو السحـــر

فالشاعر في هذا المربع اتبع نظام التقفية (أ أ أ ب).

ويقول عرار في قصيدة بعنوان "صوت أخي" [1]:

إن السما إذ تمطـــر فالأرض أيضا تزهر

وكل نبـــت يثمـــر قد قال فيمـــا قالـــه

والماء أيضا يحبس من بعد ذا وينقـــص

والعشب أيضا ييبس وتقطـــع أوصالـــه

وقد اتبع الشاعر في هذا المربع نظام التقفية (أ أ أ ب) .

المخمـــس

وهو أن يقسم الشاعر مقطوعته إلى أقسام يتضمن كل قسم منها خمسة أشـــطر، لها نظام خاص في قوافيها، وقد يكون كل قسم مـــن هـــذه الأقـــسام مـــستقلا تمـــام الاستقلال في قوافيه وأوزانه[2].

والمخمس الذي استحسنه شعراء الأردن واستعذبوا موسيقاه،هو الذي تكرر فيـــه قافية الشطر الخامس من كل قسم من أقسام المقطوعة، وقد ورد هذا الـــشكل عنـــد عرار حيث يقول في قصيدته " إيه يا ريح الصبا " [3]:

إيه يا ريح الصبا تعالي تعالي نبكي عهدا مضى وعهدا خالي

قد قضيناه بين ذي الأطـــلال حيـــث كـــل منّا خلـــيّ البـــال

حيث كانت سماء سعدي نقية

ها هنا ها هنا عرفت الغراما أصحيح قد كان ذا أم مناما

آه يا هند منـــك آه علامـــا تهجريني فتقتليني هياما

ليس هذا عدالة يا بنية

---

[1] النل، مصطفى وهبي: العشيات ص 611

[2] أنيس: موسيقى الشعر ص ص 305 ــ 306

[3] النل، مصطفى وهبي: العشيات ص 617

فالشاعر في هذا المخمس اتبع نظام التقفية (أ أ أ أ ب ـــــــ ج ج ج ج ب) كما نظم عرار على نظام السباعيات يقول في قصيدة بعنوان "منكر ونكير "[1]:

زارني اليوم منكر ونكير
سألاني يا أيها الشرير
من إلهك ؟ أجبت ذاك الضمير
بعد ذا أردفا بصوت لين
أي دين ترى به متدين ؟ !
بوضوح أجبنا عما سألنا
ثم لا تنسى كعبة وكتابا

وقد نظم شعراء الأردن الشعر الحديث الذي يتخذ التفعيلة مرتكزا له في الوزن، ووحدة موسيقية يكررها الشاعر بنظام خاص يتفق مع الإيقاع الفني الذي تشكله طبيعة التجربة نفسها، والذي يتردد في روح الشاعر عند استغراقه في عملية الإبداع الفني[2].

ولعل تحرر الشعراء من قيود القصيدة التقليدية، جعل موسيقى القصيدة أكثر توافقا مع حركة النفس الداخلية، حيث تؤكد نازك الملائكة أن الشعر الجديد " مستمد من عروض الخليل بن أحمد قائم على أساسه، بحيث يمكن أن نستخرج من كل قصيدة حرة مجموعة قصائد خليلية وافية ومجزوءة ومشطورة ومنهوكة " [3] فهو لم يخرج على نظام الوزن ولكنه يمنح الشاعر" فرصة إطالة البيت بقدر طول نفسه وازدياد الدفقة الشعرية عنده " [4].

---

[1] التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 623

[2] فاخوري: موسيقى الشعر العربي ص 208

[3] الملائكة: قضايا الشعر المعاصر ص 7

[4] السمان، محمود: العروض الجديد " أوزان الشعر الحر وقوافيه " دار المعارف، القاهرة 1983 ص 87

وأول ما سجل له السبق في هذا اللون من الشعر،هو عرار الذي نظم ثلاثة قصائد على هذا الشكل وهي " أعن الهوى، متى، يا حلوة النظرة "، يقول عرار في قصيدة بعنوان " أعن الهوى " [1]:

أعن الهوى
وعن الحنين
أعن الصبابة والصبا
وعن الجوى تتحدثين
هيهات أحلام الشباب ، وقد تقلص ظله
هيهات
أتظنها ماتت ؟ نعم وأظنه
قد مات ، سله ! لعله
ما زال
والآمال
ما تنفك في جنباته
تشدو فتسمعنا العجيب من نغماته
وتريك من أهوائه الأهوال

كما نظم الناعوري بعض القصائد على هذا الشكل ونمثل عليها بالقصيدة التالية بعنوان " خواطر في الغروب " [2]:

ذلك القرص الذي يبدو كشعلة
تتلظى
شق في الغيم على الآفاق رمسه
ومضى يهبط فيه
يتدلى في سكون وهدوء
خلف ماء البحر في الأفق البعيد

---

[1] التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 512

[2] الناعوري: أناشيد أخرى ص 15

والخضم الرحب ساح
ليس فيه أي نبضة
أي نبضة .

أما حيدر محمود وخالد محادين ومحمود فضيل التل، وعبد الرحيم عمر، و إبراهيم نصر الله, ومحمد القيسي، وعلي البتيري،فقد جاء جل شعرهم على هذا اللون يقول خالد محادين في قصيدته " شكوى " [1] :

ردد النوح يا حمام وغن
طال سهدي وزاد منه التجني
وأرسل الشدو لا يطيب غناء
في فؤادي وأنت تصمت عني
زفرات من الفجيعة واليأس
بقايا من انطفاء التمني
أنت أدرى ففي نواحك لل
قلب عزاء وفي جراحك حزني .

ويقول محمود فضيل التل في قصيدته "الطوفان" [2].

أيها الطوفان أيقنت بأنا
سوف نبقى في متاهات الروى
نمضي ونسحق
ريثما يأتي فنصحو
قبل أن نرسو ونغرق
لا يلام البحر ان غالى بموج وتدفق
لا يزيد الشوك حسنا
إن تعالى فوق وجه الأرض
ريّانا وأورق

---

[1] محادين: الأعمال الشعرية ، ص 276

[2] التل، محمود فضيل : شراع الليل والطوفان ص 5

ربما أصحو وأعلو
ثورة الطوفان في ثوب ممزق
مذهل هذا الزمان المر
في رؤياه شيء لا يصدق
فحياة الناس أوراقا تراها
في مهب الريح أحيانا
وأحيانا بنيران فتحرق
لست أدري !!

و يقول عبد الرحيم عمر في قصيدته "انتظار" [1]:

يا ليل قد شابت أمانينا وعاث بها الظلام
من متى الصباح يهل !؟ قد مل النيام
متى نجومك باهتات ترتعش
مقرورة تشكو انتفاضات الرياح
وتلفها
وكأن ما يعنيك أمر مبهم
فنسيتها وتركتها
وتركت أرض الله في صمت ثقيل
وكتمت أنفاس الحياة .

إن تنويع شعراء الأردن في نظم أشعارهم على أشكال مختلفة، منحهم القدرة على تنويع الإيقاع الخارجي للقصيدة ففي بناء القصيدة التقليدية،استغل الشعراء تماثل وحدة القافية في أشطر الأبيات لإحداث نوع متماثل من الموسيقى التقليدية .

أما في نظام المقطوعات فقد استغل الشعراء تنويع القوافي للتعبير عن أفكارهم وأحاسيسهم بدفقات شعورية موسيقية متنوعة " ففي هذه التراكيب يبدو الشاعر وقد تخلص إلى حد ما من تأثره بالتراكيب القديمة، فحرر القصيدة من النمط التقليدي شكلا وموضوعا، وأصبحت معظم موضوعاته حزينة تنبع من نفسه، كذلك صب

---

[1] عمر: الأعمال الكاملة ص 78

الشاعر أحاسيسه في تراكيب حزينة هادئة، كما نوع في القافية واستخدم في القصيدة الواحدة عددا من القوافي "[1].

أما في شعر التفعيلة فقد اتخذ الشعراء من التفعيلة أساسا للحركة الموسيقية في القصيدة، وارتبطت هذه التفعيلة بحركة مشاعرهم. فأصبحت القصيدة معبرة تماما عن نفس الشاعر، تحمل خصائص تجربته وذاته، تتحدث عن موضوع واحد وتجربة واحدة يمتزج فيها الفكر بالشعور، متحررة إلى حد ما من الوزن التقليدي والقافية التقليدية [2].

الإيقاع الداخلي

الإيقاع الداخلي للقصيدة "حركة موقعة في بنائها أو نسيجها، يتمثل فيما يتوافر في النص الشعري من قواف داخلية، وضروب بديع، وحروف مد أو حلق أو همس، ومدى الانسجام بين هذه الظواهر وبين جو القصيدة أو تجربة الشاعر النفسية" [3].

وهو "أي ترجيع منظم في حروف الكلمات داخل البيت الواحد أو الأبيات. ولا يهمنا أن تكون مواضيع الترجيع متقاربة أو متباعدة وإنما يهمنا أن تكون متناغمة وخاضعة لتنسيق منظم "[4].

وترى يمنى العيد[5] أن "ما يولد الموسيقى في الشعر ليس فقط التفعيلة وأنواع تشكيلها، بل أجزاء أخرى تبدو بالنسبة لقصيدة النثر أكثر أهمية منها بالنسبة لقصيدة التفعيلة، ومن هذه الأجزاء التي يجري توقيع الموسيقى بها :

1. التركيب اللغوي حين ينتظم في أنساق من الموازنات والتقطيع .
2. التكرار وفق أشكال موظفة لتأدية دلالتها .
3. التوزيع والتقسيم على مستوى جسم القصيدة ، بهدف دلالي محدد .
4. التوقيع على جرس بعض الألفاظ المعجمية والموازاة بين حروفها .

---

[1] أبو العزم: الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني ص 415

[2] المرجع نفسه، ص 415

[3] علي: بنية القصيدة في شعر محمود درويش، ص 246

[4] الرباعي: الصورة الفنية في شعر أبي تمام ص 292

[5] العيد، يمنى: في معرفة النص : منشورات دار الآفاق ، بيروت، 1983، ص 98

ومن خلال ذلك يتضح أن الإيقاع الداخلي يعني التناسق بين أجزاء القصيدة،في حركة بنائها نحو التكامل، وهذا الانسجام يكون بين الألفاظ من حيث تجانس حروفها وبين الصور التي يخلقها الشاعر مما يعطيه تفردا. وهذه الألفاظ وهذه الصور تنمو في القصيدة بتكنيك خاص، بحيث تكون متجاوبة مع المعنى الذي يريده الشاعر والتجربة التي يريد الإفصاح عنها [1].

ويظهر الإيقاع الداخلي في شعر محمود فضيل التل من خلال اختياره للألفاظ التي تمنح قصيدته صوتا داخليا قائما بذاته، يقول في قصيدة بعنوان " يا زهرة الدنيا"[2] :

لا تموتي في ظلال وارفه
لا تموتي
لا تهوني
لا تكوني خائفة
يا زهرة الدنيا اصمدي
حتى إذا أذعنت للموت
فظلي زهرة
لا تذبلي أو تنحني

فالشاعر منح قصيدته صوتا داخليا من خلال استخدامه لحرف النهي " لا " والفعل المضارع .

ولا تتحقق الموسيقى الداخلية من خلال اللفظ في حد ذاته، وإنما من خلال وروده في سياق يمنحه تلك الموسيقية، " إذ إن تأثير اللفظ من حيث هو صوت لا يمكن فصله عن تأثيراته الأخرى التي تتم في نفس الوقت، فجميع هذه التأثيرات ممتزجة معا بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر "[3] .

---

[1] علي: بنية القصيدة في شعر محمود درويش ص 247

[2] التل، محمود فضيل: وجدتك عالما آخر ص 38

[3] ريتشاردز: مبادئ النقد الأدبي، ترجمة مصطفى بدوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة د.ط ، د.ت، ص 191

يقول الناعوري في قصيدة بعنوان "خيمة اللاجئ"[1]: -

الثلج هذا الأبيض الناعم

مثل قلوب اللاجئين الصغار

الثلج هذا أمل باسم

يوحي إلينا بالأماني الكبار

يوحي بيوم المجد والانتصار

إن نجاح الشاعر في اختيار ألفاظه منح قصيدته نغما داخليا مميزا، أسهم في تعميق الإحساس بالألم والمعاناة أو كما يقول الدكتور علي جعفر العلاق: " إن ما يقرر حيوية هذه الكلمة أو تلك وما يحدد لنا إسهامها في حركة النص الشعري،هو اندراجها في سياق لغوي ملموس. أي دخولها كعنصر بنائي في جملة شعرية نامية، أو عبارة تنضح بالدلالة أو توهج المخيلة "[2]. وعندما نقرأ نصوص عرار نكتشف عند الشاعر مقدرة كبيرة على تقوية نصوصه، بمصادر متعددة للتأثير الإيقاعي، والتركيبي كالتكرار وبنية السؤال،والتضاد والنداء،والتقسيم والتوازي والتقفيات الداخلية والتجنيس[3]، يقول عرار[4]:

1. أهوى ؟ ولات اليوم حين تصابي وجوى؟ وقد غمز المشيب شبابي
2. والأربعون بقضها وقضيضها جثمت مزمجرة قبالة بابي
3. فما لغير الأذى في ربعها ألق ولا لغير القذى في جوها رهج
4. يزجون من سامهم خسفا وأرهقهم عسفا ، تحيات اجلال واكبار
5. أنام ولكن ليصحو شقائي وأصحو ولكن ليشقى فؤادي
6. فهيهات مني سبات الأماني وهيهات مني أماني الرقاد
7. لقد بت أمس كما بت أنت جزوعا خشوعا مروع الفؤاد

---

[1] الناعوري: أناشيدي ص 53

[2] العلاق: الدلالة المرئية " قراءات في شعرية القصيدة الحديثة " ص 38

[3] المرجع نفسه ص 39

[4]- التل، مصطفى: العشيات ص 141، 162، 261، 212، 213، 291، 384، 399، على التوالي

8. كأن بنفسي كآبة رمس بدا لي أمس بعرض الحماد
9. وما من طموحي وأحلام بكفي الا رماد الرماد
10. قضيت الصبا صبا وأنحيت نحوه شبابا تقضى بالوجد وهو بالوجد مشبع
11. فالكأس لولا اليأس ما هشت له كبد ولا هدبت عليه يدان
12. عفا الصفا وانتفى من كوخ ندماني وأوشك الشك أن يودي بايماني

في هذه الأمثلة تحتشد مجموعة من ضروب التجنيس والمطابقات،التي تكثف من الثراء الصوتي لهذه الأبيات، وتزيدها ارتباطا بشحنتها الدلالية بفعل ما فيها من تقابل وتضاد كما في البيتين " 5، 6 " أو ما تكتظ به من كثافة صوتية وتجنيسية واشتباك صرفي ، كما في الأبيات " 2، 10 ،11 ، 12 " ،أو ما تشتمل عليه من تواز أو تقابل كما في الأبيات " 1، 3، 4 "، أو تقسيم و تقفيات داخلية كما تتجسد في الأبيات " 7،8،9 "[1].

لقد أسهمت هذه الضروب من التجنيس والمطابقات، والتضاد والتقابل في منح هذه الأبيات إيقاعا داخليا رائعا يعبر عن نفسية الشاعر الثائرة أحيانا،والتلقائية أحيانا والمتمردة أحيانا أخرى.

وقد أولى خالد محادين الإيقاع الداخلي أهمية بالغة، حيث إنه اختار المفردات المنسجمة مع الإيقاع الخارجي،حيث توجه الشاعر إلى القرارات السلسة وذات الجرس الموسيقي العالي من خلال تكرار الكلمات نفسها في مواضع مختلفة في النص الشعري،ومن خلال الجناس الناقص والطباق وتكرار الأحرف ذات المخارج المتقاربة والإيقاع الموسيقي المتقارب [2]، ومثال ذلك قوله في قصيدة بعنوان " السيدة "[3] :

وجه أم موقد نار أم سيف
ريح أم نسمة صيف
رمح أم جرح

---

[1] انظر، العلاق: الدلالة المرئية ص 39

[2] الحجايا، خالد محادين حياته وشعره ص 237

[3] محادين: الأعمال الشعرية ص 351

ها قلبي يتوزع قطعا قطعا

يتجمع حرفا حرفا

ويصير قصيدة شعر

وجه أم موقد نار أم سيف

صدق في زمن الزيف

عشق في هذا الزمن المثقل بالبغضاء

عمق في ليل الإغضاء

يظهر الجناس الناقص في هذه الأبيات في (سيف، صيف، زيف)،(بغضاء، إغضاء) و(عمق،عشق) و(رمح، جرح، ريح) وكذلك توالي حرف " أم " في أكثر من موقع في المقطع الشعري وتكرار حرف (الراء) تسع مرات، وحرف الصاد والسين والزاي، وكلها حروف متقاربة المخارج،وكذلك تكرار الفعل المضارع، " يتوزع " " يتجمع " وكذلك ورود بعض المفردات المتقابلة في هذا المقطع الشعري، " ريح، نسمة " " عشق، بغضاء "و " صدق، زيف " وكل هذا الحشد من الانسجامات الصوتية أعطى بعدا إيقاعيا داخليا متدفقا انسجم مع الإيقاع الخارجي للقصيدة [1] .

ويضيف التكرار والتجنيس والمقابلة في شعر عبد الرحيم عمر، إيقاعا داخليا رائعا يقول في قصيدة بعنوان "أغاني الرحيل السابع"[2] :

فيا موت أنت صديق القديم

وأنت رفيق الدروب الخوافي

وأنت رفيق المنافي

وأنت الصديق الذي خاننا

فأنت غريم الأرامل والأمهات

وأنت عدو الحياة

تجاوزت :رفقا بأطفالنا

يموتون ذبحا ، يموتون خوفا

---

[1] انظر : الحجايا : خالد محادين حياته وشعره ص 238

[2] عمر: الأعمال الكاملة ص 370 ــ371

يموتون قصفا

يموتون تحت الركام

يموتون تحت سنابل خيل الغزاة

يموتون ... والأمهات ...

فالجناس الناقص يظهر في " الخوافي، المنافي " " صديق، رفيق " ، ويظهر التكرار في هذا المقطع الشعري بتكرار الضمير " أنت " خمس مرات، والفعل المضارع " يموتون " خمس مرات وكذلك التقابل (التضاد) " صديق، عدو" . فقد تولدت في القصيدة دفقات شعورية تنم عن حالة الأسى والحزن،التي تسيطر على الشاعر جراء ما يحصل للاجئين من قتل وتدمير.

ونجد حسني فريز لم يغفل دور الموسيقى الداخلية التي تعتمد حسن انتقاء الكلمات المناسبة لمقتضى الحال، وحسن التقسيم، والقافية الداخلية، ولأنها تضفي على القصيدة موسيقى رائعة وأنغاما شجية. فقد اهتم بها فريز في قصائده، يقول في قصيدة بعنوان " نهاية زهرة "[1]:

هذه الزهرة كانت حالية بين زهر الروض كانت زاهية

ربما اهتزت بما جاد الندى وانتشت بالنسمات السارية

ودنت للنجم في نشوتها تحسب النجم عقودا دانية

ظنت الفجر حبيبا تائها بهواها ومناها الغالية

ومن الملاحظ في هذه القصيدة أن الشاعر أكثر من حروف المد، واعتمد عليها مما منح القصيدة طولا في النَّفَس، وكذلك وفق الشاعر في اختيار الكلمات المناسبة التي تعطي موسيقى داخلية للقصيدة مثل " اهتزت، وانتشت ".

التكرار

يعد التكرار واحدا من الأساليب التعبيرية الدقيقة، التي تظهر بوضوح في نتاج الشعراء والأدباء على حد سواء، تشف عن أبعاد مختلفة في العمل الأدبي، وتعكس

---

[1] – فريز: الأعمال الكاملة، ص 159

جوانب غنية فيما يتعلق بحضور الأديب وحالات تفاعله مع الأشياء من حوله، باعتبار المادة الأدبية وثيقة الأديب و بصمته الدالة عليه في الوجود [1].

وتعرف نازك الملائكة التكرار بقولها: " إن التكرار في حقيقته، إلحاح على جهة هامه في العبارة يعني بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها. و هذا هو القانون الأول البسيط الذي نلمسه كامنا في كل تكرار يخطر على البال. فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعنى، ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية كاتبه "[2].

إن لغة التكرار ليست جديدة على الشعر، بل التكرار من أهم خصائص الشعر قديما وحديثا،" فبنيان الشعر نفسه قائم على نمطية منه، وليست بحور الشعر والتفاعيل المكونة لها، ثم حرف الروي الذي يجب التزامه إلا تكرارا واجب الالتزام، بل إن الخروج على نسقها المتكرر يخرج القصيدة من باب الشعر الذي جرت عليه أساليب العرب، ثم إن المهاد الذي بني عليه وزن البيت وموسيقاه، وهو الإيقاع متكرر وجوبا .

ومادام إيقاع الشعر وتفاعيله، وبحوره متكررة، فإن النمط الموسيقي الساكن خلف كلمات الشاعر سيأتي على نحو مكرر، والشاعر مدرك تماما لوجوب التزام تكرار التفعيلة في البحر أول القصيدة، وتحت وطأة هذا الالتزام قد تتأثر عباراته، وكلماته وحتى أفكاره، فتأتي متكررة، إذ لا يمكن له أن يبقى متيقظا لوجوب التزام التكرار الموسيقى والابتعاد عن التكرار اللغوي، ولو حدث هذا لأصبح الشعر مسألة عقلية خالصة شأنها في ذلك شأن العلوم الطبيعية " [3]. وبهذا يكون التكرار صفة ملازمة لأهم مقومات الشعر: الوزن والقافية، لكن الجديد في التكرار أن يشمل المفردات بهذا الشكل والوفرة التي نلاحظها في الشعر المعاصر بعد الحرب العالمية الثانية.

---

[1] – عاشور، فهد ناصر: التكرار في شعر محمود درويش، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط1 ، 2004م ص 11

[2] –الملائكة: قضايا الشعر المعاصر ص 276.

[3] – عاشور: التكرار في شعر محمود درويش، ص 32–33.

وكما يقول فهد ناصر عاشور، فإن التكرار " لم يعد في القصيدة الحديثة مجرد أسلوب من شأنه أن يعيب النص الشعري في موطن من مواطنه كما كان قديما. إنه الآن نقطة مركزية في القصيدة التي تحتويه، تربط كثير من الدلالات والأفكار به عبر الخيوط التعبيرية المختلفة "[1].

ويمكن لنا أن ندرس التكرار من عدة زوايا:"... الأولى زاوية موسيقية ترى أن التكرار – سواء أكان تكرار كلمات أم أبيات بأكملها – يحدث أثرا موسيقيا. ويخلق مجموعة من المحاور أو المرتكزات التي تغير شكل التجربة، وتدور بها بضع دورات كاملة، أو منقوصة على صعيد الإيقاع الموسيقي، وقد يكون لهذا الأثر الموسيقي الذي يحدثه التكرار دور بنائي في بلورة التجربة وتكثيفها. كما يمكن أن يؤدي إلى العكس على المسافة الممتدة من الدور البنائي ونقيضه يقف منهجنا الجديد ليحدد مدى توفيق الشاعر أو إخفاقه في اللجوء إلى التكرار من هذه الزاوية .

أما الزاوية الثانية فهي لفظية؛ لأن تكرار كلمات معينة له دور في اضائة التجربة وتعميقها إذ يشير الإلحاح على بعض الكلمات داخل تراكيب ثابتة، أو متغيرة إلى أشياء لا تستطيع التجربة الشعرية الإيماء بها دون هذا التكرار، وعلى المنهج الجديد أن يحاول التعرف على مدى توفيق الشاعر في تكراراته أو إخفاقه فيها من هذه الزاوية.

أما الزاوية الثالثة فهي قاموسية، فالتكرارات تشارك في صياغة الجملة من هنا يدلف هذا المنهج إلى نقطة جديدة هي طبيعة البناء في القصيدة الحديثة. وهذا البناء الذي لاحظنا ميله إلى التراكيب والتعقيد، وجنوحه إلى التركيز والتكثيف، هذا الجنوح هو الذي جعله يميل إلى استخدام الكلمات بالطريقة التي رأيناها من قبل. وهو الذي دفعه إلى اعتماد الصورة بنية عضوية أساسية لبناء تجربته الشعرية فشكل القصيدة الحديثة هو معناها ورؤيتها في تشكله الشعري وفي جنوحه إلى التجسد والكينونة، ولأن المنهج النقدي الذي يريد أن يستوعب قضايا القصيدة الجديدة يفهم الشكل بهذا المعنى فإنه يراه أوفق الطرق لبلوغ عالم القصيدة واستكناه أسرارها،

3- عاشور: التكرار في شعر محمود درويش، ص 36 .

ومن هنا فإنه يعمد إلى تحليل البيانات، فتساقط من عملية التحليل ثمار المعنى بين يديه "[1] .

إن ظاهرة التكرار تبدأ من الحرف وتمتد إلى الكلمة إلى العبارة وإلى بيت الشعر،وكل واحدة من هذه الظواهر تعين على إبراز دور التكرار[2]. وسوف نبحث في هذا الفصل التكرار من النواحي التالية :

1- تكرار البداية " الاستهلالي "
2- تكرار الكلمة
3- تكرار الحرف

أولا : التكرار الاستهلالي

وهو تكرار كلمة واحدة أو عبارة في أول كل بيت من مجموعة أبيات متتالية، ووظيفة هذا التكرار التأكيد والتنبيه, وإثارة التوقع لدى السامع للموقف الجديد؛لمشاركة الشاعر إحساسه ونبضه الشعري ونشير إلى أن هذا التكرار " يكشف عن فاعلية قادرة على منح النص الشعري بناء متلاحما، إذ أن كل تكرار من هذا النوع قادر على إبراز التسلسل والتتابع، وأن هذا التتابع الشكلي يعين في إثارة التوقع لدى السامع، وهذا التوقع من شأنه أن يجعل السامع أكثر تحفزا لسماع الشاعر والانتباه إليه"[3].

ومما لا شك فيه إن التكرار الاستهلالي يسهم بما يوفره من دفق غنائي في تقوية النبرة الخطابية، وتمكين الحركات الإيقاعية من الوصول إلى مراحل الانفراج، بعد لحظات التوتر القصوى . ونجد التكرار يظهر عند عرار في قصيدة بعنوان " بقايا ألحان وأشجان "[4]:

1- حافظ صبري : استشراف الشعر، دراسات أولى في نقد الشعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب . 1985 ص ص 45-46

2 - ربابعة، موسى: دراسات أسلوبية في الشعر الجاهلي، مكتبة الكتاني، اربد 2001 ص 15

3 - ربابعة: دراسات أسلوبية في الشعر الجاهلي ص 47

4 - التل ، مصطفى وهبي : العشيات ، ص 405

ماذا على الناس من لهوي ومن عبثي ماذا على الناس من جهلي وعرفاني
ماذا على الناس من جهلي و معرفتي ماذا على الناس من ربحي وخسراني
ماذا على الناس من فقري و متربتي ماذا على الناس من ضني وإحساني
ماذا على الناس من حبي مكحلة بين الخرابيش أهواها وتهواني

وكما يقول الدكتور العلاق " فالشاعر يغمرنا بوابل من الأسئلة التي لا تعكس مفارقته الناس في سلوكه اليومي، ومجافاته لأنماط حياهم فقط، بل تكشف أيضا، ومن خلال الإلحاح على التكرار عن فردية قلقة طاغية من جهة، ورغبة عميقة في صيانتها من جهة ثانية، والدفاع عنها بضراوة أمام كتلة الحياة التي يمثلها الآخرون... وترتبط بنية السؤال أحيانا ببنية التكرار، وكأن كلتيهما تتعاضدان لتعميق نزعة القلق واللايقين التي تهيمن على الكثير من نصوصه وحياته "[1].

ونجد التكرار الاستهلالي يظهر عند الناعوري في قصيدة بعنوان (على ضفة الأردن)[2] :

أيا نهر روحي عليك تحوم مع الطير في غربتي الباكية
أيا نهر هل عودة للغريب إلى عش آماله الهانية
أيا نهر هل عودة للغريب تبل صدى روحه الظامية
أيا نهر هل عودة للغريب تكفف آلامه الدامية
أيا نهر أواه كم من سؤال ترددة روحي الشاكية

ونلحظ من خلال هذه الأبيات أن الشاعر يعبر عن حبه لوطنه، ويبث هذه المشاعر الصادقة من خلال مخاطبته النهر، ويظهر ذلك من خلال تكرار الشطر الأول في الأبيات الثاني والثالث والرابع، فهو يتمنى العودة إلى وطنه الذي يحبه ويهيم فيه.

ولعل التكرار هنا يكشف لنا عن نفسية الشاعر القلقة المضطربة التي تعاني في الغربة،والبعد عن الأهل والأحبة، فهو يرى في عودته للوطن عودة إلى الطمأنينة والراحة النفسية،كما أن عودته إلى الوطن تكفف دموعه وتخفف آلامه.

---

[1] – العلاق: الدلالة المرئية ص 41
[2] – الناعوري: همسات الشلال، ص 10–11 .

ويعود الشاعر في البيت الخامس؛ ليكسر الرتابة الناجمة عن التكرار في الأبيات التي سبقته فيكرر كلمة (أيا نهر) فقط، حيث يدخل إلى إيقاع موسيقي جديد ليشد القارئ إليه مرة أخرى.

ويظهر التكرار حاجة الشاعر إلى الخلاص من المعاناة، أو قد تكون" استجابة لحاجة في نفس الشاعر ألحت عليه كحاجته لقدوم الليل، الذي طالما خاطبه ليبثه همومه، وليخفف عنه عذابه "[1] كما هو الحال عند الشاعر محمود فضيل التل في قصيدة (تعال يا ليل)[2]:

تعال يا ليل واسكن قلب أشعاري وغيب الشمس وابعث ميت أفكاري
ولنشر نجومك واجعل بينها قمرا وادفن شعاع التي أودت بأخباري
تعال يا ليل إني قد عميت فما أقوى على النور أو أحيا بإبصار
تعال يا ليل لا تترك لنا أثرا إلا أفضت على ما فيه من ناري

ويُبرز التكرار عند عبد الرحيم عمر أشكال الموت التي يتعرض لها أطفال فلسطين من قبل الأعداء. يقول في قصيدة " أغاني الرحيل السابع "[3] :

تجاوزت : رفقا بأطفالنا
يموتون ذبحا، يموتون خوفا
يموتون قصفا
يموتون تحت الركام
يموتون تحت سنابك خيل الغزاة
يموتون ... والأمهات ...
وفقت التجاوز في ليل "صبرا "
فغيث السماء منايا

فالأطفال في مذبحة صبرا وشاتيلا يتعرضون للقتل والتعذيب بطرق مختلفة، ولكن النتيجة واحدة وهي الموت, فتكرار الفعل المضارع " يموتون " دلالة على

---

[1] – الضمور: محمود فضيل حياته وشعره ص 208
[2] – التل، محمود فضيل: جدار الانتظار ص 52
[3] – عمر: الأعمال الكاملة ص 371

استمرارية هذا الحدث، وهو الموت ودلالة على مدى التوتر النفسي والقلق الذي يسببه الموت للشاعر، حيث إنه يرى أبناء أمته يقتلون ولا أحد يفعل شيئا من أجلهم.

فالشاعر عندما يختار أسلوب التكرار أو يتجنبه، فإنه يكون بوعي أو دون وعي قد أدرك أهميته أو عدمها " فهو يستخدم الأسلوب الذي يخدم هدفه، ويجعله متألقا قادرا على أن يثير في نفس السامع شيئا ما. وكذلك فإن عملية الالتفات إلى الجانب النفسي في أسلوب التكرار عملية مهمة فلو اختلف الموقف الشعوري لاختلف الأسلوب"[1] .

تكرار الحرف

وهو تكرار الحرف نفسه لا تكراره من حيث وقوعه مقترنا بغيره، ويؤدي تكرار الحروف إلى عدد من الدلالات والمعاني، من أهمها التأكيد والتوسعة والتضييق و الإضاءة، وأحيانا قد يكون هذا التكرار لا شعوريا، حين تصل الدفقة الشعورية في القصيدة إلى مستوياتها التصعيدية إلى أعلى مستوى ممكن في بعض أجزاء القصيدة،فيلجأ الشاعر إلى هذا التكرار للمحافظة على هذا التكثيف المتصعد، إمَّا في مشاهد يطرح فيها حمولته النفسية، أو في أخرى تدور على فكرة يريد الشاعر تأكيدها، فيصر عليها حتى وكأنه لا يرغب بالانتقال إلى غيرها[2] .

يقول عبد الرحيم عمر في قصيدته (أغاني الرحيل السابع)[3]:

فيا موت أنت الصديق القديم
وأنت صديق الدروب الخوافي
وأنت رفيق المنافي
و أنت الصديق الذي خاننا
فأنت غريم الأرامل والأمهات
وأنت عدو للحياة

---

[1] – ربابعة: دراسات أسلوبية في الشعر الجاهلي ص 59-60

[2] – عاشور: التكرار في شعر محمود درويش ص 52-56

[3] – عمر: الأعمال الكاملة ص 370

إن تكرار الضمير أنت قد حقق تناسبا وتلاؤما في الأبيات، مما يتيح للقارئ أن يفهم نظرة الشاعر للموت، ففي البداية بين الشاعر أن هناك صداقة بينه و بين الموت،ومن ثم أخذت تتوسع العلاقة بينهما فالموت رفيق في المنافي وفي الدروب ولكن بعد ذلك تضيق هذه العلاقة فيتحول الموت إلى غريم للأمهات والأرامل وعدو للحياة .

ويظهر تكرار الحرف في شعر محمود فضيل التل في قصيدة بعنوان (البحر)[1]:

غير مرة
قيل لي لا تترك البحر
و لا تطو الشراع
و لا تهاجر
و لا تغامر
لا تفارق شاطئ البحر فتشقى
و الهوى يغدو غريبا
لا تسافر في شعاب الأرض
لا تطو البقاع

إن الشاعر محمود فضيل التل في هذا المقطع ، يكرر على نحو مطرد حرف النهي (لا) و لعل الشاعر يكرره على هذا النحو ؛ ليجعل من كل المعاني التي تعقبه ممنوعة عليه و منهي عنها مؤكدا على ذلك أن النهي قيل له أكثر من مرة .

كما يتكرر حرف الجزم (لم) ليؤكد محمود فضيل التل أن هذا الأمر لم يحصل، وهو يتمنى حصوله لأن فيه خلاص للعرب وفيه الحرية، وعوده الأرض العربية المحتلة ، يقول في قصيدة بعنوان (موت القمر)[2]:

لم يجتمع بعد الهزيمة صفنا
لم يندمل منذ الفجيعة جرحنا
لم ينبعث منذ القطيعة فجرنا

---

[1] – التل، محمود فضيل: هامش الطريق ص 28
[2] – التل، محمود فضيل: وجدتك عالما آخر ص18

لم يلتئم منذ الوقيعة شملنا
فالمد و الجزر اكتئاب
في بقايا عمرنا

فالشاعر من خلال تكراره لحرف الجزم، والفعل الذي يتبعه يدور حول فكرة تؤرقه وتقلق مضجعه، وهي تفرّق العرب منذ هزيمتهم وسقوط فلسطين في أيدي الأعداء .

ونجد حرف النفي (لا) يتكرر في قصائد عرار، فيقول في قصيدة بعنوان(المدينة الفاضلة)[1]:

بين الخرابيش لا عبد و لا أمة ولا أرقّاء في أزياء أحرار
ولا جناة ولا أرض يضرجها دم زكي و لا أخّاذ بالثار
ولا قضاة ولا أحكام أسلمها بردا على العدل أتوّن من النار
ولا نضار، ولا دخل ضريبته تجبى ، و لا بيدر يمنى بمعشار

فالشاعر في هذه القصيدة يتحدث عن مجتمع النّور، الذي يرى فيه أنه المجتمع الفاضل الذي تتحقق فيه العدالة والمساواة، فلا يوجد فيه مظاهر زائفة، أو أية عادات سيئة يراها الشاعر موجودة في المجتمع بكامله، فهو حسب وجهة نظره يرى أن هذا المجتمع هو المجتمع المثالي ولذلك ورد حرف(لا) النافية مكررا في القصيدة؛ لينفي عن هذا المجتمع– مجتمع المدينة الفاضلة– كل المظاهر والممارسات التي لا تعجب الشاعر كالعبودية وأخذ الثأر، وجباية الضرائب وغيرها من المظاهر الزائفة حسب رأيه .

ومن الحروف التي تكرر في قصائد شعراء الأردن الحرف (إذا)، حيث يسهم في تواشج الجمل وازدياد فاعليتها الدلالية، فهي تظهر نتيجة أفعال الإنسان الذي يبعد عن الطريق الصحيح يقول الناعوري في قصيدته (آلام)[2]:

---

[1] – التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 260
[2] – الناعوري : همسات الشلال ص 38

ويح ابن آدم كم يحيد عن الهدى و يلج في الآثام و الطغيان
فإذا الحياة كـما أراد بلـؤمـه سقر تعج بصاخب النيران
و إذا بأعراس الحـيـاة مآتـم تمشي بهن مواكب الشيطان
و إذا أغانيها قذائف حمـلـت آي الشقاء و الهم و الأحزان
و إذا سلاف العيش بعد لـذاذة سم يدار على الورى بدنـان

إن تكرار(إذا) في بداية الأبيات قد ولد انسجاما دلاليا وإيقاعيا، وحمـل فـي طياته أبعادا إيحائية تنسجم والموقف الذي يعيشه الشاعر، فتكرار (إذا) فتح الصراع بين ما يريده الشاعر من حياة كريمة للإنسانية بعيدة عن الآلام والعذاب، وما نـتج عن أفعال الإنسان غير المسؤولة تجاه الآخرين، فالأطماع التـي أعمـت الإنـسان وأبعدته عن طريق الهدى، جعلت الحياة تتحول إلى جحيم؛ ولذلك نجد في الأبيـات التقابل بين المتضادات (الحياة والجحيم)، (الأعراس والمآتم) (الأغاني والقـذائف)، (العيش الرغيد والسم) ولذلك تكررت إذا؛ لتعبّر عن الموقف النفسي الـذي يعيـشه الشاعر.

ويتكرر اسم الاستفهام (ما) عند محمود فضيل التل في تساؤلات يحاول أن يجد لها إجابات ولكنه لا يستطيع، ويسلم أخيرا للقضاء والقدر، يقول في قصيدة بعنـوان (للموت غنيت)[1]:

ما قيمة الحياة ؟
ما قيمة الطموح إذا ؟
ما غاية الآمال ؟
ما نفع أن أكون طامعا بهذا الشيء أو ذاك ؟
ما معنى أن أحكي و كل شيء في حياتي يفرض السكوت ؟
ما معنى أن أكون صامتا أو أبلها أسمع كل شيء
من غير أن يكون لي رأي
فلا أعي شيئا مما يعانيه البشر
و كل شيء في حياتي بقضاء و قدر

[1] – التل، محمود فضيل : أغنيات الصمت والاغتراب ص 26

فالشاعر لا يرى قيمة للحياة وزينتها، وهو لا يستطيع أن يعبّر عن رأيه أو يغيّر أي شيء في حياته لا يرضى عنه، فهذا الأمر يؤرق الشاعر كثيرا، ولذلك فهو يتساءل عله يجد الإجابة وهذا يدل على حالة القلق والتوتر التي يعيشها الشاعر.

وتستمر هذه الحالة النفسية لدى الشاعر في قصيدة بعنوان (إعصار الحياة)[1]:

وأسأل دائما نفسي
لماذا تسقط الأوراق يانعة ؟
لماذا تحرق البسمات زاهية ؟
لماذا يقتل الإنسان مقهورا ؟
لماذا حبنا قاتل ؟
لماذا تنتهي الأيام
حتى قبل أن تبدأ
وحتى قبل أن يأتي الأوان لها
وحتى قبل أن نبدأ

نلحظ من خلال تكرار اسم الاستفهام(لماذا)، أن الشاعر يحاول أن يبحث عن إجابات لأسئلة كثيرة تؤرقه وتقض مضجعه وتعذبه، فهو يبحث عن أمل في هذه الحياة، ولكنه لا يجد الإجابة على تساؤلاته الكثيرة .

كما تظهر التساؤلات عند حسني فريز من خلال تكراره اسم الاستفهام (لماذا) يقول في قصيدته (قف قليلا)[2]:

ليت شعري والموت في الخلق فاش هل على الموت في الزمان نصير؟
ولماذا والموت أقوى قوي تتدجى بين العباد الشرور ؟
ولماذا تضج بالبؤس دار و بأخرى يعج فيها السرور ؟
ولماذا لا ينتهي الناس عما شنأته على مداها العصور ؟

فتساؤل الشاعر هنا تساؤل المتعجب المستهجن من تصرفات وأفعال البشر، الذين لا يتعضون بالموت، فالشر والبؤس والشقاء منتشر بينهم، ويظهر من خلال

---

[1] – التل، محمود فضيل : جدار الانتظار ص 64
[2] – فريز: الأعمال الكاملة ص 218

أفعالهم وأقوالهم مع أنهم يعرفون أن نهايتهم هي الموت، وهو لا يجد لأسئلته أية أجوبة مقنعة.

تكرار الكلمة

يعتبر تكرار الكلمة أبسط ألوان التكرار وأكثرها شيوعا بين أشكاله المختلفة، وهذا التكرار" هو ما وقف عليه القدماء كثيرا، وأفاضوا في الحديث عنه فيما أسموه التكرار اللفظي. ولعل القاعدة الأولية لمثل هذا التكرار أن يكون اللفظ المكرر وثيق الصلة بالمعنى للسياق الذي يرد فيه، وإلا كان لفظية متكلفه لا فائدة منها ولا سبيل إلى قبولها"[1] .

وتشكل الكلمة المصدر الأول من مصادر شعراء الأردن التكرارية، التي " تتشكل من صوت معزول أو مجموعة من الأصوات المركبة الموزعة داخل البيت الشعري أو القصيدة، بشكل أفقي أو رأسي، وهذه الأصوات تتوحد في بنائها وتأثيرها سواء أكانت حرفا أو كلمة ذات صفة ثابتة كالأسماء، أو ذات طبيعة متغيّرة تفرضها طبيعة السياق كالفعل، فهي تسعى جميعها لتؤدي وظيفة سياقية تفرضها طبيعة اللغة المستخدمة، وإلا أصبح التكرار مجرد إعادة ونمطي لا يثير في السامع أو القارئ أي انفعال أو إثارة "[2].

فالشعراء لا يبحثون عن فرد، وإنما يبحثون عن قيم ومبادئ تتمثل في الأشخاص كالحب والأخوة والعدل والحرية، وغيرها من القيم السامية التي يرغب الرومانسيون أن تسود العالم.

فحسني فريز في قصيدته (هوى المجد) يكرر جملة (آمنت بالحب)، فالحب عند الشاعر قيمة ومعنى يسعى الشاعر أن يكون هذا الحب هو محرك الشعوب، ومعيار علاقاتها على مختلف المجالات فهو رمز الصفاء والنقاء ورمز الطهر والعفة.[3] يقول[4]:

---

[1] – عاشور: التكرار في شعر محمود درويش ص 60

[2] – المنصور، زهير: التكرار في شعر الشابي، مجلة جامعة أم القرى ص 1308– 1309

[3] – المرجع نفسه، ص 1309

[4] – فريز:الأعمال الكاملة، ص 102

آمنت بالحـــب لا دنيـــا مضللـــة ولا اعتداء ولا آفـــات بهتـــان
آمنت بالحب يبني كل ما عجزت عنه الدهاقين من سواس أوطاني
آمنت بالحب لا دعوى ولا دجل ولا تكالب سادات وعبـــدان

فالشاعر هنا يؤمن بالحب ويؤكد على قيمته؛ لأنه يرى فيه الأخـــوة والمـــساواة وأنه يبني كل شيء عجزت عنه السياسات، وهو ما يسعى إليه الرومانسيون دائمـــا في التأكيد على حب الإنسان للإنسان من أجل التلاحم الإنساني والمساواة والعـــدل. ويؤكد الشاعر على الأخوة العربية والحب الموجود بين الشعوب على الـــرغم مـــن الحدود السياسية الموجودة، فيقول في نفس القصيدة[1]:

كم عاشقا في ربى الأردن أو بردى يبث سرا نما في صدر هيمان ؟
كم عاشقـــا لرياض النيـــل أنشـــده حب الجماعة في جنات بغدان ؟
كم عاشقا في ظـــلال الأرز أيقظه وأرسل الشوق فياضا لعمان ؟

فالشاعر من خلال تكراره (كم عاشقا) يؤكد الحب والعـــشق، الموجـــود بـــين الشعوب العربية والبلاد العربية، فالتكرار هنا جاء تأكيدا لمبدأ آمـــن بـــه الـــشاعر ولمسه، ويتمنى أن يكون ذلك أمرا عاما بين الشعوب كافة؛ لتعمـــر الأرض ويعـــم الخير الجميع.

ويظهر تكرار الكلمة أيضا عند عرار في غير قصيدة من قصائده، وغالبـــا مـــا يأتي هذا التكرار ليؤكد آمال يريدها الشاعر أن تتحقق في مجتمعه، ولكن في النهاية يريد الخروج من هذا المجتمع الظالم، يقول في قصيدته (بقايا ألحان وأشجان)[2] :

خذني (معاك) فإن الناس قـــد برمـــوا بما يسمونه ظلمي وطغيانـــي
خذني (معاك) ودعني في مضاربكم أمتاح من بئركم لكن بأشطانـــي
خذني (معاك) فإني في مضاربكـــــم والله أنعم في سهوي ونسياني

فالشاعر يريد أن تسود في المجتمع المحبة والأخوة والعدل، ولكنه يئس من هذا الأمر ويريد الهروب من هذا المجتمع إلى مجتمع آخر، وهو مجتمع النَّور الذي يرى فيهم الشاعر المجتمع المثالي الذي ينشده؛ لذلك جاء الخطاب المكرر (خذني معـــاك)

---

[1] – فريز :الأعمال الكاملة، ص 102
[2] – التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 412

إلى شيخهم، وهو بهذا التكرار يؤكد على رغبته في ترك مجتمعه الظالم إلى مجتمع النور الذي يمتاز بالحرية والعدل، وقبل هذه الأبيات وفي نفس القصيدة يؤكد الشاعر حبه لشعبه وأبناء وطنه، ولكنهم قابلوه بالنكران يقول: [1]

فليتق الله بي شعـــب محبتـــه كانت وما برحت، ديني وديداني

وليتق الله بي شعب وفيت له حق الوفاء وبالنكران كافاني

ويبرز التكرار عند خالد محادين من خلال تكراره للفعل، حيث يؤدي ذلك إلـــى تكثيف المعنى في القصيدة،وتوالد الأفكار ففي قصيدة (النصر والفتح) يتكرر الفعـــل (يأتي) يقول:[2]

معذبتي

ويأتي صوتك النائي معذبتي

.... ــ

ويأتي مثل دحنونة

ويأتي مثل باقات من الأزهار و الورد

ويأتي مثل أيقونة

ويأتي مثل مبخرة بوحل الأرض مدفونة

فالشاعر من خلال تكراره الفعل (يأتـــي) قد كثف المعنى في القصيدة، ويؤكـــد استمرارية الحدث مهما حاول أن يهرب منه، إلا أن صوت محبوبته يأتي إليه،وهي هنا (فلسطين المحتلة)، ولعل الشاعر من خلال ذلك يريد أن يعبر عن الحالة التـــي يعيشها العرب والمسلمون من محاولات لنسيان القضية الفلسطينية وتجاهلها، إلا أن ما يحدث في فلسطين دائما يذكرنا بها ونسمع صوتها مهما حاولنا أن نتجاهلـــه. إن مجيء الفعل على صيغة المضارع مكررا يعطي الحدث الاستمرارية في المستقبل، ونتيجة لذلك سوف يأتي النصر الذي يأمله الشاعر وتتحرر الأرض من الـــصهاينة

---

[1]- التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 412

[2]- محادين: الأعمال الكاملة ص 66

المحتلين. ويأتي التكرار عند محمود فضيل التل، ليؤكد فكرة الخوف التي تسيطر على الإنسان، وتسلبه إرادته فيقول[1]:

حقا . . .
إننا نخاف أن لا نهتدي يوما
إلى حقيقة الأمر
ويبقى الخوف يقتلنا
ويهزمنا
نخاف من أنفسنا
نخاف أيضا بعضنا
نخاف في حياتنا
نخاف بعد موتنا

إن هذا التكرار لكلمة (نخاف) في قصيدة بعنوان (الخوف)، تعبر عن الحالة النفسية والشعورية التي تسيطر على الشاعر، ولعل الشاعر قد شعر بدنو أجله فبدأ يشعر بالخوف من النهاية أو المصير المجهول، وهو يتحدث بصيغة الجمع ليعبر عن شعور البشر جميعا، فغريزة الخوف موجودة في داخلنا جميعا فالخوف مسيطر علينا، فنحن نخاف من أنفسنا ومن بعضنا ونخاف من حياتنا وبعد موتنا لأننا لا نعلم حقيقة مصيرنا أو متى سيدنو أجلنا.

كما يأتي التكرار عند محمود فضيل التل ليؤكد قيمة الذات، فالشاعر يكرر كلمة (أبحث) غير مره في قصيدته (أبحث عن ذاتي)، فكأنه لا يجد نفسه وهو يمر بحالة من اليأس كما هو حال الرومانسيين دائما يبحثون عن الأفضل، أو عن القيم السامية في مجتمعاتهم يقول[2]:

---

[1] – التل، محمود فضيل: نداء للغد الآتي ص 29
[2] – التل، محمود فضيل: وجدتك عالما آخر ص 12

أبحث .... أبحث عن ذاتي

كي ألقى نفسي وحياتي

أبحث ... أبحث عن قلبي

كي ألقى حبي وصلاتي

ولعل الشاعر من خلال تكراره لكلمة (أبحث) يعبر عن حالته النفسية التي يمر بها، فهو دائم البحث ليصل إلى هدفه المنشود، وهي الحياة الفضلى التي تخلو من الآلام والأطماع، يسود فيها الحب بين الناس. ويأتي التكرار عند عبد الرحيم عمر؛ ليبين المصير الأوحد للبشر وهو الموت وإن تعددت الأسباب يقول[1]:

إذ يولد الإنسان أيما إنسان

توصوص النجوم في السماء ضاحكة

زاد وقود المعركة

وكلنا كنا وقود المعركة

فواحد وا أسفاه غاله الطغيان

وواحد على الفراش غاله الزمان

وواحد في برجه العاجي طاله الطوفان

فتكرار كلمة (واحد) يأتي هنا ليبين تقسيم الناس، فمنهم من يموت بسبب طغيانه ومنهم من يموت على فراشه، ومنهم من يموت بسبب الطوفان، لكن النهاية واحدة وهي الموت، وارتباط الكلمة المكررة بحرف العطف (الواو) يدل على التضييق "إذ يؤدي تكرار الحرف أحيانا إلى تضييق حيز أي شيء يقترن به، فيبدو وكأنه اختزال إلى أقصى درجه ممكنه، وبأسلوب تدريجي أيضا يزداد اطرادا بزيادة التكرار "[2].

أما الناعوري فيظهر عنده التكرار ليعبر عن مشاعره، وأحاسيسه الجياشة تجاه وطنه من خلال قصيدته (نهر الأردن) التي يخاطب فيها النهر فيقول[3]:

---

[1] – عمر: الأعمال الكاملة ص 127

[2] – عاشور: التكرار في شعر محمود درويش ص 54

[3] – الناعوري: أناشيدي ص 16

عبدتك لو كان ماؤك حـــرا ولم يتحكم بك الطامعـــون
عبدتك لو كان في ضفتيـــك رجال لعزتهـــم مخلصـــون
عبدتك ماء وأرضا وطينا عبدتك حسنا ورمزا ثمينـــا
عبدتك يا نهر لو كنت حرا فتضحك في ضفتيك السنين

فالشاعر يخاطب النهر لأن له قدسية خاصة؛ فلذلك يعبر عن مشاعره المفعمـــة بحب هذا النهر وهذا الرمز المقدس، ولكن هناك شيء يؤرق الشاعر وهو أن نصف ماء هذا النهر يتحكم به الأعداء الصهاينة، وهو يكرر كلمة (عبدتك) لأن لهذه الكلمة دلالات جليلة وعظيمه، فهي تحمل معنى الإخلاص والطاعة، وتقـــديم كـــل شـــيء للمعبود، وهو يعرف قيمة هذا النهر المقدس الذي جمع قلوب الإخوة في الـــضفتين، ويأمل منه أن يمنحهم العزيمة والقوة للقضاء على الأعداء ودحرهم مـــن فلـــسطين المحتلة.

وقد يأتي التكرار ليبين وحدة المشاعر والأحاسيس لدى البشر، كما هي الحـــال في قصيدة الناعوري (أخي الإنسان)[1]:

كلانا نعرف الأشواق و الآمال تحدونا
كلانا نشتهي و الحسن لا ينفك يغرينـــا
كلانا نعرف الصبوات نبلوها و تبلونـــا
فمهلا يا أخي الإنسان !

فمن خلال تكرار الشاعر لكلمة كلانا يؤكد وحدة المشاعر؛ لأنه يريد أن يـــصل إلى هدف سام وهو الأخوة الإنسانية، ونبذ العنصرية والظلم والاضطهاد.

إن ظاهرة التكرار التي كانت بارزة لدى شعراء الأردن، لم تكن فـــي أغلبهـــا تشكيلا بصريا زائدا وإنما جاءت لتعبر عن الدفقات الشعورية التي تـــسيطر علـــى أولئك الشعراء، الذين يمتازون بحس مرهف، فهم يتفاعلون مع الحياة ومع كل مـــا يدور حولهم، وفي مجتمعاتهم التي يعيشون فيها.

---

[1] – الناعوري : أخي الإنسان ص 19

الخاتمة

أ- لقد جاء تأمل الشعراء الأردنيين للطبيعة ناتجا عن الحياة القاسية، التي كانوا يعيشونها، ونتيجة لبحثهم الدائم والمستمر عن الحياة المثالية التي كانوا ينشدونها، فلم يجدوها إلا في الطبيعة، وكذلك كانت الطبيعة بالنسبة لهم الحضن الدافئ الذي يلجأون إليه لبث مشاعرهم وأحاسيسهم.

ب - كان الإحساس بالخوف من الموت، وانتهاء الحياة دافعا كبيرا وراء تأمل شعراء الأردن للحياة والموت، إضافة إلى الأحداث والحروب التي عاصروها، فقد كان الموت مطلبا لبعض الشعراء؛للخلاص من الحياة القاسية،التي أتعبتهم ولم يحققوا فيها آمالهم وطموحاتهم، وكان الموت بالنسبة لبعض الشعراء وسيلة للحصول على الحياة الفضلى. أما بالنسبة للحياة فقد تشابهت نظرة الشعراء إليها، فأغلبهم كان ينظر إليها على اعتبار أنها حياة زائلة، وأن الإنسان الذي يطلبها ويتمسك بها يركض وراء وهم زائف.

ج _ جسّد الشعراء من خلال تأملهم للإنسان الكثير من المعاني، والقيم الإنسانية السامية، التي كانوا ينشدونها، فقد تطرقوا لقضايا الظلم، والفقر، والحرمان، والعنصرية، والتشريد، والقتل والتدمير. وكان الشعراء يدعون الإنسان إلى العودة إلى إنسانيته، ونبذ الشر ونشر الخير؛ لأنه من المخلوقات التي كرمها الله بالعقل، كما تحدثوا عن خلق الإنسان وأصله الطيني لعله يعود إلى رشده.

د- اتسم معجم الشعراء اللغوي بالقوة والجزالة في الألفاظ، والغزارة في المعاني والأفكار، حيث استطاعوا توظيف هذه الألفاظ في توصيل أفكارهم بوضوح، فقد استمدوا ألفاظهم من الطبيعة ،والبيئة التي يعيشون فيها، حيث كثرت في قصائدهم الألفاظ المستمدة من الطبيعة وذات دلالات إنسانية.كما استخدم الشعراء الكثير من الأساليب، التي تساعدهم في توصيل أفكارهم، مثل الانزياح الذي يسهم في تقوية النص الشعري،ويبعده عن السطحية والمباشرة.

هـ - جاءت الصور الفنية في قصائدهم مستمدة من الطبيعة،والحياة والواقع المعيش، وكانت صورهم عبارة عن انعكاسات لذواتهم،وتعبير عن مشاعرهم الداخلية، إذ أسهمت الصور الفنية عندهم في إثراء نصوصهم وتوضيحها للمتلقي

وساعدتهم في توصيل أفكارهم،فجاءت صورهم متنوعة ومتعددة الأشكال، واعتمدوا على التشخيص والتجسيد .

و_ استخدم شعراء الأردن التكرار، كأسلوب من الأساليب التي تساعد في تنظيم الإيقاع الداخلي للقصيدة ومن أجل تأكيد المعنى وتكثيفه، وقد جاء تعبيرا عن الدفقات الشعورية التي تسيطر على أولئك الشعراء، الذين يمتازون بحس مرهف وبمشاعر جياشة. وقد أدى التكرار وظائف جمة عند شعراء الأردن، ولم يكن حلية شكلية أو زخرفا زائدا.

المراجع

القرآن الكريم

إبراهيم، زكريا: 1971 **مشكلة الحياة**، مكتبة مصر، القاهرة، ط1.

ابن أبي سلمى، زهير: 1960 **ديوان زهير**، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، دار بيروت، بيروت، د. ط.

ابن الحسين، الملك عبد الله: 2007 **خواطر النسيم**، جمع وتحقيق خلف النوافلة، وزارة الثقافة، عمان،ط1.

ابن الرومي: (د.ت) **ديوان ابن الرومي**، اختيار وتصنيف كامل كيلاني، مطبعة التوفيق الأدبية، د. ط.

ابن العبد، طرفة: 1961 **ديوان طرفة**، دار صادر، دار بيروت، بيروت، د.ط.

ابن الفارض، عمر: 1957 **الديوان**، دار الصياد، دار بيروت، بيروت، د.ط.

ابن ربيعة، لبيد : 1966 **ديوان لبيد**، دار صادر، بيروت، د.ط.

ابن، منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: (د.ت) **لسان العرب**، مطبعة بولاق، ط1.

أبو العزم، طلعت:1981 **الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني لدى الشاعر العربي الحديث**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، د.ط.

أبو ماضي، إيليا: (د.ت) **الديوان**، دار العودة، بيروت،د.ط.

أحمد، محمد فتوح: 1988 **شعر المتنبي(قراءة أخرى)**، القاهرة، دار المعارف، ط2.

أدونيس(أحمد علي سعيد): 1979م **مقدمة للشعر العربي**، دار العودة، بيروت، ط3.

الأسعد، محمد: 1980م **مقالة في اللغة الشعرية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ط.

إسماعيل، عز الدين: 1972م **الشعر المعاصر في اليمن "الرؤية والفن"** معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، د.ط.

إسماعيل، عز الدين: 1974م **الفن والإنسان**، دار القلم، بيروت، ط1.

إسماعيل، عز الدين: 1988 **الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**، دار العودة، بيروت، ط5.

أمين، أحمد: 1969 **فجر الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط10.

أنيس، إبراهيم: 1988 **موسيقى الشعر**، مكتبة الانجلو المصرية، ط6.

البتيري، علي: 2004 **شبابيك أتعبها الانتظار**، وزارة الثقافة، عمان، ط1.

بدوي، عبد الرحمن: 1998 **الموت والعبقرية**، مكتبة النهضة، القاهرة، ط1.

بلقاسم، بلعرج بن أحمد: 2005 الإيقاع، **مجلة التراث العربي**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 98، السنة 25، حزيران، ص110.

التل، محمود فضيل : 1982 **أغنيات الصمت والاغتراب**، مطابع دار السياسة، الكويت، ط1.

التل، محمود فضيل: 1985 **نداء للغد الآتي**، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ط1.

التل، محمود فضيل: 1987 **شراع الليل والطوفان**، جمعية عمال المطابع التعاونية عمان، ط1.

التل، محمود فضيل: 1988 **آخر الكلمات**، مطابع الدستور التجارية، عمان، ط1.

التل، محمود فضيل: 1988 **وجدتك عالما آخر**، مطبعة الشرق ومكتبتها، عمان، ط1.

التل، محمود فضيل: 1993 **جدار الانتظار**، مطبعة الشرق ومكتبتها، عمان، ط1.

التل، محمود فضيل: 1995 **هامش الطريق**، مطبعة الشرق ومكتبتها، عمان، ط1.

التل، محمود فضيل: 2004 **أنشودة المستحيل**، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط1.

التل، مصطفى وهبي: 1998م **عشيات وادي اليابس**، جمع وتحقيق زياد الزعبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 2.

جامعة آل البيت، **الشعر الحديث في الأردن ونقده: 1997م** (أوراق الملتقى الثقافي الأول ــ المفرق) د.ط.

جبران، جبران خليل: 1985 **المواكب**، مؤسسة نوفل، بيروت، ط2.
الجبوري، يحيى: 1982م **الشعر الجاهلي**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3.
الجرجاني، عبد القاهر: 1999م **دلائل الإعجاز**، شرحه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3 .
حافظ، صبري: 1985م **استشراف الشعر**، دراسات أولى في نقد الشعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط.
الحجايا، نايل: 2004 **خالد محادين (حياته وشعره)**، وزارة الثقافة، عمان، ط1.
حمود، محمد العيد: 1983م **الحداثة في الشعر العربي الحديث**، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط.
حور، محمد إبراهيم: 1986 **النزعة الإنسانية في الشعر العربي**، مطبعة العين، الإمارات، ط1.
خريس، حسين رشيد: 2007م **الأعمال الشعرية الكاملة**، ج1، وزارة الثقافة، عمان، ط1.
الخطيب، أحمد: 2006م **باتجاه قصيدة أخرى (هنالك حيث إنا)**، الجنان للنشر والتوزيع، عمان، ط1.
الخطيب، نبيله: 1996 **صبا الباذان**، عمان، ط1.
داود، أنس: (د.ت) **الطبيعة في شعر المهجر**، القاهرة ، د. ط.
الدردنجي، هيام رمزي: 2005م **الأعمال الكاملة**، دار الكرمل، عمان، ط1.
درويش، أحمد وآخرون: 2001م **فدوى طوقان بين قيد المرأة الشرقية وفضاء النص (كتاب جرش) 2000**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.
درويش، العربي حسن: 1991م **الاتجاه الرومانسي في شعر أبي القاسم الشابي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط
الدقاق، عمر: 1978 **شعراء العصبة الأندلسية في المهجر**، دار الشروق، بيروت، ط2.

الرازم، عائشة الخواجا: 1998م **الأعمال الشعرية الكاملة**، دار الخواجا للدراسات والنشر، عمان، ط1.

ربابعة، موسى: 2001 **دراسات أسلوبية في الشعر الجاهلي**، مكتبة الكتاني،إربد، د.ط.

الرباعي، عبد القادر: 1405هـ **الصورة الفنية في النقد الشعري**، دار العلوم للطباعة، الرياض، ط1.

الرباعي، عبد القادر: 1999م **الصورة الفنية في شعر أبي تمام**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2.

الربيعي، محمود: 1981م لغة الشعر المعاصر، **مجلة فصول**، العدد الرابع، يوليو.

الرفاعي، عبد المنعم: 2003م **شعر عبد المنعم الرفاعي**، جمع وتحقيق إبراهيم الكوفحي، الشركة الجديدة للطباعة والتجليد، عمان، ط1.

الرواشدة، أميمة: 2004م **شعرية الانزياح**، منشورات أمانة عمان، ط1.

ريتشاردز: (د.ت) **مبادئ النقد الأدبي**، ترجمة مصطفى بدوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، د.ط.

الزعبي، أحمد: 2007م **أسلوبيات القصيدة المعاصرة (دراسة حركة الشعر في الأردن وفلسطين من 1950ـــ 2000م)** دار الشروق، عمان، ط1.

السبول، تيسير: 1998م **الأعمال الكاملة**، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط2.

سلام، عبد السلام حسن: 1995 **الخطاب الشعري عند محمد عفيفي مطر**، القاهرة، ط1.

السمان، محمود: 1983 **العروض الجديد " أوزان الشعر الحر وقوافيه"**، دار المعارف، القاهرة، د.ط.

شرتح، عصام: 2004 الانزياح واللغة الشعرية في النظريات النقدية والأسلوبية الحديثة، **جريدة النور السورية**، تاريخ العدد 27/ 10/2004م.

الشرع، علي: 2002 **الشعر في الأردن**، أوراق ملتقيات عمان الإبداعية، (النزعة التأملية في الشعر الأردني وإشكالية التلقي)، وزارة الثقافة، عمان، د.ط.

الشلبي، محمود: 1982 **ويبقى الدم ساخنا**، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ط1.

شورون، جاك: 1984م **الموت في الفكر الغربي**، ترجمة كامل يوسف حسن، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د.ط.

الشيخ، خليل: 1997م الانتحار في الأدب العربي **(دراسات في جدلية العلاقة بين الأدب والسيرة)**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.

الضمور، عماد: 2001 **محمود فضيل التل(حياته وشعره)**، وزارة الثقافة، عمان، ط1.

ضيف، شوقي: (د.ت) **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، دار المعارف، القاهرة، ط10.

ضيف، شوقي: (د.ت) **دراسات في الشعر العربي المعاصر**، دار المعارف، القاهرة، ط7.

عاشور، فهد ناصر: 2004 **التكرار في شعر محمود درويش**، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط1.

عبد البديع، محمد نظمي: (د.ت) **أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب**، دار الفكر العربي، د.ط.

عبد المطلب، محمد: 1994م **البلاغة والأسلوبية**، مكتبة لبنان ناشرون الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1.

عيود، هناء: 1950 **النول والمخمل (دراسة في الظاهرة الجبرانية)** منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط.

عزام، عبد الوهاب: 1936م **ذكرى أبي الطيب**، مطبعة الجزيرة، بغداد، د.ط.

العزب، محمد: (د.ت) **أصول الأنواع الأدبية**، دار والي للنشر، المنصورة، ط1.

عصفور، جابر: 1992 **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3 .

عطيات، محمد: 1999 **الحركة الشعرية في الأردن تطورها ومضامينها (1921-1967)**، لجنة تاريخ الأردن، عمان،ط1.

عطيات، محمد: 2002 **الشعر في الأردن وموقعه من حركة الشعر العربي**، أوراق ملتقى عمان الثقافي الخامس 1996، منشورات وزارة الثقافة، د.ط.

العقاد، عباس محمود: (د.ت) **بعد الأعاصير**، دار المعارف، القاهرة، د.ط.

العقاد، عباس محمود: 1968م **ابن الرومي حياته وشعره**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط7.

العلاق، علي جعفر: 2002 **الدلالة المرئية " قراءات في شعرية القصيدة الحديثة"**، دار الشروق، عمان، ط1.

علاق، فاتح: 1987 **النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلب.

علي، ناصر: 2001 **بنية القصيدة في شعر محمود درويش**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط1.

العمد، عصام صدقي: 1996م **ديوان الوجدانيات**، مجلد2، عمان، ط1.

عمر، عبد الرحيم: (د.ت) **الأعمال الشعرية الكاملة**، منشورات مكتبة عمان، عمان، د.ط.

عوين، أحمد: 2001 **الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1.

عيد، رجاء: (د.ت) **فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور**، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط2.

عيد، رجاء: 1985م **لغة الشعر**، منشأة المعارف، الإسكندرية،د.ط .

العيد، يمنى: 1983 **في معرفة النص**، منشورات دار الآفاق، بيروت، د.ط.

عيسى، راشد: 2006م **الخطاب الصوفي في الشعر المعاصر**، وزارة الثقافة، عمان، ط1.

غربي، فاطمة الزهراء: 2002م **الإنسان والطبيعة في شعرية ابن خفاجة والرومانسيين الفرنسيين (دراسة مقارنة)**، دار المتنبي، إربد، ط1.

غريب، ميشال : 1965م **عمر بن الفارض**، مطابع زحلة، د.ط.

فاخوري، محمود: 1989 **موسيقى الشعر العربي**، منشورات جامعة حلب، د.ط.

فريز، حسني: 2002 **الأعمال الكاملة**، إعداد وجمع راشد عيسى ومعاذ الحياري، منشورات أمانة عمان، ط1.

قاسم، عدنان حسين: 1988م **التصوير الشعر(رؤية نقدية لبلاغتنا العربية)**، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1.

قاسم، عدنان حسين: 1989 **لغة الشعر العربي**، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1.

قطامي، سمير: 1981 **الحركة الأدبية في شرق الأردن منذ قيام الإمارة حتى سنة 1948م**، وزارة الثقافة والشباب، عمان، ط1.

قميحة، مفيد محمد: 1981م **الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1.

القيسي، محمد: 1987 **الأعمال الشعرية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.

الكساسبة،عبد الله مسلم: 2000 **حسني فريز شاعرا وأديبا**، وزارة الثقافة، عمان، ط1.

كوهن، جان: 1986 **بنية اللغة الشعرية**، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء, د.ط .

الكيلاني، إيمان: 1997 **دراسة أسلوبية لشعر بدر شاكر السياب**، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية.

مبارك، زكي: 1938م **التصوف الإسلامي**، مطبعة الرسالة، مصر، ط1.

المتنبي، أبو الطيب: (د.ت) **ديوان المتنبي**، دار صادر، بيروت،د.ط.

مجاهد، عبد الكريم: 2003 الانزياحات الأسلوبية في لغة عرار من خلال ديوانه (عشيات وادي اليابس) **المجلة العربية للعلوم الإنسانية جامعة الكويت**، العدد 82، ص 105-108.

محادين، خالد: 1990 **الأعمال الشعرية**، مطابع الرأي، عمان، د.ط.

محمود، حيدر: 2001م **الأعمال الكاملة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.

المعري، أبو العلاء: (د.ت) **لزوم ما لا يلزم**، تصحيح وتفسير أمين عبد العزيز، مطبعة الجمالية بمصر،د.ط.

المعري، أبو العلاء: 1963م **سقط الزند**، دار الصياد، دار بيروت، بيروت،د.ط.

المقدسي، أنيس: 1982م **الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث**، دار العلم للملاين، بيروت، ط7 .

الملائكة، نازك: 2000 **قضايا الشعر المعاصر**، دار العلم للملايين، بيروت، ط11.

المنصور، زهير: 2000 التكرار في شعر الشابي، **مجلة جامعة أم القرى**، العدد 21، كانون الأول، ص 1308-1309.

الناعوري، عيسى: 1955 **أناشيدي**، منشورات الرائد العربي، حماه، ط1.

الناعوري، عيسى: 1962 **أخي الإنسان**، دار الرائد،حلب، ط1.

الناعوري، عيسى: 1977 **أدب المهجر**، دار المعارف مصر، ط3.

الناعوري، عيسى: 1983 **أناشيد أخرى**، دائرة الثقافة والفنون، عمان، ط1.

الناعوري، عيسى: 1984 **همسات الشلال**، مطبعة الشرق ومكتبتها، عمان، ط1.

نصر الله، إبراهيم: (د.ت) **الحواريات(الفتى النهر... والجنرال)**، دار الشروق، عمان، د.ط.

نصر الله، إبراهيم: (د.ت) **جسدي كان الغربال**، مكتبة الشباب ومطبعتها، عمان، د.ط.

نعيمه، ميخائيل : 1960 **الغربال**، دار صادر، بيروت، ط6.

نقدي، مهاد، 1420 **تحليل النص الشعري**: ترجمة محمد مفتوح، النادي الأدبي بجده، ط1.

النويهي، محمد: (د.ت) **وظيفة الأدب**، مطبعة الرسالة، عابدين، ط1.

هدارة، محمد مصطفى: 1957م **التجديد في شعر المهجر**، دار الفكر العربي، ط1.

هلال. محمد غنيمي: 1974 **الرومانتيكية**، دار الثقافة، دار العودة، بيروت، د.ط.

وهبه، مجدي، المهندس، كامل: 1979 **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مكتبة لبنان، د.ط.

ويس، محمد أحمد: 2002 **الانزياح في التراث النقدي والبلاغي**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1.

اليافي، نعيم: 1983م **تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث**، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط.